

موسوعة النابلسي للعلوم الإسلامية

# حقيقة الإنسان

محاضرات وندوات خارجية - أستراليا - الرحلة ١ - المحاضرة ( ٠١ - ١٨ ) : مقدمة عن حقيقة الإنسان ( سؤال وجواب ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١٢-١٩

### بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة الكرام ؛ أبناء الجالية الإسلامية في سيدني وأستراليا عامة، بادئ ذي بدء الإنسان هو المخلوق الأول لقوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (٧٢)

(الأحزاب: الآية ٧٢)

والإنسان هو المخلوق المكرم، لقوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠)

(الإسراء: الآية ٧٠)

والإنسان هو لمخلوق المكلف، وقد كُفَّ عبادة الله عز وجل، قال تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦)

(الذاريات: الآية ٥٦)

ومن أدق تعريفات العبادة " أنها طاعة طوعية، ممزوجة بمحبة قلبية، أساسها معرفة يقينية، تقضي إلى سعادة أبدية، من خلا هذا التعريف الدقيق، يتضح أن في الدين كليات ثلاث ؛ كلية معرفية، وكلية سلوكية، وكلية جمالية، وما لم يتحرك الإنسان على هذه الخطوط الثلاثة فيتطرف، و لن يتفوق، والتفوق يعني أن يطلب العلم، العلم المسعد في دينه و دنياه، حين يطبق ما تعلم، ثم يتصل بأصل الكون، وبأصل الجمال، الله جل جلاله، كي يسعد بقربه في الدنيا و الآخرة.

الإنسان كائنا من كان، وفي أي زمان، في أي مكان يبحث عن شيئين ؛ عن سلامته، و عن سعادته، هذا شأن كل إنسان في كل زمان ومكان، و سلامته و سعادته أساسهما أن يطبق تعليمات الصانع، فهو أعقد آلة في الكون، ولهذه الآلة البالغة التعقيد صانع حكيم، ولهذا الصانع الحكيم تعليمات التشغيل والصيانة، فبمجرد أن يتبع الإنسان على تعليمات الصانع يحقق سلامته، و

بمجرد ألان يتقرب الإنسان إلى خالقه العظيم يحقق سعادته، و لا سبيل آخر إلى سلامته وسعادته إلا اتباع منهج ربه الذي خلقه:

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾

(الملك: الآية ١٤)

﴿وَلَا يَتَّبِعُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ (١٤)﴾

(فاطر: الآية ١٤)

أي إنسان مفطور مفطور على حب وجوده، وعلى حب سلامة وجوده، و على حب كمال وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، وهذه الحقائق الأساسية عن حقيقة النفس البشرية لن يقطف الإنسان ثمارها، ولن يحققه إلا باتباع منهج الله عز وجل، فقضية التدين ليست قضية ثانوية، أو قضية يمكن أن نغفلها، إنها قضية مصيرية، و الإنسان بضعة أيام، و كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، الله جل جلاله أقسم بمطلق الزمن، لهذا الإنسان الذي هو في حقيقته زمن، قال له:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾

(العصر: الآيات ١-٢)

فأقسم الله بمطلق الزمن لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، هو بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، هذه أكبر حقيقة في تعريف الإنسان، إنه بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه، جواب القسم

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢)﴾

خاسر لا محالة، نوع خسارته أن مضي الزمن يستهلكه، كيف يتلافى هذه الخسارة؟ قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

(العصر: الآيات ١-٣)

فالزمن إما أن يُتفق إنفاقا استهلاكيا، وهو كما يفعل معظم الناس، يأكلون و يشربون و يتمتعون كما تتمتع الأنعام و النار مثنى لهم، وإما أن يُنفق إنفاقا استثماريا، أن نفع في الزمن الذي سينقضي ما ينفعا بعد انقضاء الزمن، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾

(العصر: الآية ١-٣)

فلا بد من معرفة الله، ومعرفة الله أصل الدين، و الله عز وجل يُعرف من خلقه:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾

(آل عمران: الآيات ١٩٠-١٩١)

يُعرف عن طريق خلقه، ويعرف عن طريق أفعاله:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ (١١)﴾

(الأنعام: الآية ١١)

ويُعرف عن طريق كلامه:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (٢٤)﴾

(محمد: الآية ٢٤)

فهناك آيات كونية وهي خلقه، وهناك آيات تكوينية وهي أفعاله، وهناك آيات قرآنية وهي كلامه، فإن الذين آمنوا، أي عرفوا ربهم معرفة حملتهم على طاعته واجتتاب نواهيه، وعملوا الصالحات، استقاموا على أمر الله، وقدموا كل خير للخلق، الخلق كلهم سواسية، ثم صبروا، صبروا على قضاء الله وقدره، وصبروا عن معصية الله، وعلى طاعته، وتواصوا بالحق، دعوا إلى الله بشكل أو بآخر، لأن الله عز وجل يقول:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾

(يوسف: الآية ١٠٨)

فكل من يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد من أن يدعو إلى الله على بصيرة، أي بالدليل والتعليل، فالدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم، وإلا تنامت دلائل الباطل وضيق على دوائر الحق؛ وعندئذ يكون المسلمون جميعا آثمين، وهذه السورة القصيرة سورة العصر على قصرها هي صورة خطيرة جدا، لو تدبرها الناس لكفتمهم، فالإنسان كما قلت قبل قليل مفطور على حب وجوده، وعلى حب سلامة وجوده، وعلى حب كمال وجوده، وعلى حب استمرار وجوده، ولن يحقق سلامته وسعادته إلا إذا عرف ربه، و عرف الهدف الذي خلق من أجله، وعرف من أين وإلى أين و لماذا، وعرف سر وجوده و غاية وجوده، وكمال وجوده.

ثم إن الله عز وجل حينما كلفه بحمل الأمانة، وحمل الأمانة نفسه التي بين جنبيه، قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾

(الشمس: الآيات ٩-١٠)

فكل إنسان يحقق الهدف من وجوده هو يزكي وقته، ليجعل هذه التزكية ثمنا لجنة ربه التي خلق من أجلها.

الحقيقة الخطيرة هي أن الإنسان خلق لجنة عرضها السماوات والأرض، ما هذه الدنيا إلا دار يستعد بها لدفع ثمن الجنة ربه، إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، وموكب ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يعرف لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، و جعل الآخرة دار عقبي، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

أيها الإخوة الأكارم ؛ الإنسان إذا سافر إلى بلد بعيد، و نزل في أحد الفنادق، واستيقظ صبيحة اليوم الأول، وتناول طعام الإفطار، وسأل إلى أين أذهب ؟ نسأله نحن: لماذا أتيت إلى هنا ؟ إن كنت جئت طالب علم فإذهب إلى المعاهد و الجامعات، وإن جئت تاجرا فإذهب إلى المعامل والمؤسسات، وإن جئت ساجدا فإذهب إلى المقاصف و المنتزهات، ما معنى هذا المثل، أي أنك لن يصح عملك في مكان ما إلا إذا عرف سر وجودك في هذا المكان، لن يصح عملك إلا إذا عرف سر وجودك، لو كبرنا هذا المثل، لماذا نحن على وجه الأرض، لن يصح عملنا إلا إذا عرفنا سر وجودنا، "

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)﴾

(الكهف: الآيات ١٠٣-١٠٤)

معرفة حقيقة الكون، و حقيقة الحياة الدنيا، حقيقة الإنسان معرفة مصيرية يتعلق بها سعادة الأبد أو شقاء الأبد، لقول النبي عليه الصلاة والسلام:

**((فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار))**

فمعرفة سر الوجود هو الذي يضمن صلاح العكل، و صلاح العمل ثمن الجنة التي خلق الإنسان من أجلها،

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٧)﴾

(السجدة: الآية ١٧)

يقول عليه الصلاة و السلام فيما يرويه عن ربه:

((أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا نَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ فَأَقْرَعُوا إِن شِئْتُمْ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ))

(رواه البخاري عن أبي هريرة)

فالإنسان الذي عرف الله يسعى بكل ما أوتي للدار الآخرة، لأنها الدار التي تليق به، يقول الله عزوجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

(الأنفال: الآية ٢٤)

يدعونا الله إلى الحياة الحقيقية، الحياة التي تليق بالإنسان، الحياة التي خلق الإنسان لها، الحياة التي تفضي به إلى جنة ربه في الدار الآخرة.

نقطة ثانية ؛ لو أن طالبا على مشارف امتحان مصيري يُبنى على نجاحه في هذا الامتحان دخله وزواجه وسعادته في الدنيا، هذا الامتحان المصيري بعد أيام معدودة، لو أن أصدقاءه الذين يحبونه أخذوه إلى مكان جميل قبل الامتحان بأيام، و سكنوا في أجمل بيت، ونظروا إلى أجمل منظر، و تناولوا أطيب الطعام، لماذا يشعر هذا الطالب بانقباض شديد؟ مع أنه في مكان جميل، و ينظر إلى مناظر جميلة، و يأكل أطيب الطعام، ومع أصدقائه المحبين، لأن هذه الحركة ؛ ذهابه إلى مكان جميل لا تتناسب مع هدفه القريب، فمن تناقض الحركة مع الهدف ينشأ الشقاء، لو أن هذا الطالب نفسه وُجد في غرفة قميئة، وقرأ الكتاب الوقرر واستوعبه يشعر بسعادة بالغة، من خلا هذا المثل تتضح حقيقة السعادة، أنت حينما تتحرك حركة وفق هدفك تشعر براحة كبيرة، وحينما تتحرك حركة لا علاقة لها بهدفك تشعر بانقباض شديد، فسر سعادة المؤمن أنه يحقق الهدف من وجوده، و يتحرك نحو تحقيق هدفه، إذاً هو من أسعد الناس، الله عزوجل يقول:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّاهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾

(النحل: الآية ٩٧)

وقال تعالى:

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ

حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ

تُنْسَى (١٢٦)﴾

(طه: الآيات ١٢٤-١٢٦)

فقضية الندين، و قضية معرفة الله، وقضية معرفة حقيقة الحياة الدنيا قضايا مصيرية يبني على صواب فهمها سعادة الدنيا، و سعادة الآخرة، يقول الله عزوجل:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٢١)

(الجاثية: الآية ٢١)

يعني هل يستوي المحسن مع المسيء، و المستقيم مع المنحرف، و الصادق مع الكاذب، و المتواضع مع المتكبر، و المنصف مع الظالم، هل يستوي هؤلاء مع هؤلاء، هذا لا يتناقض مع عدالته فحسب، بل يتناقض مع وجود الله:

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ (١٨)

(السجدة: الآية ١٨)

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (٣٦)

(القلم: الآيات ٣٥-٣٦)

﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ (٦١)

(القصص: الآية ٦١)

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ يا أبناء الجالية الإسلامية في أستراليا، الله جل جلاله خلق الإنسان ليسعده، قال تعالى:

﴿إِلَّا مِنْ رَحْمِ رَبِّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

(هود: الآية ١١٩)

فالذي يبحث عن حقيقة السعادة لا يجدها إلى في طاعة الله، قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٧١)

(الأحزاب: الآية ٧١)

يعني النجاح كل النجاح، و الفلاح كل الفلاح و لا فوز كل الفوز، و التفوق كل التفوق في معرفة الله و طاعته، فعن أبي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(( اتق الله حينما كنت و أتبع السيئة الحسنة تمحها و خالق الناس بخلق حسن ))

(رواه الترمذي)

يا أيها الإخوة الأكارم ؛ الكون كله مظهر لأسماء الله الحسنى، وفي القرآن الكريم ما يزيد عن ألف و ثلاثمائة آية كونية، إنها موضوعات أو رؤوس موضوعات للتفكير في خلق السماوات و الأرض، إنك إن عرفت الله ثم عرفت أمره تفانيت في طاعته، أما إذا عرفت الأمر و لم تعرف الأمر تفننت في التفلت من أمره، لو جاءتك ورقة من دائرة البريد تدعوك إلى الحضور إلى مكتب البريد كي تتسلم رسالة مسجاة، إنها لا تتحرك شعرة في جلدك حينما تذهب أو لا تذهب، أما إذا



جاءتك ورقة من جهة قوية لا تنام الليل، ما الذي اختلف؟ المرسل، أنت عرفت الله حق المعرفة تفانيت في طاعته، ما لم تعرفه تفننت في التفلت من أمره، ففضية التدين يا أيها الإخوة الأكارم قضية مصيرية، ويقول الله عزوجل:

﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَمَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ (٦١)﴾

(النجم: الآيات ٥٩ - ٦١)

فترجو الله سبحانه و تعالى أن يلهمنا الصواب، أن يلهمنا أن نعتقد اعتقادا صحيحا جازما، لأنه أصل الدين، وأخطر شيء في الدين صحة العقيدة، إنها إن صحت صح كل شيء، وإنها إن فسدت فسدت كل شيء، والخطأ في العقيدة كالخطأ في الميزن، الخطأ في الميزان لا يُصحح، بينما الخطأ في السلوك كالخطأ في الوزن، و الخطأ في الوزن لا يتكرر، أخطر شيء أن تعتقد اعتقادا خلاف ما جاء به الوحيان ؛ الكتاب و السنة، بينما الخطأ الفردي هذا يتوب الإنسان منه، والله سبحانه و تعالى يريد أن يتوب عليكم.

أنا أنتظر أي سؤال من الإخوة الأكارم، بعد هذه المقدمة.

شكرا فضيلة الشيخ على هذه المقدمة الطيبة، وطبعا من خلال الحوار الذي سيدور بيننا وبينكم بعونه تعالى نفتح مجال السؤال للإخوة المستمعين الذين يرغبون بتوجيه أسئلة إلى فضيلتكم، ونذكر الإخوة الكرام هو ٩٧٤٢٦٠٦١، فضيلة الشيخ ممكن.

**السؤال الأول** الذي نحب أن نطرحه عليكم، الظلم واقع فيما بين الناس بكثرة، وهناك تصورات عند الناس حول التضاد وعدم وضوح الرؤية فيما يتعلق في التوفيق فيما بين صلة القربى وفي الوقت نفسه في دجع الظلم، بمعنى آخر، مثلا الأبوان يستغلون حدود الأبوية لكي يفرضوا على أولادهم أشياء ربما كانت من حقوق الأبناء و ليست من حقوق الآباء، وأحيانا يكون هناك بعض الأقرباء الذين يقاطعون و يتعالون، و يصرون على عنادهم، والفئة المقابلة هي الفئة الملتزمة التي تخاف الله سبحانه وتعالى، وليس لديها حل لهذا الموضوع، هل تستطيع أن تقابل المقاطعة بالمقاطعة؟ أما أنها يمكن أن تذلل نفسها للأقرباء فيصطلح الأمر، أم أن الأمر يتعلق بأن الإنسان لا يعفو غلا بعد أن يأخذ حقه، ويتبين الأمر، فترجو منكم توضيح هذه المسألة، وخصوصا أن الكثير من فئات كثيرة يستغلون تدين المتدينين لكي يظلموهم.

بسم الله الرحمن الرحيم، بادئ ذي بدء يقول الله عزوجل في محكم كتابه:



## ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

(الأطفال: الآية ١)

هذه الآية تشير إلى أن كل مؤمن ينبغي أن يصلح العلاقة بينه وبين الله أولاً، ثم يصلح العلاقة بينه وبين من حوله ثانياً، ثم يسهم في إصلاح آية علاقة بين اثنين، وكل أمر في القرآن الكريم يقتضي الوجوب، ما لم تقم قرينة على خلاف ذلك:

## ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾

(الأطفال: الآية ١)

ويقول عليه الصلاة والسلام:

## ((إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ))

(رواه الترمذي)

وفي حديث آخر:

(( دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ النَّمَمِ قَبْلَكُمْ الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ لَأَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُوْمِنُوا وَلَأُتُوْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَفَلَا أُنبِّئُكُمْ بِمَا يُنْبِتُ ذَاكُمْ لَكُمْ أَفْسُؤُ السَّلَامِ بَيْنَكُمْ ))

(رواه الترمذي)

أي العلاقة السيئة بين الأقارب ربما سببت زهاب الدين.

## (( إِيَّاكُمْ وَسُوءَ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ ))

فلو بحثنا عن سبب البغضاء بين الأقرباء، هناك آية تضبط ذلك، قال تعالى:

## ﴿مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(المائدة: الآية ١٤)

يعني اي مسلمين كانا على طاعة الله عزوجل لا بد أن يحب بعضهما بعضاً، قانون ثابت:

## ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾

(الأطفال: الآية ٦٣)

هذا الود البالغ بين المؤمنين، وبين الأقارب المؤمنين، وبين المتجاورين، وبين من بينهم علاقة متينة، هذا الود من خلق الله، ولا يذهب هذا الود إلا بذنب أصابه أحدهما، فنحن أولاً إذا دعونا إلى طاعة الله، من لوازم هذه الطاعة أن يكون الحب بين الأقرباء، وبين الجيران، و بين المؤمنين، هذا الحب الذي كان بين أصحاب رسول الله يصعب تصوره، لسبب بسيط هو أنهم

جميعا أطاعوا الله عزوجل، ففي مجتمع يعصى الله فيه لا بد من أن تنشأ بين أفرادها عداوة وبغضاء، هذا قانون إلهي:

### ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾

(الأنعام: الآية ٣٤)

إذا نحن ندعوا إلى طاعة الله، لمجرد أن نطيع الله عزوجل كان بين المؤمنين من الود ما لا يوصف، لذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**((المؤمنون لبعضهم لبعض نصحة متوادون، ولو ابتعدت منازلهم، والمنافقون بعضهم لبعض غششة متحاسدون ولو افتقرت منازلهم))**

هذه قضية أولى، لكن النبي عليه الصلاة والسلام علمنا أن كل شيء يمتن العلاقة بين المؤمنين وبين الأقارب أمرنا بها، منها إلقاء السلام، منها تلبية الدعوة، منها حفظ الغيبة، الإنسان حينما لا يغتاب أخاه، ولا يسخر منه ولا يسلمه، ولا يوبخه ولا يحقره، ولا ينسى فضله، لا بد من أن تنشأ بين المؤمنين وبين الأقارب بالذات علاقة الود، أما حينما يعصى الله عزوجل فيغتابه، و يسخر منه، ويسلمه إلى عدوه، و ينتقده انتقادا لاذعا، ويحقره، لا بد أن تنشأ هذه العداوات بين الأقارب، إذا طاعة رسول الله في الأمور الاجتماعية هي سبب الود بين الأقارب، ومعصية رسول الله في العلاقات الاجتماعية هي سبب العداوة و البغضاء فيما بينهم، وأنا لا أبالغ إذا قلت: إن أخطر شيء يهدد الدين العداوة بين المؤمنين، بل إن الله عزوجل سمى الخصومة بين المؤمنين كفرا، قال تعالى:

### ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾

(آل عمران: الآية ١٠١)

أي حينما لا نطبق منهج الله سوف يدخل الشيطان بيننا، وسوف يورث العداوة والبغضاء، وسوف يجعل قوتنا ضعفا،

### ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحَكُمْ﴾

(الأنفال: الآية ٤٦)

((عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ أَنَّ أُمَّهُ بِنْتَ رَوَاحَةَ سَأَلَتْ أَبَاهُ بَعْضَ الْمَوْهَبَةِ مِنْ مَالِهِ لِابْنِهَا فَالْتَوَىٰ بِهَا سَنَةً ثُمَّ بَدَأَ لَهُ فَقَالَتْ لَنَا أَرْضِي حَتَّىٰ تُشْهَدَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّ مَا وَهَبْتَ لِابْنِي فَأَخَذَ أَبِي بِيَدِي وَأَنَا يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ هَذَا بِنْتَ رَوَاحَةَ أَعْجَبَهَا أَنْ أُشْهَدَكَ عَلَيَّ الَّذِي وَهَبْتَ لِابْنِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ يَا بَشِيرُ أَلَيْكَ وَكَذَّ سِوَى هَذَا قَالَ نَعَمْ فَقَالَ أَكُلُّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا قَالَ نَا قَالَ فَلَا تُشْهِدْنِي  
إِذَا فَاتَنِي نَا أَشْهَدُ عَلَى جَوْرٍ))

(متفق عليه)

فالأب حينما لا يقيم منهج الله في علاقاته بأولاده، يزرع بينهم العداوة والبغضاء، ذلك أن الأبناء حينما لا يعرفون قدر أبيهم يكون بينهم وبين أبيهم العداوة و البغضاء.

أنا أقول: إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معا فعليك بالعلم، لا بد من أن يعرف الأب ما له وما عليه، رحمة الله عبدا عرف حده فوقف عنده، ولا بد أن يعرف الابن ما له وما عليه، فإذا عرف الأب والابن والأخ والأخت والأقارب فيما بينهم حقوقهم وواجباتهم زالت هذه العداوة و البغضاء، إنها كلها بشكل أو بآخر مظهر من تغلت الناس من الدين، التقلت يؤدي إلى هذه العداوة، والله أعلم.

فضيلة الدكتور يمكن أن نعلق تعليقا بسيطا، نحب توضيح الصورة بالنسبة إلى أنه إذا وقع عداوة، و كان هناك ظالم ومظلوم، وأصر الظالم على ظلمه، فمن يلحق الإثم؟ هل يلحق القاطع، أم الذي قُطع، بمعنى آخر حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله:

(( إِنْ لِي قَرَابَةٌ أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِينُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ ))

(رواه مسلم)

فهل هذا الحديث يوجب أن يكون المسلم يصل الذي ظلمه و قطعه وأصر على قطعه، أم أنه من باب الاستحباب وليس عليه إثم؟

يا سيدي ألم يقل الله عزوجل يصف المؤمنين، قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾

(فصلت: الآيات ٣٣-٣٤)

هذا أمر، وكل أمر يقتضي الوجوب:

﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤)﴾

(فصلت: الآية ٣٤)

ألم يقل النبي عليه الصلاة و السلام:

((أمرني ربي بتسع ؛ خشية الله في السر والعلانية، كلمة العجل في الغضب والرضا، القصد في الفقر والغنى، وأن أصل من قطعني، وأن أعفو عن ظلمي، وأن أعطي من حرمني، وأن يكون صمتي فكرا، و نطقي ذكرا، نظري عبرة " ))

فإن كان هناك قطيعة بين مؤمنين يبادر الأول إلى أن يتصل بالثاني، فإذا أعرض و نفر و قسا في الكلام يكون الأول قد أدى الذي عليه، وانتهت مهمته، الأثم هو الذي رفض، على كل لا بد أن تبادر أيها الأخ إلى صلح مع أخيك، فإن رفض فهو الأثم، وأنت لا شيء عليك.

**السؤال الثاني:** فضيلة الدكتور، سؤال آخر ؛ المراكز الإسلامية في أستراليا عامة، فيها الكثير من الأئمة، فنحن منكم أن تعطونا فكرة ونحن في البلاد الأجنبية، عن الشروط التي يجب أن يتحلى بها الإمام في أي مركز إسلامي، وهل يُشترط في إمام أي مركز إسلامي أن يكون عارفا باللغة العربية في حال كونه أعجميا، أم أنه يستطيع أن يفتي أو أن يتكلم في الشرع من خلال معرفته الشرعية عن طريق اللغة الإنجليزية، أرجو توضيح هذه المسألة.

**الجواب:** أعتقد أنه لا بد للإمام الذي يؤم المسلمين و يتصدى لغصدار الفتاوى أن يكون عالى علم باللغة العربية أولا، لأنها تصله بأمهات الكتب، تصله بالتراث الإسلامي، تصله بكتب الفقه، فقضية العلم في الدعوة إلى الله أساسية جدا جدا، ولا يمكن أن يفتي الإنسان من دون علم، تعلمون أن من أفتى بغير علم فقد وقع في إثم كبير، طبعا هناك أخطر من هذا أن تفتي بخلاف ما تعلم لمصلحة راجحة عندك، أما مبدئيا من أفتى بغير علم فقد وقع في إثم كبير، وكانت رقيبته جسرا إلى النار، و كلما كان الإيمان قويا كان هناك تربيّ في الفتوى، هذا يحتاج إلى علم، وأساسا من علامات آخر الزمان أن أئمة جهالا يُسألون و يفتون بجهل، يقع الناس في شر عملهم.

بالمناسبة حينما يتوهم عامة المسلمين في أي بلد في العالم أنه بمجرد أن يسأل أي رجل يعمل في حقل الدين و يأخذ منه فتوى تريحه انتهت مسؤوليته عند الله، هذا وهم كبير، أنا أقول: والله لو عشت مع رسول الله و كنت حاذقا في كلامك ومعك حجة قوية، و سألته في موضوع و أخذت من فمه الشريف فتوى لصالحك، و لم تكن محققا لا تتجو من عذاب الله، لقول النبي عليه الصلاة و السلام:

((إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ وَإِنكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ وَأَقْضِيَ لَهُ عَلَى نَحْوِ مَا أَسْمَعُ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ))  
(رواه البخاري)

إذاً المسلم العادي ينبغي أن يعتقد أنه لا ينجو من عذاب الله لو أخذ فتوى من إمام غير متمكن من العلم، لا ينجو، والإمام يجب أن يعلم أنه إذا أفتى بغير علم فقد جسر إلى النار، وعلامة المؤمن الصادق أنه جبان في الفتوى، لا يفتي بتلك البساطة، لذلك لا بد من تأهيل الأئمة في مستوى أدنى من العلم، لا بد من أن يكون على علم بكتاب الله، وسنة رسوله وأحكام الفقه و السيرة وإلى ذلك، فنحن حينما نقبل بإمام ليس على مستوى جيد في أمور العلم والعمل نكون قد وقعنا في فخ كبير، وهو أنه يفتي بغير علم فيضل ويضل، والله أعلم.

**السؤال الثالث:** فضيلة الدكتور ؛ الإقامة في بلاد الكفر، في البلاد الأجنبية بالتحديد، كيف نوفق بينها و بين قول النبي صلى الله عليه وسلم:

**((أَنَا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِمَ قَالَ لَنَا تَرَايَا نَارَاهُمَا))**

(رواه الترمذي عن جرير بن عبد الله)

وما هي مناسبة هذا القول ؟ وهل هناك شروط معينة يجب أن يتحلى بها المسلم في بلاد الأجانب حتى يحافظ على دينه، على سبيل المثال، هل يحق له أن يعيش في منقطعة بعيدة عن تجمع المسلمين، وبعيدة عن المساجد ؟

**الجواب:** والله الذي أعلمه أن الإنسان إذا بلغ أعلى نجاح في الأرض، وصل إلى نجاح مادي فكان له دخل فلكي، أو بلغ نجاحاً إدارياً فبلغ أعلى منصب في العالم، أو بلغ نجاحاً عالياً فارتقى إلى أرقى مرتبة علمية، و لم يكن ابنه كما يتمنى فهو أشقى الناس، لأن الابن يكون مع المشركين ويدفع ثمناً باهضاً لا يقوى على تحمل نتائجه، ألا وهو أولاده، أنت حينما تكون في بلد تحقق مصالحك المادية على أكمل وجه، و يضيع أولادك، فهم بعيدون عن دينهم وعن أمتهم و عن آخرتهم دفعت أبهض ثمن على الإطلاق، و هذه المشكلة الأولى للإخوة المسلمين في بلاد العالم قاطبة، فلذلك إذا غلب على ظنك أن ابنك لن يكون مسلماً، و لن يكون مؤمناً و لن يستقيم على أمر الله، و كان ابن ابنه غير مسلم ينبغي ألا تقيم في هذه البلاد.

و الحقيقة كنا في مؤتمر في ديترويت في أمريكا، وسئل الدكتور القرضاوي هذا السؤال فقال: إن لم تضمن أن يكون ابن ابنك مسلماً مؤمناً ينبغي ألا تقيم في هذه البلاد، لعلها إجابة قاسية، لأبناء الجالية، و لكن الحقيقة المرة أفضل ألف مرة من الوهم المريح، الأمور جيدة جداً في بعض البلاد، و لكن ماذا يفعل الأب حين يرى ابنه على غير دين الإسلام، أو مسلم شكلاً يعيش مع أهل

الدنيا، مع الشاردين عن الله، يأكل مما يأكلون، و يفعل ما يفعلون، وهو فلذة كبده، قضية الاغتراب قضية خطيرة جدا، وأتمنى على كل أخ مسلم سافر إلى بلد بعيد و أقام فيه و حقق بعض الإنجاز أن يعود إلى بلده، الموازنة ألا تكون بين بلد غني وبين بلده الأصلي، ينبغي أن يوازن بين الدنيا و الآخرة، بين سعادة الأبد أو شقاء الأبد، و لا سيما أن الأولاد هم الكسب الأول لوالديهم، فحينما يضيع الولد في بلاد الغربية، و في بلاد الكفر، يدفع الأب ثمنا باهضا جدا، إلا أنه كلما يخفف مخاطر الغربية أن يعيش المسلمون مع بعضهم بعضا، أن يكونوا متقابلين، أن يكونوا متواجدين في مراكز إسلامية، أن ينصح بعضهم بعضا، كلما اشتدت العلاقة بين المؤمنين في بلاد الغربية كان هذا أقرب إلى أن يجتنبوا مخاطر الغربية هناك، أما والله لو أن الإنسان استطاع أن يعود إلى بلاده في الوقت المناسب، وأن يزوج بناته ممن يرضى عنهم من الأشخاص، وأن يربي أولاده تربية إسلامية، يكون قد اتخذ قرارا حكيما مصيريا، أما إذا بعد فوات الأوان، نظر فإذا أولاده ليسوا ينتمون إلى دينهم، ولا إلى أمتهم و لا إلى فريق يوصلهم إلى سعادتهم فقد دفع ثمنا باهضا جدا، ويعض أصابعه ندما على هذا القرار، وإذا أردت إنفاذ أمر فتدبر عاقبته، وعندى والله من القصص والحالات المؤلمة التي جعلت من الآباء من أشقى الناس لأنهم خسروا أولادهم، هذا الذي أراه.

**السؤال الرابع:** معنا مكالمة فضيلة الدكتور ؛ السلام عليكم، وعليكم السلام، الظاهر أن المكالمة انقطعت، فضيلة الدكتور، جاءت المكالمة، السلام عليكم، فضيلة الشيخ أنا عندي سؤال من ناحية صلة الرحم، الشخص يذهب إلى أحد المقربين إليه، يبادرهم، وهو غير مسلم "

**الجواب:** قال تعالى:

﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٨)

(الممتحنة: الآية ٨)

الآية الثالثة:

﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾

(التوبة: الآية ٧)

التعامل، إذا كان الواحد غير مسلم، لا يؤذيك و لا يحاربك، ولا يبحث عن مضرتك، و كان جارا لك، وأنت سلمت عليه سلاما طيبا، وفي عيده هَنَأْتَهُ، هذا ليس من باب أنك تقره على ما يعتقده، من باب المجاملة، هذا الرأي.

**السؤال الخامس:** معنا مكالمة ؛ السلام عليكم، نشكر فضيلة الدكتور، و لكم أن أجبتمونا عن قسم من السؤال، ولكن القسم الثاني فطرة التدين، أو غريزة التدين، ولكن القسم الثاني ما هو التعريف الشرعي للعقل الذي هو مناط التكليف، وجزاكم الله خيرا ن فلم تجيبونا عنه، بارك الله فيكم. **الجواب:** والله العقل البشري فيه مبادئ ثلاثة ؛ مبدأ السببية، ومبدأ الغائية، و مبدأ عدم التناقض، هذا العقل متوافق مع الكون، الكون كل شيء له سبب، وكل شيء له غاية، و الشيء لا يتناقض مع نفسه، هذه مبادئ خلق الله في كونه، و قد أودع في العقل مبادئ مماثلة، لذلك توافق العقل مع الكون توافق عجيب، لولا هذا التوافق ما عرفت الله، لأن الله جعل في خلقه لكل شيء سببا، ووضع في نفسك جهازا لا يفهم الشيء إلا بسببه، و أنت من خلال الأسباب تصل إلى مسبب الأسباب، هذا العقل جهاز استشاري، هو مناط التكليف، الآيات التي تتحدث عن العقل تقترب من ألف آية:

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ (٦٨)﴾

(يس: الآية ٦٨)

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١)﴾

(الروم: الآية ٢١)

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧)﴾

(الغاشية: ١٧)

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٤٦)﴾

(القصص: الآية ٤٦)

فالعقل جهاز استشاري، الإنسان نفس و روح و جسد، وفيه جهاز استشاري، النفس هي ذاته، هي أنت، هي التي تؤمن أو تكفر، ترقى أو تسفل، هي التي تعذب في النار أو تدخل الجنة، هي ذاتك، هذه خالدة، لا تموت، قال تعالى

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

(آل عمران: الآية ١٨٥)

تذوق الموت و لا تموت، أما الجسم وعاء، هذا الوعاء ينفصل عن صاحبه عند الموت، و يبقى في التراب، وأما الروح فهي القوة المحركة لهذا الإنسان، أنت تتحرك بالروح، و ترى بالروح،



وتسمع بالروح، و الروح عند الموت تُسحب، أي تُقَطع، تماما للتقريب فقط كالكهرباء في الآلة، إذا قطعت التيار توقفت الآلة عن العمل، فالروح قوة الله المحركة، والنفس ذات الإنسان، و الجسم وعاؤه، ومعه جهاز استشاري، كيف تكون معك آلة حاسبة في جيبك، تقع في عملية معقد تأخذها و تحسب عليها، كذلك العقل جهاز استشاري بالغ الدقة، هو مناط التكليف، لو أن واحدا معه في جيبه جهاز لكشف العملة المزورة، قبض مبلغا ضخما عملة أجنبية، وما استخدم الجهاز وتبينت أنها كلها مزورة، مسؤول و مؤاخذ، معم الجهاز لماذا لم تستخدمه ؟ هذه النقطة.

**السؤال السادس:** معنا مكالمة فضيلة الدكتور، السلام عليكم، وعليكم السلام ورحمة الله، فضيلة الدكتور ذكرتم أن العقل هو مخزن الإيمان فرضا هذا السؤال تبادر إلى ذهني مرات عدة، وهذه فرصة مناسبة جدا لأسأله، فرضا زرع لإنسان مؤمن قلباً على وضع صنوبري لإنسان غير مؤمن، فهل تتغير حالة إيمانه في هذه الحالة ؟ جزاكم الله خيرا.

**الجواب:** هذه عبارة عن عضلة لضخ الدم فقط، أنا قناعتي أن ليس هناك علاقة، و إن كان بعد لم يثبت، لما زرع قلبا لإنسان وجدوا طباعه تغيرت، هذا بحث قد يكون طريفا، من باب الطرفة العلمية، وليس من باب الحقيقة، أما كقلب فهو مضخة فقط، وأنا أتحدث عن قلب النفس، قال تعالى:

﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾

(الحج: الآية ٤٦)

والله أعلم.

**السؤال السابع:** السلام عليكم، أريد أن أسأل الشيخ إذا جارك مسيحي والآن عيد ميلاد، إذا نتبادل في الهدايا، هناك بعض الناس منا المسلمين نتبادل الهدايا، في أعيادهم و أعيادنا، هل هذا يجوز أو لا، و شكراً.

ما فهمت السؤال، مرة ثانية لو سمحت، هل يجوز تبادل الهدايا في مناسبة الأعياد والهدايا بيننا وبين جيراننا غير المسلمين ؟

**الجواب:** يا سيدي أنا أعتقد أن العلاقة الحميمة مع غير المسلم فيها إشكال كبير.

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

(المائدة: الآية ٥١)

العلاقة الحميمة، أما هناك علاقات الجوار، وعلاقات العمل، لا شيء فيها، علاقات الجوار لا شيء فيها، أما صداقة حميمة جدا ؛ سهرات إلى منتصف الليل، رحلات مختلطة مع غير المسلمين، هذه ليست من منهج الله عزوجل، لا بد من أن تكون العلاقة محدودة بحيث لا تؤثر على استقامتنا، فأنت لو خالطت إنسانا لا يَأتمر بأمر الله ونهيه، سيكون في بيته نفلت، فكيف تتسجم معه، هذه قضية يجب أن تكون واضحة جدا، وشيء آخر الناس الذين شردوا عن الله، و لم يعرفوا الله و لم يسروا إلا الحياة الدنيا، واهمكوا فيها، و انغمسوا في أعماقها، و ضاعوا من أجلها دينهم و آخرتهم، هؤلاء لا ينبغي أن تعظمهم، ولا ينبغي أن توقيهم، ورد في بعض الأحاديث: من هوي الكفرة حشر معهم، و لا ينفعه عمله شيئا، لا بد من أن يكون هناك حمية، لا بد أن يكون هناك نوع من العلاقات الداخلية، أما صار هناك انفتاح، يقول أحد الفلاسفة: أنا أسمح للرياح أن تجدد هواء غرفتي، أما أن أسمح لها أن تقتلني من جذوري " هذا لم يعد انفتاحا، صار تدميرا، فيبدو أنه لو كان هناك علاقات حميمة جدا، والحقيقة عندنا مقياس، هو لعبة شد الحبل، إن جلست مع واحد من غير ما تؤمن به، وجررك إلى ما يعتقد فاحذره، أما إذا أمكنك أن تجره أنت إلى ما تعتقد تم جانبه، المقياس الدقيق لعبة شد الحبل، إن شكك فابتعد، وإن شدته فاقترب، والله أعلم.

**السؤال الثامن:** السلام عليكم، عليكم السلام، يمكن أن ترفع صوتك قليلا، تفضل، أريد أن أسأل الشيخ شغلة، تفضل، نحن يقال عنا العلوية، الناس هنا لا يزورونا ولا يقولون كلمة، ما رأي الشيخ في هذا الكلام ؟

فضيلة الدكتور سمعت السؤال ؟ لا والله تفضل اشرحه أنت، والله بعض الناس ينتمون إلى مذهب العلويين، و يقولون: إن غيرهم يتهمونهم بأنهم يعبدون الإمام علي، فلذلك هو مغتاز من هذه القضية، وهو ينتمي إلى المذهب العلوي، و يقول عن نفسه: إنه لا يفكر هذا التفكير، فما هو رأيكم.

**الجواب:** يا سيدي كل إنسان عرف الله واستقام على أمره فهو مسلم، ورب الكعبة، انتهى الأمر.  
**السؤال التاسع:** فضيلة الدكتور ممكن سؤال أخير نوجهه إليكم في قضية الربا، طبعا حدود الضرورة الشرعية، إنما الله سبحانه و تعالى إنما ذكرها في الميتة و الدم و لحم الخنزير و غير ذلك من باب الاضطرار، إذا اضطر إليه المسلم فلا حرج إذا انعدمت بقية الأشياء التي يمكن إذا لم يأكل أن يفنى، أو أن يموت، طيب نلاحظ في هذه القضايا أنها فقط ضررها يرجع إلى الإنسان

نفسه، أما نلاحظ في بقية الأمور التي لم ير فيها استثناء اضطراري مثل قضية الربا ونحن نعلق عليها، فهل يجوز للإنسان أن يأخذ بمبدأ الضرورة إذا وجدت الضرورة في حقه، في أمور ومعاص خصوصاً الربا، إذا كان هناك ضرر من وراء هذا الأمر، وعون على إثم يتعدى ضرره إلى العامة وإلى الآخرين، وخصوصاً فيما يقال: إن الإنسان عنده منفعة، في قضية أخذ مال قرضاً من البنك، و يريد أن يأخذ بيتاً، وهو لم ينظر إلى الأضرار المترتبة على المساعدة والمساهمة في هذه البنوك، فما قولكم في هذه المسألة، أرشدونا ببارك الله فيكم.

**الجواب:** الذي أعرفه أنه حينما يغلب على ظن الإنسان - كلمة يغلب على ظنه أي تسع وتسعون بالمائة - أنه هالك هالكا قطعياً هو وأهله جوعاً أو عرياً أو تشرداً، وهذا تعريف دقيق للضرورة يمكن أن يأكل لحم الخنزير، أو أن يشرب الخمر، أو أن ينطق بكلمة الكفر، حينما يغلب على ظنه أنه هالك هو وأهله ومن يعول جوعاً و عرياً و تشرداً، وفيما سوى ذلك ليس ضرورة، بتعريف آخر: الضرورة أن تخشى فقد الحياة أو تلف أحد الأعضاء أو فقد المال كله، في مثل هذه الحالات الضرورة تبيح المحظورات، أم أن يتوسع في الضرورة فيجعلها كالحاجة إلى الشيء هذا ليس من باب العلم إطلاقاً ولا من باب الورع.

**السؤال العاشر:** السلم عليكم، تفضل، فضيلة الشيخ بارك الله فيك كيف نوفق بين تهنئة الكفار بأعيادهم، وبين النهي عن مشاركتهم في أعيادهم، وكذلك قول الله عزوجل:

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾

(الفرقان: الآية ٧٢)

فسرها بعض المفسرين بأنها شهود أعيان الكفار، وخاصة إذا علمنا أن أعيادهم هذه دينية، يعتقدون عقيدة، قال الله عزوجل:

﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ

وَلَدًا (٩١)﴾

(مريم: الآيات: ٩٠-٩١)

كيف يحل لنا أن نقول لهم: هنيئاً.

**الجواب:** شهود الأعياد شيء، و التهنئة شيء آخر، أن تكون معهم في شهود الأعياد، و احتفالاتهم، أما التهنئة لفظية لا تقدم ولا تؤخر، شيء آخر، مثلاً تارك الصلاة هل هو كافر أم فاسق، هناك تفريق، إن كان ترك الصلاة استخفافاً ورداً لفرضيتها وجوداً بفضلها، فهو كافر، أم

إن تركها تقصيرا فهو عاص لا يزيد عن ذلك، الآن إن اعتقدت ما يعتقدون، وأقمت علاقة حميمة وأكبرتهم، وعظمتهم و شهدت أعيادهم، أنت كما تقول، أما إذا لم تكن أي علاقة إلا كلمة عابرة قلتها، لا تأخذ منها إقرارهم على ما هم عليه، أنا أرى أنه لا شيء فيها، والله أعلم.

ختاما فضيلة الدكتور نشكر لكم هذه الكلمات الطيبة، و نأمل من الله سبحانه و تعالى أن يكون و يجعل فيها النفع والخير، و ختاماً، هل لكم، وهل تريدون أن تقدموا كلمة ختامية أخيرة للمسلمين في هذه الجالية.

**الكلمة الختامية:** بسم الله الرحمن الرحيم، يقول عليه الصلاة و السلام:

**((اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ وَأَتَّبِعِ السَّبِيلَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ))**

(رواه الترمذي عن أبي ذر)

أي في أي مكان كنت، حتى في أقصى البلاد، الشيء الثاني أن الإنسان ينبغي أن يكون مع أخيه المؤمن:

**﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**

(الحجرات: الآية ١٠)

و الله عزوجل قال

**﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾**

(الحديد: الآية ٢١)

و المسابقة تقتضي الاجتماع، و يد الله مع الجماعة، و من شد شد في النار، عليكم بالجماعة، وإيساكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، و إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، فلا بد من أن نطلب في أي مركز إسلامي، ولا بد م أن نعمل به، ولا بد من أنقيم علاقة طيبة مع إخواننا المؤمنين، ولا بد أن نربي أولادنا تربية إسلامية ليكونوا قرة عين لنا حين يكبرون:

**﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا (٧٤)﴾**

(الفرقان: الآية ٧٤)

ثم إنه نهاية العمل التوحيد، ألا ترى مع الله أحدا، أن ترى أنه إلا معطي و لا مانع و لا رافع  
ولا خافض، ولا معز ولا مذل إلا الله، والنهية العلمية التقوى، فمن وحد الله واتقاه فقد حقق  
الهدف من وجوده.

### والحمد لله رب العالمين

التفسير المختصر - سورة الأنعام (٥٦) - الدرس (٤-٧) : تفسير الآية ١١٣ ، كشف حقيقة الإنسان

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٤-٥٦-١٩

### بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الأخوة الكرام:

الآية الثالثة عشر بعد المائة من سورة الأنعام وهي قوله تعالى:

﴿وَكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)﴾

هذه الآية أيها الأخوة تحل مشكلات عديدة، كلكم يعلم أن في الأرض مذاهب وضعية، مذاهب ما أنزل الله بها من سلطان، مذاهب قد بنيت على أنه لا إله، وهذه المذاهب لها كتب، ولها مؤلفات، ولها دعاة، ولها قوى تحميها.

فربنا سبحانه وتعالى، لماذا سمح لهؤلاء أن يعرضوا هذه الأفكار المضلة الضالة سؤال ؟ أليس بيد الله كل شيء ؟

يقول الله عز وجل: وهذا من سنته في خلقه.

### ﴿وَكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾

لولا العدو لما ارتقى النبي صلى الله عليه وسلم، ولما ظهر جهاده، ولما ظهر فضله، الإنسان من دون خصومات، من دون معارضات، لا يرقى، أي لا يسعى، لا يُمتن، لا يظهر فضله.

### ﴿وَكذلكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾

يروى أن في المناجات التي جرت بين سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وبين الله عز وجل، سيدنا موسى كليم الله هكذا تروي الكتب، لا ندري مبلغ هذا من الصحة، لكن له مغزى قال يا ربي لا تبقي لي عدواً، قال يا موسى هذه ليست لي، ليست لي،

﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)﴾

(سورة البقرة: ٩٨)

طبيعة الحياة، حلبة صراع بين الحق والباطل، بالصراع يرقى المؤمن وتقام الحجة على الكافر. طبيعة الحياة، دار ابتلاء لا دار استواء، لا دار تشريف، دار تكليف، هذه حقيقة الحياة.

الله سبحانه وتعالى كان من الممكن، أن يبعث النبي عليه الصلاة والسلام، في بلدة كلها مؤمنون، ما في غير سيدنا الصديق وسيدنا عمر وسيدنا عثمان، وسيدنا علي، وسيدنا طلحة، و الزبير أحباب وأصحاب وإخوان، ما في مشكلة، لا في بدر، ولا في أحد، ولا في خندق، ولا في يهود، ولا في شيء لماذا ؟

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

عدوًّا للإنسان بالعدو يجتهد بالعدو يرقى بالعدو يظهر صدقه، بالعدو يظهر ثباته، بالعدو يقيم الحجة عليه بالعدو لعله يهديه إلى الله.

لو تأملنا في الحكم التي وراء أن يكون لكل نبي عدوًّا، لوجدنا العجب العجاب، هذه نقطة.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

التقديم في القرآن له خصائص، ما قدم الله شياطين الإنس على شياطين الجن، إلا لأن شياطين الإنس، أخطر من شياطين الجن إنسان لطيف، يحمل شهادة عالية، لبق، دمس، أفكاره كلها إحادية أفكاره إباحية أفكاره دنيوية، هذا بجلسة بيدعك إلى غداء ببلاطك يؤنسك، تفضل، حتى الآن أنت قابض الدين، شو وين عقلك، هذا أخطر من الشيطان.

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

ما قدم الله شياطين الأنس على شياطين الجن، إلا لأنهم أخطر.  
الآن مثلاً ربا عز وجل قال:

﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (٧٦)﴾

(سورة النساء: ٧٦)

وقال:

﴿إِنَّ كَيْدَكَ عَظِيمٌ (٢٨)﴾

(سورة يوسف: ٢٨)

المرأة كيدها أشد من كيد الشيطان، لأنه ليس لك عند الشيطان حاجة، لكن لك عند هذه المرأة حاجة، فإذا استغلت حاجتها لك، ودعتك إلى معصية، أو إلى مخالفة فقد كانت عدوة لك.

إذاً:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾

دققوا في الباطل:

﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾



كلام منمق، كلام محبب أحياناً، في أدلة واهية قد تكون، في أمثلة في لقطات، في أسلوب أدبي، في عرض شيق، هذا معنى.

### ﴿زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُوراً﴾

أما الحكمة الله عز وجل دائماً وأبداً، يوظف الشر للخير المطلق، الشر شر، لكن هو شر نسبي، بمعنى أن صاحبه أراد الشر، لكن الله سبحانه وتعالى يوظف هذا الشر، للخير المطلق، كيف؟ الظالم صوت الله، الظلم شر، ينتقم به ثم ينتقم منه.

### ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضاً﴾

(سورة الأنعام: ١٢٩)

فإن الله عز وجل، إنسان أراد أن يسرق، هذا شر، لكن الله سبحانه وتعالى يسوقه إلى من ماله حرام، فالله أخرج لهذا الإنسان شهوته الشريفة، وأدب هذا الذي كسب مالاً حراماً في وقت واحد. الشر المطلق ليس له وجود، في شر نسبي، الشر النسبي في نفوس أصحاب الشر، لكن شرهم يوظف للخير، فهذا الباطل الإلحاد النظرية الوجودية، النظرية دارون مثلاً، أفكار فرويد، أفكار هؤلاء العتاد، الطغاة، الذين قلبوا المفاهيم، فرويد جعل الإنسان كتلة جنس وإنسان آخر جعل إنسان مادة فقط، لا شيء غير المادة، وإنسان جعل اللذة هي كل شيء، وإنسان رأى أن ليس لهذا الكون إلهاً، هذه النظريات الهدامة.

### ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾

### ﴿غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾

إخواننا الكرام:

أوضح ما يفسر هذه الآية.

إنسان يعطى لقاح مثلاً، كوليرة، ما هو لقاح الكوليرة؟ هي جراثيم الكوليرة، حينما ندخل هذه الجراثيم إلى الجسم، في عنا جهاز مناعة جهاز المناعة هائل جداً، مؤلف من ثلاث أقسام:

قسم استطلاعي...

قسم مخبري...

قسم مقاتل...

فلما يدخل جرثوم الكوليرة إلى الجسم، الاستطلاع يكشف حقيقة هذا الجرثوم، ويأتي إلى المراكز، ليبلغ عن ترتيب هذا الجرثوم، مراكز للمفاوية في الجسم، تُصنع المصل المضاد لهذا الجرثوم، الآن في عنا عنصر مقاتل، يحمل هذه الأسلحة ويمضي بها إلى هذا الجرثوم ويحاصره، ما الذي حصل؟ صار في مناعة عند الإنسان، مناعة يعني أدرب على مواجهة الهجمة الشرسة لهذا الجرثوم.

وهذا الذي يكون تماماً حينما تطرح نظرية هدامة، فكر منحرف، فكر علماني، نظرية أساسها المادة، نظرية أساسها المصلحة، نظرية أساسها اللذة، نظرية أساسها اللحظة الراهنة. قال هذه لقاحات... فالمؤمن يسارع إلى أن يرد عليها، فيرقى عند الله وغير المؤمن يقع في حيرة، فيسأل، فيأتي الجواب، ويولي في نفسه مرض يقبلها، ينطلق إلى شهواته، لذلك ربنا سبحانه وتعالى، يسرع له بالمعالجة، وقد تقام الحجة على من ابتدعها فيتوب إلى الله، يعني الذي نراه شراً هو في الحقيقة خير. حديث الإفك مثلاً، جاء في بالي هذا المثل، أليس الإفك بالحديث عن السيدة عائشة، عمل خطير جداً، وعمل شرير.

**نَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿١١﴾**

(سورة النور: ١١)

له مؤديات، ظهر كمال النبي اللهم صلي عليه، ظهرت قيمة الوحي تأخر الوحي في تبرئة السيدة عائشة شهر، لو أن الوحي شيء من فعل النبي ! لآتى بأية بعد ساعة، وبرئ السيدة عائشة. بقي النبي ينتظر شهر، ليس في إمكانه أن يبرئها، ولا أن يثبت الشيء ظهر الوحي كيان مستقل عن النبي عليه الصلاة والسلام، والصحابة امتحنوا، بعضهم ظن في نفسه خيراً، بعضهم انزلق، بعضهم روج فلذلك الذي تراه في الحياة، محض شر، الحقيقة شر نسبي، هو فعلاً ظاهره شر، لكن حقيقته قد يكون فيه خير.

يعني أيام إنسان بكون هذه النقطة مرتاح منها، يقرأ كتاب يلاقي فيه شبهها، يخطئ، يسأل عالم، يسأل عالم ثاني، سر من طلب العلم انضم لمجالس العلم، ارتقى، لولا هذه الشبه التي ألقيت، لما انطلق هذا المؤمن لمعرفة الله، ولما انطلق إلى متابعة الحق.

لذلك ربنا عز وجل قال:

**﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ  
غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾**

يعني هناك حكمة بالغة.

**﴿فَدَرَهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾**

إذا لا يصغي للباطل إلا من كفر بالآخرة، لا يتأثر بالباطل إلا من أراد الدنيا فقط، لا يقنع بالنظريات الهدامة إلا من أراد الشهوة، المؤمن لا يتأثر المؤمن محصن لا يتأثر بالباطل. لذلك:

**﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَّا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾**

في نفسه شهوة، هذه الشهوة.

يجيب وبعدها يعالجه الله عز وجل، كل هذه الخيرات من هذا الشيء الذي، أيام تأتي ذبابة على محصول القطن، بتعيش خمسة آلاف إنسان يأتي المهندس يبحث عن مضاد حيوي، بسافر يتحرك، شغل الناس فالظاهر ذبابه، أما الحقيقة باب للرزق صار، ربي ضارة نافعة.

فكمان هذه النظريات الهدامة إذا رأيتها تنتشر، ما في إنسان بضر إنسان، لكن لا يستجيب لها إلا ضعاف النفوس، وهؤلاء يستجيبون لها ثم يعالجون من قبل الله عز وجل فالعالم يرد والمؤمن يسأل، والضعيف بتردد، تكون حافظ له على مزيد من الإيمان.

قالوا مثلاً: واحد عاق الوالدين، جاء إنسان سب له أبوه، قام الحمية بنفسه نمت ورد عليه وصار بار بوالديه، لولا هذا الاستفزاز لما كان باراً بوالديه، كان عاق الوالدين هو، أيام يكون الإنسان ما في دين بسافر إلى أوربا، يتهموا له دينه الإسلامي اتهامات خطيرة جداً، ينشئ عنده نخوة إسلامية، يقرأ برد يسأل بصير مؤمن، لولا هذه التهمة الطارقة لما سارع إلى الإيمان.

إذاً كل شيئاً نهاية الدرس، كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء أراده الله وقع، وإرادة الله متعلقة بالحكمة المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق، والدليل.

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ يُعَلِّمُ الْوَسْطَىٰ كَيْفَ يَحْكُمُ الْأُمَمَ﴾  
﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِ اللَّهِ يُعَلِّمُ الْوَسْطَىٰ كَيْفَ يَحْكُمُ الْأُمَمَ﴾  
تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴿

ما قال والشر.

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٢٦)

(سورة آل عمران: ٢٦)

والحمد لله رب العالمين

ندوات تلفزيونية - قناة انفينيتي - مكارم الأخلاق - الدرس ( ٣٠-٠١ ) : كيف تكون حقيقة الإنسان؟ رحلة البويضة في رحم الأم

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٨-٢٠٠٣-٠٢

### بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ عدنان:

دكتور، كما تعلمون أن الإنسان في هذه الحياة وفي الكون له حقيقة، الحقيقة هي في أنه هو المخلوق الأول، وهو المخلوق المكرم.

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾

[ سورة الإسراء الآية: ٧٠ ]

تُرى ما حقيقة هذا المخلوق؟ ما حقيقة الإنسان بشكل عام؟.

**الإنسان هو المخلوق الأول والمكرم والمكف بعبادة الله عز وجل :**

الدكتور راتب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين.

الحقيقة أن الإنسان كما تفضلتم هو المخلوق الأول، لقوله تعالى:

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾

[ سورة الأحزاب الآية: ٧٢ ]

هذا الإنسان لأنه قبل حمل الأمانة، كان عند الله المخلوق الأول، لذلك:

﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾

[ سورة الجاثية الآية: ١٣ ]

تسخير تعريفٍ وتسخير تكريم، تسخير التعريف يقتضي أن يؤمن، وتسخير التكريم يقتضي أن يشكر، فإذا آمن وشكر حقق الهدف من وجوده، قال تعالى:

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية: ١٤٧ ]

والإنسان كما تفضلتم هو المخلوق المكرم:

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾

[ سورة الإسراء الآية: ٧٠ ]

والإنسان أيضاً هو المخلوق المكلف، كُلف أن يعبد الله عز وجل، والعبادة في أدق تعاريفها، طاعة طوعية وليست قسرية، ممزوجة بمحبة قلبية، فمن عبد الله ولم يحبه ما حقق الهدف من العبادة، من أطاع الله ولم يحبه ما عبده، ومن أطاعه ولم يحبه ما عبده، ومن أحبه ولم يطعه ما عبده، إذا الإنسان هو المخلوق الأول، والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف بعبادة الله عز وجل. الأستاذ عدنان:

لماذا في النهاية أنه ظلمٌ وجهول؟.

من قبل حمل الأمانة فهو عند الله من المقربين :

الدكتور راتب:

الحقيقة أنه قبل حمل الأمانة، فإذا أدى هذه الأمانة كما أراد الله ليس ظلوماً، وليس جهولاً، وهناك من يحمل الكلمتين الأخيرتين في الآية على أنهما استفهام إنكاري، هذا الذي قبل حمل الأمانة، وطمع أن يكون عند الله من المقربين، وطمع في:

﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾

[ سورة آل عمران الآية: ١٣٣ ]

هل يكون ظلوماً جهولاً؟ لا، لكن إذا قبل حمل الأمانة، ثم خان الأمانة، ولم يتعرف إلى الله، ولم يحمل نفسه على طاعة الله:

﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾

[ سورة الأحزاب الآية: ٧٢ ]

فحينما تؤدي الأمانة، ليس ظلوماً ولا جهولاً، أما إذا لم يؤدي الأمانة هو في الحقيقة ظلمٌ وجهول. الأستاذ عدنان:

الإنسان بحد ذاته، هل يشعر كل إنسان في هذا الكون أنه حمل هذه الأمانة؟.

كل إنسان فطر فطرة تتناسب مع منهج الله عز وجل :

الدكتور راتب:

طبعاً، يشعر بهذه الأمانة حينما فُطر في أصل بنيته الخلقية على منهج الله، فلمجرد أن يخالف الإنسان منهج ربه، يشعر بانقباض وضيق، وهذا سنأتي عليه في حلقة أخرى إن شاء الله، الإنسان فُطر فطرةً تتناسب مع منهج الله عز و جل، قال تعالى:

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا \* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾

[ سورة الشمس ]

نعود إلى تعريف العبادة: هي طاعة طوعية ممزوجة بمحبةٍ قلبيةٍ أساسها معرفة يقينية تفضي إلى سعادةٍ أبدية.

لكن الحقيقة أن الإنسان خلق للجنة، لذلك قال تعالى:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

[ سورة الليل ]

البشر على اختلاف مللهم، ونحلهم، وانتماءاتهم، وأعرافهم، وأنسابهم، وطوائفهم، ومذاهبهم، لا يزيدون عند الله عن نموذجين، النموذج الأول: الإنسان أيقن أنه مخلوقٌ للجنة، لذلك اتقى أن يعصي الله، وبنى حياته على دفع ثمن الجنة، وهو العمل الصالح، فصفة المؤمن في أي مكان، وفي أي زمان هو هذه الصفة، هي اليقين أن الجنة هي محط الآمال، ومنتهى الرحال، وأن الجنة دفع ثمنها في الأرض، يأتي إلى الأرض ليدفع ثمنها، لذلك في الأرض يتقي أن يعصي الله، وفي الأرض يبني حياته على العطاء.

### أخصّ خصائص المؤمن يقينه بالآخرة وضبطه لشهواته :

لو سألتني عن أخصّ خصائص المؤمن، يقينه بالآخرة وضبطه لشهواته، ونحن نتحدث عن مكارم الأخلاق، وأبرز صفةً في مكارم الأخلاق ضبط الشهوات ثم العمل الصالح، إذ العمل الصالح هو ثمن الجنة، والاستقامة أي ضبط الشهوات وفق منهج الله هذا الطريق يكون سالكاً إلى الله، ثم اليقين أن الإنسان خلق للجنة،

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى \* وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾

تصديقه بالحسنى – والحسنى هي الآخرة – دفعه إلى أن يتقي أن يعصي الله، أي استقام على أمر الله، أي جعل الطريق سالكاً إلى الله، أما الحركة على هذا الطريق فهي العمل الصالح، أعطى من ماله، من علمه، من وقته، من خبرته، من كل ما رزقه الله عز و جل، ثم استقام على أمره لأنه أيقن أنه مخلوقٌ للجنة، وأن هذه الدنيا سماها الله حياةً دنيا، لأن بعدها حياةً عليا، حياة عليا أي فيها:

(( ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ))

[أخرجه البخاري ومسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الأستاذ عدنان:

حتى يكون الإنسان ضمن هذا التوجيه ألا يحتاج إلى فكرٍ وعقلٍ يفكر به؟ وإلى هذه العاطفة الدينية والإيمان وما إلى ذلك؟.

**الله عز وجل ميز الإنسان بأنه أودع فيه قوة إدراكية :**

الدكتور راتب:

الحقيقة أستاذ عدنان، أن الجماد كائن يشغل حيزاً، وله وزن، وله أبعادٌ ثلاثة، هذا الجماد، بينما النبات كائنٌ له وزن ويشغل حيزاً، وله أبعادٌ ثلاثة، لكنه ينمو، يختلف عن الجماد أنه ينمو، بينما الحيوان كائن يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعادٌ ثلاثة، وله وزن وينمو كالنبات، ويمتاز عن النبات أنه يتحرك، النبات لا يتحرك، ينمو ولا يتحرك، الحيوان ينمو ويتحرك، أما الإنسان فكائنٌ يشغل حيزاً في الفراغ، وله أبعادٌ ثلاثة، وله وزن، وينمو، ويتحرك، ويفكر، ميز الله الإنسان بأنه أودع فيه قوة إدراكية، فما لم تلب هذه الحاجة العليا هبط عن مستوى إنسانيته، قال تعالى:

﴿ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

[سورة الفرقان]

ما لم تلب الحاجة العلوية في الإنسان، معرفة الله، معرفة الحقيقة، معرفة منهج الله، ما لم تلب هذه الحاجة العليا هبط عن مستوى إنسانيته، في الإنسان حاجات سفلى كالطعام، والشراب، والزواج، وما إلى ذلك، لكن حاجته العليا أن يعرف الحقيقة، لذلك هو قد أودع فيه قوة إدراكية. الأستاذ عدنان:

حتى إن هذه الأشياء الدنيا يمكن أن تسخر لخدمة الحاجات العليا أيضاً؟.

**كل شيء في الدنيا حيادي لأن الإنسان في الأصل مخير :**

الدكتور راتب:

طبعاً، النقطة الدقيقة في هذا السؤال جزاك الله خيراً، أن كل شيء في الدنيا حيادي، لأن الإنسان في الأصل مخير، فيمكن أن يستخدم الطعام والشراب ليتقوى بهما على طاعة الله، ويمكن أن يتزوج ليتقوى بالزواج على طاعة الله، ويمكن أن يعمل ليكسب رزقاً حلالاً يكفيه مؤونة السؤال، إذاً كل شيء خلقه الله في الدنيا حيادي، لأن الإنسان في الأصل مخير، بل إن حظوظ الإنسان حيادية، بل إن شهوات الإنسان حيادية، بل إن خصائص الإنسان حيادية، ما دام الإنسان مخيراً،



فكل خصائصه، وكل حظوظه، وكل شهواته، حيادية، لذلك يرقى بأنه استخدم المال في العمل الصالح لا في إيقاع الأذى بين البشر.

إذا قضية الإنسان أنه فيه جانبٌ إدراكي، و جانب شهواني، ومعه منهج، أستاذ عدنان، تماماً كالمركبة فيها محرك، ماذا يفعل المحرك؟ يعطي المركبة قوة الدفع، لكن لا بد من مقود، وإلا كان حادثٌ أليم، المقود هو العقل، ولابد من طريق تمشي عليه المركبة إنه الشرع و المنهج، فالمحرك يتحرك، والعقل يضبط هذه الحركة، والطريق هو الشرع، فأى إنسان إن دفع بشهواته من دون عقل كان مصيره الدمار و الهلاك.

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[ سورة القصص ]

### الكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلی :

الحقيقة، الإسلام العظيم أعطى الإنسان تفسيراً عميقاً، دقيقاً، متناسقاً، للكون والحياة و الإنسان، نعمة المؤمن الذي عرف الله، وقرأ كتابه، أنه يملك تفسيراً صحيحاً، وعميقاً، ودقيقاً، ومتناسقاً للكون والحياة والإنسان، الكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلی، الكون كل ما فيه ينطق بوجود الله، وكماله، ووحديته، الكون طريق معرفة الله، لأنه قرآنٌ صامت، والقرآن كونه ناطق، والنبی صلى الله عليه وسلم قرآنٌ يمشی، فالكون تجسيدٌ لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلی، الكون مظهرٌ لأسماء الله الحسنی وصفاته الفضلی، فمن خلاله نتعرف إلى الله، وهو أكبر شيء ثابت في الإيمان، دعك من اختلاف الديانات، دعك من اختلاف اللغات، دعك من اختلاف العروق والأجناس، هذا الكون ثابت فيه علم، وفيه حكمة، وفيه رحمة، وفيه قوة، وفيه عدل، فهذه المظاهر التي تبدو من خلال هذا الكون هي تعريفٌ بالله عز و جل، لذلك قال تعالى:

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي النَّأْبَابِ \* الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾

[ سورة آل عمران ]

هذا هو الكون.

الأستاذ عدنان:

حسناً دكتور، أنا أعود للمثل الذي بينته و طرفته قبل قليل، سيارة فيها مقود، الإنسان يدير المقود، والعقل هو المحرك أو القوة الدافعة، بعد ذلك الطريق هو المنهج، ألا يمكن أن يكون الطريق سلساً، جيداً، وبالمقابل يمكن أن يكون عسيراً؟ وكذلك المحرك يمكن أن يكون مضبوطاً،

قويًا، ويمكن أن يكون ضعيفًا، والسائق قد يسهو أحياناً، وقد ينتبه أحياناً أخرى، ترى هل هذه الأمور تنطبق فعلاً على الإنسان، من حيث إن عقله يمكن أحياناً أن يضبط سلوكه، وأحياناً يمكن للشهوة أن تتغلب على عقله، ويمكن أن يكون أحياناً طريق العبادة، طريق التعرف إلى الله تعالى، فيه شيء صعب على الإنسان، من خلال اعتقاده، من خلال إيمانه، ويسهل الطريق ويصعب من خلال ما يمكن أن يجده الإنسان في ذاته.

## طريق الله طريق مستقيم واضح المعالم :

الدكتور راتب:

الحوادث المروعة في الطرقات، سببها السكر أحياناً، حينما يتعطل العقل يكون الحادث المروع، وحينما ينطلق المحرك من دون ضابط يكون الحادث المروع، وحينما نختار طريقاً متعرجاً، هذا طريق الشهوات، وطريق الانحلال والانحراف، هذا الطريق متعرج ومنحرف، وطريق وعر، وفيه أكمات، وفيه حفر، أما حينما تختار طريق الله فاستقم إليه، طريق الله طريق مستقيم، واضح المعالم، فيه إشارات، فيه علامات:

### ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾

[ سورة النحل ]

والمحرك قوي، والمقود محكم، عندئذ السلامة محققة، أستاذ عدنان البشر على اختلاف أجناسهم فطروا على حبّ وجودهم، وعلى حبّ سلامة وجودهم، وعلى حبّ كمال وجودهم، هذا شيء من جبلة الإنسان ولا يأتي الشقاء إلا من الجهل، والجهل أعدى أعداء الإنسان، والجاهل يفعل في نفسه ما لا يستطيع عدوه أن يفعله به.

## تسخير الكون للإنسان تسخير تعريف و تسخير تكريم :

إذاً: الكون مسخر لهذا الإنسان، تسخير تعريف وتكريم، تماماً كما لو قدم لك صديقٌ متفوق في اختراع الآلات هاتفاً فيه ميزات رائعة جداً، قدمه لك هديةً، فأنت يحتمل في نفسك شعوران، الأول شعور الإكبار لهذا الإنجاز، والثاني شعور الامتنان لأنه قدم لك هديةً.

فالكون مسخر لهذا الإنسان – والله المثل الأعلى – تسخير تعريف وتكريم، ردّ فعل التعريف أن نؤمن، وردّ فعل التكريم أن نشكر، فلمجرد أن تعرف الله، وأن تشكره، حققت الهدف من وجودك:

### ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[ سورة النساء الآية: ١٤٧ ]

أما هذه الحياة الدنيا هي دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، لأن الرخاء مؤقت والشقاء مؤقت، قد جعلها دار بلوى، وجعل الآخرة دار عُقى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي، إن أسعد الناس في الدنيا من عرف حقيقتها، وأشقاهم فيها أرغبهم فيها، ذلك أن الإنسان حينما يسهو عن مغادرة الدنيا، ويضع كل آماله في الدنيا، ويضع كل البيض في سلة واحدة، هو يغامر ويقامر لأنه قد يفقد حياته في ثانية، فإذا كل الذي حصله وراء ظهره.

### الدنيا جسرٌ للآخرة :

لكن المؤمن حينما عرف أن بعد هذه الحياة الدنيا آخرة، وأن السعادة سعادة الآخرة، وكما قال الإمام علي رضي الله عنه: "الغنى والفقر بعد العرض على الله " حينما نقل المؤمن اهتماماته إلى دار الآخرة، عندئذٍ أصاب وأفلح ونجح وتفوق.

لذلك الدنيا جسرٌ للآخرة، الدنيا ليست مقراً بل هي ممر، الدنيا دار من لا دار له ولها يسعى من لا عقل له، الإنسان يفقد حياته بثانية، أي كل مكانته، وعظمته، وهيمته، وحجمه المالي، وحجمه الكبير في المجتمع، مبني على قطر الشريان التاجي، فإذا ضاقت هذه اللمعة دخل في متاعب لا تنتهي، الإنسان قيمته في سيولة دمه، فإذا تجمدت قطرة من الدم في أحد فروع شرايين الدماغ أصبح معه خثرة، فقد حركته، فقد نطقه، فقد ذاكرته، والإنسان كل مكانته متعلقة بنمو الخلايا، فإذا نمت نمواً عشوائياً فقد حياته، فالذي لا يعرف الله يغامر، ويقامر، ويشعر بخسارة لا توصف.

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[ سورة الزمر الآية: ١٥ ]

والخسارة مؤلمة جداً.

### من اتبع هواه وفق منهج الله لا شيء عليه :

لذلك التكيف هو أعلى درجة في الذكاء، أن تتكيف مع المصير المحتوم لا أن تقعد عن العمل، لك أن ترقى إلى أعلى مستوى، ولك أن تؤسس عملاً، ولك أن تؤسس مشروعاً، ولك أن تتال دكتوراه، لكن وفق منهج الله، أنت مطمئن لأن الله عز و جل يقول:

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[ سورة القصص الآية: ٥٠ ]

فالذي يتبع هواه وفق منهج الله لا شيء عليه، هذا هو الكون، والحياة دار عمل وليست دار أمل، دار تكليف وليست دار تشریف، دار سعي وليست دار استرخاء، لذلك من عرف حقيقة الدنيا جعلها مع أوراقه الرابحة، ومن لم يفهم حقيقة الدنيا كانت مع أوراقه الخاسرة، أما الإنسان هو المخلوق الأول – كما تفضلتم في بداية الحلقة – والمخلوق المكرم، والمخلوق المكلف، مكلف بعبادة الله عز وجل، لكن العبادة بمفهومٍ شائعٍ مفهومٍ سطحي، أن تصلي، وتصوم، وأن تحج، وأن تزكي، لكن العبادة لها مفهوم أعمق بكثير، العبادة انصياع لمنهج الله.

### من عبد الله سعد بقره في الدنيا والآخرة :

أي ملخص وملخص الملخص: أنك إذا عبدت الله سعدت بقره في الدنيا والآخرة، تعرفه فتطيعه فتسعد بقره، وطاعته منهج تفصيلي، ليست عبادات شعائرية افعل ولا تفعل في كل شيء، ما من حركةٍ ولا من سكنةٍ إلا ولها حكمٌ شرعي، فأنت آلة معقدة جداً، ولك صانعٌ عظيم، ولهذا الصانع العظيم تعليمات التشغيل والصيانة، فانطلاقاً من حبك لذاتك، وانطلاقاً من حرصك على سلامتك، يجب أن تطيع الله.

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾

[سورة الأحزاب]

الأستاذ عدنان:

دكتور هذا الكلام جميل، وكل من يستمع إلى هذا الكلام يقول: الحقيقة يجب أن يكون الإنسان مؤمناً، مع هذا نجد في الدنيا المؤمنين ونجد غيرهم، كيف يكون هذا؟.

### العقل أداة معرفة الله :

الدكتور راتب:

الإنسان حينما يعطل عقله، العقل أداة معرفة الله، حينما يجعل عقله تبريرياً أي كلما انحرف في سلوكه استتجد بعقله ليعطيه غطاءً لانحرافه، حينما يكون العقل تبريرياً يكون السلوك منحرفاً، فلذلك العقل من دون وحي كالعين من دون ضوء تماماً، فالعقل وحده من دون وحي يهتدي به كالعين التي لا قيمة لها إطلاقاً من دون وسيطٍ بينها وبين الأشياء.

الأستاذ عدنان:

هذا توضيح جميل، أستطيع إذاً أن أقول: إن الإنسان إذا لم يكن على طريق أن يُعمل عقله، وأن يضبط حركته، وأن يسير على الطريق المستقيم، فإنه في هذه الحالة يكون فعلاً المخلوق الغير مؤهل لدخول الجنة، ودخول الجنة لها ثمنٌ في هذه الحياة الدنيا كما تفضلتم يجب أن يقدمه

الإنسان، ضمن هذا المشوار – إن صحَّ القول – الطويل لحياة الإنسان لا من خلال عمره ولكن من خلال الترتيبات التي يجب أن يسلكها في حياته، أستطيع أن أقول: من عظمة الله تعالى ومن قدرته أشياء كثيرة، إن أشياء كثيرة من عظمته وقدرته يجب أن يتعرف إليها الإنسان، ومتى تعرف إليها فإنه يصل إلى السلامة بإذن الله، هذا يحتاج إلى آياتٍ بيناتٍ لهذا الأمر، كيف ندركها؟ كيف نتعرف إليها؟ كيف تنتقل بنا في الحقيقة إلى أشياء في حياتنا تدلنا على الخالق، ونسير من خلالها السير السليم الصحيح في حياتنا الدنيا؟ وهناك أمثلةٌ عديدة يمكن أن نتابعها معكم.

## الموضوع العلمي :

### معجزة خالق الأكوان في خلق الإنسان :

الدكتور راتب:

أستاذ عدنان، يقول الله جلَّ جلاله:

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾

[ سورة فصلت الآية: ٥٣ ]

والموضوع اليوم معجزة خالق الأكوان في خلق الإنسان، فهناك رحلةً زمنيةً قصيرةً مرَّ بها الإنسان، ولنرجع مدةً إلى الماضي وندقق معاً في هذه الحكاية الرائعة المليئة بالمعجزات، ولنشاهد عظمة الله في خلق الإنسان، كان الإنسان خليةً واحدةً في بطن الأم ومحتاجٌ إلى حمايةٍ، وهو أصغر من حبيبة ملحٍ واحدة.

والآن أنتم أيها الأخوة المشاهدون تتحركون في الحياة الدنيا بحركةٍ رائعةٍ، كنا جميعاً خليةً واحدةً أصغر من حبيبة الملح، مثلما كان كل الناس على وجه الأرض، وقد انقسمت هذه الخلية وأصبحت اثنتين، ثم انقسمت مرةً أخرى وأصبحت أربع خلايا، ثم ثماني ثم ست عشرة، واستمرت الخلايا بالتكاثر، ثم ظهرت أول قطعة لحمٍ، ثم أخذت قطعة اللحم هذه شكلاً وأصبح لها يدان، ورجلان، وعينان، الخلية الأولى كُبرت مئة مليار ضعف، وأخذت وزناً بستة مليارات ضعف، فالتى كانت قطرة ماءٍ فقط بالسابق، أجرى الله فيها معجزاتٍ عدة، فخلق منها الإنسان الذي يتابع هذا المشهد، قال تعالى:

﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمِينِي \* ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى \* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى ﴾

[ سورة القيامة ]

الحقيقة أن خلق الإنسان أحد أكبر الآيات الدالة على عظمة الله، وكل إنسان خلق هكذا، ويتابع خلق ابنه من خلال أقرب الناس إليه، فالابن يشهد على عظمة الله عز وجل، الناس المنغمسون في نزعة الحياة الدنيا يسرون لا مبالين بالمعجزة المهمة المتحققة أمام أعينهم، هذه المعجزة هي خلق الإنسان.

### رحلة البويضة في رحم الأم من آيات الله الدالة على عظمته :

الحقيقة: تبدأ أول مرحلة في معجزة الخلق بنضج الخلية – خلية البويضة – في عضو في جسم المرأة يسمى المبيض، هناك رحلة طويلة أمام البويضة الناضجة، سوف تدخل أولاً قناة فالوب، وهنا ستقطع مسافة طويلة حتى تصل إلى الرحم، تبدأ قناة فالوب بالحركة للإمساك بالبويضة، الحقيقة هناك أشياء مذهشة في خلق الإنسان، وهذه المشاهد مأخوذة بمناظير دقيقة جداً في جسم المرأة، فتبدأ قناة فالوب بتمهيد طريق لهذه البويضة، فتمسك البويضة الناضجة قبل خروجها من المبيض بمدة قصيرة، وتحاول إيجاد خلية عن طريق لمسات خفيفة على المبيض، ونتيجة لهذا البحث تجد قناة فالوب البويضة الناضجة وتسحبها لداخلها، وحينئذ تبدأ رحلة خلية البويضة، يتوجب على البويضة قطع طريق طويل عبر قناة فالوب، لكن ليس لها أي عضو يؤمن لها قطع هذا الطريق، كالزعانف، أو الأرجل، ولهذا خلق لرحلتها نظام خاص، نظام رائع جداً، فقد وظفت ملايين الخلايا التي توجد في السطح الداخلي لقناة فالوب لإيصال البويضة إلى الرحم، تحرك الخلايا هذه الشعيرات الموجودة على السطح الداخلي لقناة فالوب لإيصال البويضة إلى الرحم، وهذه الشعيرات تحرك البويضة على سطحها ونحو الرحم باستمرار، وهكذا تحمل خلية البويضة من يد إلى يد إلى الجهة التي يجب ذهابها نحوها كحمل ثمين جداً، عندما ندقق في هذه الشعيرات نجدها قد نسقت في المكان والشكل الذي يجب أن تكون عليه ضمن خطة ذكية جداً، وتقوم معاً بحركة نقل إلى الجهة نفسها، وكأنها آلة مبرمجة لذلك، فلو لم يقم قسم من هذه الخلايا بمهمته، أو قام بنقلها إلى جهات مختلفة، لن تصل البويضة إلى هدفها، ولا تتحقق الولادة أبداً، ولكن خلق الله تاماً، فكل خلية تنفذ مهمتها التي أوكلت إليها دون أي خطأ.

وهكذا تتقدم إلى المكان المجهز خصوصاً لأجل البويضة أي إلى رحم الأم، لكن خلية البويضة المنقولة بدقة بهذا الشكل عمرها لا يتجاوز أربعاً وعشرين ساعة، وتموت ما لم تلقح في هذه المدة، وتحتاج إلى المواد الحياتية للتفويض، النطفة تأتي من جسم الرجل، الحقيقة هذه المشاهد التي ترونها هي مشاهد أخذت بآلات دقيقة جداً مجهرية، فلا بد أن نعظم خالقنا وربنا الذي خلقنا.

## ﴿ أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾

[ سورة المرسلات الآية: ٢٠ ]

ومن نطفةٍ لا ترى بالعين، وإن شاء الله هناك أبحاثٌ أخرى حول خلق الإنسان، تقدر في الإنسان عظمة الله عز و جل.

## خاتمة و توديع :

الأستاذ عدنان:

فسبحان الله إنه:

## ﴿ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾

[ سورة المؤمنون الآية: ١٤ ]

ترى هل عرف الإنسان حقيقته ونفسه ليسلك السبل التي ذكرتموها في البداية المؤدية إلى الجنة؟  
نرجو الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

العقيدة - الإيمان باليوم الآخر - الدرس (٣-٩) : حقيقة الإنسان وما يبقى منه وجوهه

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-٠٧-٣٠

## بسم الله الرحمن الرحيم

### التعرف على حقيقة الإنسان:

#### ١ - النفس:

أيها الأخوة، الإنسان نفس، وروح، وجسد، نفسك هي أنت، هي ذاتك، هي الجانب الذي يؤمن والذي يكفر، والذي يشكر والذي لا يشكر، والذي يسعد والذي يشقى، هي الجانب الباقي في الإنسان، والله عز وجل يقول:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾

(سورة آل عمران الآية: ١٨٥)

سكرة الموت شيء، والموت شيء آخر، النفس تذوق الموت ولا تموت، إنها من روح الله عز وجل، وهي خالدة إلى أبد الأبد.

﴿وَتَادُوا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾

(سورة الزخرف الآية: ٧٧)

#### ٢ - الجسد:

الإنسان له جسم، وهو وعاء تماماً، غلاف تماماً، ثياب تماماً، فإن خلعت ثيابك فهل أنت ثيابك أم أنت شيء غير ثيابك؟ قد ترندي ثياباً رائعة، مفصلة على قدك تماماً إذا خلعت هذا الثوب، الثوب هو أنت أم أنت شيء غير الثوب، هذا الجسم وعاء، قالب مرتكز، جانب مادي، عند الموت تخلعه ويعود إلى أصله الترابي، أما أنت فباق .

يا فلان، يا عتبة بن ربيعة، يا صفوان، ذكر النبي أسماءهم وهؤلاء هم قتلَى بدر من الكفار، واحداً واحداً، فعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك قتلَى بدرٍ ثلثاً ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم فقال:

((يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبه بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقاً فسمع عمر قول النبي صلى الله عليه وسلم



فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَسْمَعُونَ وَأَنْتَى يُجِيبُونَ وَقَدْ جِئْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ بِإِسْمَاعِ  
لَمَّا أَقُولُ مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَفْقَهُونَ أَنْ يُجِيبُوا ثُمَّ أَمَرَ بِهِمْ فَسُحِبُوا فَأُلْقُوا فِي قَلْبِ بَدْرٍ))

(رواه مسلم)

### النفس خالدة لا تتأثر بالموت ولا بالقبر:

فيك جانب خالد لا يتأثر لا بالموت ولا بالقبر، هذا الجانب له مصيران لا ثالث لهما، فو الذي  
نفس محمد بيده ما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار، النفس خالدة، هي التي تشكر، هي التي  
تكفر، هي التي تؤمن، هي التي تتأفق، هي التي تكون كريمة، هي البخيلة، هي النظيفة، هي  
القدرة، هي الصادقة، هي الكاذبة، هي التي تسعد بالله عز وجل، وهي التي تشقى بالبعد عنه، كل  
صفات الإنسان صفات نفسه.

فمثلاً المركبة القدرة من هو القدر؟ صاحبها، المركبة النظيفة من هو النظيف؟ صاحبها،  
والبيت المرتب من هو المرتب؟ صاحبه، والبيت الفوضوي من هو الفوضوي؟ صاحبه، فنفسك  
ذاتك، هي أنت.

### الاستشهاد بأمثلة على عوارض النفس:

قد تكون في بيت واسع جداً، مريح جداً، كل حاجاتك مؤمّنة، أنواع الطعام، أنواع الشراب حتى  
الفواكه، والحلويات، والزهور، يأتيك اتصال هاتفي مزعج جداً، تشعر بضيق لا يحتمل، لماذا  
الضيق؟ ما هي الجهة فيك التي تألمت؟ نفسك.

أخوان توأمان ينامان على سرير واحد، الظروف كلها واحدة: السرير، الجو، الحرارة، الرطوبة،  
وقد تناولوا طعاماً واحداً قبل أن يناما، فأحدهما رأى نفسه في المنام داخل بستان جميل مع  
أصدقائه وأحبابه، وتبادلوا ألوان الحديث الممتع، والثاني رأى نفسه مع ثعبان أقرع، فصاح صيحةً  
ملأت الغرفة صخباً، فلماذا سعيد هذا، وشقي هذا؟ الطرف المادي واحد، معنى ذلك أن لك نفساً  
تسعد وتشقى، ترضى وتغضب، تتصل وتتقطع، تسمو وتنحط، تؤمن وتكفر، تطيع وتعصي،  
تحب وتكره، نفسك هي أنت ذاتك، كيف خاطب الله ذات الإنسان؟ قال:

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(سورة لقمان الآية: ٢٣)

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ \* ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً ﴿٢٧﴾

(سورة الفجر الآية: ٢٧ - ٢٨)

يا أيها الإنسان، فالمقصود بالخطاب نفسه.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾

(سورة الانفطار الآية: ٦)

لذلك أيها الأخوة، هذه النفس التي هي ذاتك تذوق الموت ولا تموت، وهي إما في جنة يدوم نعيمها، أو في نار لا ينفذ عذابها، فجسمك هو الوعاء، والنفس ترى من خلال العينين، وتستمع إلى الأصوات من خلال الأذنين، وتعبّر عن حاجاتها عن طريق الفم واللسان، وتتصل بالعالم الخارجي من خلال الحواس.

فهذا الجسم وعاء له نوافذ: نوافذ تتلقى الأصوات، و نوافذ تتلقى الصور، و نوافذ تتلقى الأحاسيس، و نوافذ واسعة جداً تتلقى الحر والقر، فجسمك وعاء نفسك، وفيه نوافذ تنتقل عبرها إحساساتك بالعالم الخارجي، الجسد وعاء، أو ثوب يُخلع.

## ٣- الروح:

للروح القدرة الإلهية هي التي تحرك الجسد، فالروح والله المثل الأعلى، من باب التقريب أقول: لدينا مسجلة، الروح هي الكهرباء التي تسري فيها فيعلو صوتها، لو قطعت عنها الكهرباء لأصبحت كتلة لا معنى لها، البراد ما الشيء الذي يجعله يعمل ويبرد؟ الكهرباء، لو وزنت براداً أو ثلاجة في ميزان دقيق وهو يعمل، ثم قطعت عنه الكهرباء هل يقل وزنه؟ أبداً، كان ثلاجة فأصبح كتلة لا معنى لها، فكل أعضاء الإنسان؛ كالعين ترى بالروح، والأذن تسمع بالروح، واللسان ينطق بالروح، والدماع ينشط بالروح، والمعدة تهضم بالروح، فالروح هي الطاقة المحركة عند الموت، تقطع عن الإنسان هذه الطاقة.

فمثلاً الكبد عن طريق الروح يقوم بخمسة آلاف وظيفة، فلما انقطعت عنه الروح وانقطعت عنه الحياة، صار قطعة من اللحم، فإما أن تحفظها في براد، وإما أن تتفسخ، فالإنسان يقول لك: أريد شطيرة سودة فأساسها كبد، كبد يقوم بخمسة آلاف وظيفة، فلما ذبح الخروف أصبح لحماً يؤكل.

## النفس هي التي تسعد بالقرب من الله وتشقى بالبعد عنه:

أيها الأخوة الكرام، أن في الإنسان نفساً هي ذاته الخالدة، هي التي مصيرها الجنة أو النار، هي التي تسعد بالله أو تشقى بالبعد عنه، هي التي تسمو وتسفل، كل صفات الإنسان صفات بذاته. لو جننا بجسم نبي، أو بجسم أبي جهل، عينان عيانان، أذنان أذنان، لسان لسان، شفتان شفتان، يدان يدان، ما الذي يميز هذا النبي العظيم سيد الخلق، وحبیب الحق عن ذلك الآخر؟ أن نفسه تعرف الله، ونفسه اتصلت بالله، واصطبغت بالكمال الإلهي، وذلك الآخر نفسه بعيدة عن الله، انقطاعها عنه جعلها تسفل وتشقى .

## قلب النفس مسكنها في الصدر وهي المقصودة في الآية:

أيها الأخوة، يقول أحدكم: إنه اليوم متضايق، فهو أكل، وشرب، ونام، كل أمورك ميسرة، لماذا أنت متضايق؟ لأن لديك مشكلة تعاني منها إنها النفس، وإذا قال الله عزوجل:

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾

(سورة الأعراف الآية: ١٧٩)

فهذا قلب النفس وهو المقصود بالآية، ليس قلب الجسد، ليس هذه المضخة الصنوبرية، لا، النفس لها قلب حقاً، لها قلب، ومسكنها الصدر.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾

(سورة لقمان الآية: ٢٣)

﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمَطْمَئِنَّةُ \* ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾

(سورة الفجر الآية: ٢٧-٢٨)

## علم النفس لا يزال في أطواره الأولى:

وقد درسنا في الجامعة في علم النفس أن أمّا في ميلانو، وهي في المطبخ رأت ابنها قد دهسته سيارة في باريس، رآته بعينها، وبعد يومين جاءها النعش، ومعه تقرير بالحادث في الساعة التي رآته قد دهس فيها، تفسير هذه الحادثة صعب جداً، الحادثة واقعة، لكن سموها التخاطر النفسي، معناها النفس لا تزال حتى الآن مجهولة، أعتقد ألكسيس كاريل ألف كتاباً عنوانه [الإنسان ذلك المجهول] وقصد نفسه لا جسده.

ولقد درس الأطباء القلب والرئتين والعينين والأذنين والأجهزة، ودراسات علوم الطب متقدمة جداً، لكن علوم النفس لا تزال في البدايات، ومعلوم لديكم أن سيدنا عمر وهو يقف على المنبر في المدينة، قطع الخطبة ونادى: يا ساريةُ الجبلِ الجبلِ، وهو في بلاد الفرس، ويقول سيدنا سارية سمعتُ صوت أمير المؤمنين يحذرنى العدو، وأن ألتزم الجبل، فهذا هو التخاطر النفسي وهو ثابت علمياً، لكنه غير معروف تفصيلياً، كيف لا نعرف

فهذه النفس كأنها إشعاع، أحياناً إنسان تذكره فإذا هو أمامك، يقال عندئذٍ: حضرت ملائكته، فهذا إشعاع صادر عنه، وهناك حوادث كثيرة جداً من الصعب أن تصدق، الحياة النفسية حياة لا تزال في البدايات.

## تجارب أولية درست حول موضوع الحياة النفسية للنبات:

أنا قرأت مقالة علمية، أستاذ في جامعة ببلد عربي، والجامعة محترمة جداً، عقد في هذه الجامعة مؤتمراً علمياً، فهذا الأستاذ جاء بأربعة خيوط بلاستيكية، حفر في أرض في مكان في

الجامعة، حفر فيها أربع حفر بعمق واحد، وجاء بتربة موحدة، وجاء بنوع قمح موحد، وعدد الحبات واحد، ألفي حبة بألفين، بألفين ، والتربة واحدة، والحَب واحد، والسقيا واحدة، والتسميد واحد، والعناية واحدة ، والمبيدات واحدة، وجاء بطالبة كلفها أن تقرأ عن البيت الأول في الأسبوع مرتين سورة يس والفاتحة والمعوذتين والإخلاص ، البيت الثاني كلف طالبة أخرى أن تمسك بالنبات، وتمزقه لإحداث ألم في النبات، والبيت الثالث كانت الطالبة تلقي كلاماً قاسياً على هذا النبات، وتعذب نباتاً أمامه، والبيت الرابع تُرك على حاله وجعله مقياساً، لا قرآن ولا تعذيب، والنتائج نُشرت في مجلة علمية متخصصة، البيت الأول الذي تلي عليه القرآن نسبة النبات كانت ٤٤ % زيادة على البيت الثاني والثالث، ونمو النبات كان أطول ٦٤ % أو بالعكس ، البيت الثاني والثالث أقل بمقدار ٤٤ أو ٦٤ في نمو الإنتاج، وكان المقياس البيت الرابع، إذا فالله عز وجل قال:

﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾

(سورة الحشر الآية: ٢١)

أن هذا القرآن يتوجه إلى نفس النبات.

#### الاستشهاد بأمثلة على تلك التجربة:

وأحد الأخوة المصلين قال كلاماً يكاد لا يصدق قال لي: نحن لنا بيت قريب من المسجد، بيت عربي قديم، وفيه شجرة تثمر ثمراً معيناً، قال: لقد بقيت عشر سنوات تعطي ثمرتين أو ثلاثاً في السنة، فوالدي شكى همه إلى بستاني قال له: أريد أن أقطع هذه الشجرة لأنه لا فائدة منها، ثم قال له: دعها لي، وسأتيك يوم الجمعة، وفكر والدي أن المشكلة تكمن في التسميد، قال: أنا سأمسك بالمنشار لأقطعها، وأنت يجب أن ترجوني ألا أقطعها، عملية تمثيل أمام نبات، قال لي: أنا استصغرت عقل هذا البستاني ثم جاء بسلم، وصعد إلى منتصفها، وجاء بالمنشار ليقطعها، قال له: أرجوك ألا تقطعها سوف تحمل، تعدي أن تحمل، وهذا الرجل هو صادق عندي، أقسم بالله أنه في العام القادم حملت أكثر من خمسمئة ثمرة، وبقيت عشر سنوات تحمل، فالنبات له نفس، واسأل هؤلاء الذين يتعاملون مع النبات.

يقول لك أحدهم: هذه النبتة لما نقلت من بيت إلى بيت ماتت، كانت منسجمة مع صاحب البيت الأول، هذه أمور لا زالت في البدايات.

#### كذلك تجربة بحثت على بعض الديدان حول الحياة النفسية لها:

في علم الأحياء بعض أنواع الديدان نادرة جداً، إذا قطعتها نصفين ينمو في رأسها ذنب، ولذنبها رأس، جاءوا بهذه الدودة يريدون أن تُشكّل عندها ذاكرة، فوضعوها في محلول، ما الذي يؤلم هذه

الدودة ؟ أن نكهرب المحلول، فلما نكهرب المحلول ومع الكهرياء يتألق مصباح، ويحدث ترابط، كلما كهربنا المحلول تألق المصباح، أي يضيء وهذه التجربة استمرت ستة أشهر إلى أن صار إذا تألق المصباح اضطربت الدودة، هذه بدايات الذاكرة، نحن ربطنا بين تألق المصباح وبين كهربية المحلول بستة أشهر كل يوم، إلى أن تشكل في العقدة العصبية في هذه الدودة ذاكرة بسيطة، الكهرياء في المحلول بعد ستة أشهر تألق المصباح فاضطربت الدودة، يعني صار لديها ذاكرة، قطعوا هذه الدودة شطرين، تجربة خطيرة جداً، وألقوا رأسها في المهملات، فلما لذنها رأس جديد، وفي هذا الرأس الذي نما عقدة عصبية، وضعوا هذه الدودة في محلول، وألقوا المصباح فاضطربت، أن القضية ليست مادية، فلو كانت مادية فذلك الرأس الذي فيه العقدة العصبية والذي برمجه على إحداث ذاكرة عنده خلال ستة أشهر ألقيناه في المهملات، نما رأس جديد، فمن أين جاءت هذه الذاكرة ؟ فقالوا: هناك حياة نفسية لا علاقة لها بالجسد.

### ربما أعطاك فمنعك ، وربما منعك فأعطاك:

هناك شخص قال: قضيت ثماني سنوات في سجن، وكأني في الجنة، أنا لا أكذبه، حفظ كتاب الله كله، وإنسان يقيم بأجمل مكان يقول لك: أكاد أموت من الضيق .

### الدليل:

لقد حدثني أخ من أخواننا، وهو عندي صادق، قال لي: دخلت على إنسان من أثرياء البلد، وقال: لا أبالغ إن حجم ماله أكثر من أربعة آلاف مليون، وقال: كان كل حديثه عن تعاسته، وعن شقائه، فلا يرضى عن بيته، ولا عن زوجته، ولا عن أولاده، ولا عن البلد، ويشكوا الأسواق، فلا بيع ولا حركة ، قال لي: والله يزيد حجم ماله عن أربعة آلاف مليون، قال: واستمعت إلى شكواه، حتى ضاقت نفسي، أربعة آلاف مليون، لم أعد قادراً على الاستماع.

من غرائب الصدق أن رجلاً من أخواننا الكرام محسن، قال: ما إن دخلت محلي التجاري في الحريقة حتى جاءت امرأة محجبة تطلب مساعدة ألف ليرة بالشهر، ما السبب يا أختي ؟ قالت له: زوجي موظف معاشه يكفي للطعام والشراب، وليس معنا ثمن أجرة البيت، أين بيتكم ؟ قالت له: في داريا، قال لها: أنا عندي بالمساء اجتماع بداريا، ونبحث القضية، وأخذ عنوانها، في أثناء الاجتماع مع الجمعية الخيرية قال لهم: عندنا أخت تطلب مساعدة يُرجى التحقيق معها، قال: قم نذهب سوياً إليها، قال: فدخلنا البيت، فما رأيت عيني بيتاً مثل هذا البيت، تحت الدرج، والدرج تحته في فراغ، وهو غرفة ومطبخ، وحمام، مع فسحة صغيرة، بيت لا يمكن أن يسكنه إنسان، وفيه كما قال: أثاث متواضع جداً، لكن البيت نظيف جداً، وزوجها مريض، وعندهم أربعة أولاد، وقال: ما شاء الله ، وجدتهم في نباهة ونظافة، وأقسم بالله وهو عندي صادق وقال: كأن هذا

البيت قطعة من الجنة، فقال لهم: الوضع يحتاج منا مساعدة، قال له: اكتب ألفين، فقالت له: لا ألف أعطوا الألف لغيرنا والحمد لله المعاش يكفيننا، قال: أنا دهشت، واحد حجمه المالي أربعة آلاف مليون من شدة الشكوى ، والألم ، والضيق والضرر كدت أن أسقط على الأرض، وهذا البيت كأنه قطعة من الجنة، ربما أعطاك فمنحك، وربما منعك فأعطاك، القضية نفسية .

### إذا نزلت السكينة على النفس تسعد بها وتشقى بفقدائها:

قد يكون إيمان إنسان بالله قويًا جدًا، واتصاله بالله قويًا، تشعر أنه غني، وهو متفائل، يشع سعادة، وقد يكون الطرف الآخر أغنى منه بكثير، وحركته بمئات الملايين ومع ذلك فهو متضايق، معنى ذلك أن النفس غير الجسم، لك نفس تسعد بذكر الله، وتشقى بالبعد عنه، وهناك شيء اسمه سكينة، إذا أنزل الله على قلبك سكينته سعدت بها، ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدائها ولو ملكت كل شيء، أيُعقل أن يكون لقائد القوات الإسلامية في الشام سيدنا أبو عبيدة الجراح، غرفة فيها جلد غزال، وقدر ماء مغطى برغيف خبز، وعلى الحائط سيفه؟ قال له: ما هذا يا أبا عبيدة؟ قال له سيدنا: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير ألا تبغنا القليل، إنسان في أسعد درجات حياته بهذا التقشف، إنسان عمره ثمانون عاماً سيدنا أبو أيوب الأنصاري يغادر المدينة لينضم إلى الجيوش الفاتحة ويموت في اسطنبول ما هذا؟ هذه السكينة تنزل على النفس تسعد بها ولو فقدت كل شيء، وتشقى بفقدائها ولو ملكت كل شيء.

### إذا توصلت إلى معرفة نفسك حققت الهدف من سعادتها:

أيها الأخوة الكرام، الآخرة هي رحلة النهاية، كلنا إلى هذا اليوم قادمون، فالبطولة والاستعداد لهذا اليوم، والإنسان لا يدري متى الأجل، والله درُّ القائل:

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر  
فكم من صحيح مات من غير علة وكم من سقيم عاش حيناً من الدهر

فإذا عرف الإنسان حقيقته، وعرف مهمته، وعرف مصيره، وعرف هدفه الكبير، ينسجم مع هذه المعطيات فيسعد.

كيف تطمئن نفسك؟

أيها الأخوة، لاحظ نفسك، فإن كنت في تقشف شديد، وشعرت أن الله راضٍ عنك فأنت تشعر بسعادة لا توصف، وحينما تكون بأعلى درجات النعيم المادي، و كنت غارقاً في معصية، فأنت محجوب عن الله عز وجل، وأنت معذب، هكذا شأن قلب النفس فلا يسعد إلا ذكر الله، وقرأ الآيات الكريمة:

## ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

(سورة الرعد الآية: ٢٨)

لا تطمئن إلا بذكر الله سبحانه، لو أن الله عز وجل قال: تطمئن القلوب بذكر الله لبقى المعنى قاصراً، يعني وقد تطمئن بغير ذكر الله، أما حينما جاءت الصيغة صيغة قصر " ألا بذكر الله تطمئن القلوب " أي أن القلوب لا تطمئن إلا بذكر الله، وجرب أكل طعام طيب، واجلس في مكان جميل، لكن مع البعد عن الله، فهذا المكان قطعة من النار، وجرب أن تجلس في مكان متواضع، لتأكل أكلاً خشناً، وأنت ذاكر لله، فالحال مختلف.

حينما أمر في الطريق إلى الزبداني، وأرى مقاصف وملاهي، مئة سيارة أمامها، أقول: ماذا في الداخل؟ راقصة، ومغنية، وطعام، هؤلاء الذين أرادوا هذا المكان يبحثون عن متعة، عن لذة، يأكلون ويشربون ويملؤون عيونهم من محاسن امرأة لا يحل لهم أن ينظروا إليها، أقول لو عرفوا ما عند الله من سعادة، لأووا إلى الله، ولجؤوا إليه، وأقاموا في محرابه، ومرغوا جباههم عند أعتابه، هم لا يعلمون.

### إذا ارتقى المؤمن في إيمانه ازداد حبا لله وتقرباً منه:

أيها الأخوة، المؤمن إذا ارتقى في إيمانه فلا تطمئن نفسه إلا أن تكون العلاقة بينه وبين الله علاقة عالية المستوى، المؤمن رأس ماله محبة الله له، رأس ماله أنه في رضوان الله، رأس ماله أن المستقبل لصالحه، الزمن في صالح المؤمن وليس في صالح الكافر، كلما تقدم بالمؤمن السن ازداد معرفة بربه، وازداد يقيناً بقلائه، وازداد عمله الصالح إخلاصاً، وازداد وقته انشغالاً بطاعة الله، وكلما اقترب العمر من نهايته رأيته مستبشراً لأن كل هذا العمر من أجل ساعة اللقاء. ولدينا حديث قدسي حينما أقرأه يقشعر بدني، فعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قال:

((مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أَحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ وَلَكِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاعَتَهُ))

(أخرجه البخاري)

يقول الله عن ذاته العلية:

(( وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ))

وإن الله لا يتردد، لكن هذا لتقريب المعنى إلينا

## (( يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ))

هياً له جنة عرضها السموات والأرض، له حياة مريحة، لا تعب فيها ولا نصب، فالإنسان كل معلوماته دنيوية، لكن لو عرف ما عند الله ، لقال كما قال مؤمن يس:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾

(سورة يس الآية: ٢٦)

### اجتهاد بعض علماء الحديث في تعذيب الميت بأهله:

هناك حديث مشكل عند علماء الحديث، فعن أبي بردة عن أبيه قال لما أصيب عمر رضي الله عنه جعل صهيب يقول وا أخاه فقال عمر: أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

((إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ الْحَيِّ))

(متفق عليه)

ما علاقته إذا بكى أهله ؟ بعض علماء الحديث فهم هذا الحديث فهماً رائعاً، قال: إن الميت المؤمن إذا انقلب إلى الله عز وجل، ورأى ما فيه من النعيم يتألم لبكاء أهله عليه ، يعذب ببكاء أهله عليه، يقول أنا: في خير، أنا في جنة، إياكم أن تبكوا.

### الموت عرس المؤمن:

ولقد قصّ علي أحد أخواننا قصة تكاد لا تصدق، امرأة سالحة لدرجة غير معقولة، حدثني عن قصتها ابنها وزوجها كان في مجلس التعزية، قال: كانت تقضي ليلها في قراءة القرآن والصلاة مطيعة لله عز وجل، تؤدي واجباتها لزوجها أداءً غير معقول، ترعى أولادها وبناتها رعاية فائقة، لكرامتها عند الله قالت لهم: لقد دنا أجلي، لكن لا تشكوا شيئاً، ودعت أولادها، وطلبت بناتها وأصهارها، ثم وافتها المنية، قالت قبل أن تموت: لا تقيموا مأتم عزاء، أقيموا حفلة عند موتي، والذي فعله أهلها أنهم جاءوا بمنشدين، وأقاموا حفلاً، ووزعوا حلويات، لأن يقينها بما عند الله من سعادة شيء لا يوصف ، المؤمن كذلك يجب أن يتيقن أن بعد الموت جنة فيها:

((مَالَا عَيْنَ رَأَتْ، وَلَا أذُنَ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ))

نحن في غفلة، نحن كل مقاييسنا مادية، فلان بيته كبير فهنيئاً له، فلان يملك شركة ضخمة فهنيئاً له، فلان سيارته موديل جديد ما أسعده ! فلان ورث أرضاً فصار ثمنها مئة ضعف فالهناء له، هذا ما فعله قوم قارون:

﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ \* وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾

(سورة القصص الآية: ٧٩-٨٠)



أيها الأخوة الكرام، أريد أن أقول لكم : إنّ موضوعات يوم الآخر موضوعات خطيرة جداً، فيجب أن تعرف من أنت ؟ وما الذي يبقى منك ؟ وماذا بعد الموت ؟ وماذا في القبر ؟ وماذا بعد القبر ؟ لأن هذا كله حقّ، وسيكون.

سألت مرة شيخاً يعمل في دفن الموتى فقال: لدينا كل يوم في الشام ثمانون حالة وفاة، وهم بشر مثلنا، أشخاص لهم بيوت، ولهم أعمال وتجارة، فهذا المرحوم فلان، وهذا الشاب فلان، وهذه الشابة فلانة، مرة عميد أسرته، ومرة الدكتور فلان، ومرة المحامي فلان، مرة رتبة عسكرية عالية جداً، هكذا والحبل جرّار، كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت .

**و الليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر**

**والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر**

من هو العاقل ؟ هو الذي يستعد لهذا الموت الذي لا بد منه، يستعد له بالتوبة والعمل الصالح.

**والحمد لله رب العالمين**

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤١٩ : خ ١ - حقيقة الإنسان في القرآن ١ ، خ ٢ - تلوث الهواء .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١١-١٢-١٩٩٢

## بسم الله الرحمن الرحيم

### آيات من القرآن الكريم تُعرّف الإنسان بنفسه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا شكّ أن الله جلّ جلاله زوّد الإنسان بقوة إدراكيّة ، فهذه القوة الإدراكية ؛ من سمع ، من بصر ، من عقل ، من فكر ، من إدراك ، هذه القوة الإدراكية أيّ موضوع من موضوعات الحياة الدنيا أهم بالنسبة إليها ؟ لا شكّ أيها الأخوة أن الإنسان إذا عرف نفسه عرف كل شيء ، والله جلّ جلاله في القرآن الكريم في آيات كثيرة يُعرّفنا بذاتنا ، إذا عرف الإنسان نفسه عرف ربه ، عرف مهمته ، عرف لماذا هو في الدنيا ، آيات كثيرة اخترت لكم منها آيات ثلاث في هذه الخطبة ، هذه الآيات تُعرّفنا بأنفسنا ، الآية الأولى :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

[ سورة الإنسان : ١ ]

الإنسان ، إذا جاءت معرفةً بـ (أل) أيّ أيّ إنسان ، جنس الإنسان ، نوع الإنسان .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

[ سورة الإنسان : ١ ]

كلّ منا له تاريخ ميلاد ، قبل هذا التاريخ هل كان مذكوراً ؟ هل كان معروفاً ؟ هل كان موجوداً ؟ هل له وزن ؟ هل له حجم ؟ هل له اسم ؟ هل له سمعة ؟ هل له أثر ؟ هل له إشارة ؟ . .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

[ سورة الإنسان : ١ ]

هذا هو النص ، ماذا يعني هذا النص ؟ يعني أن الإنسان حادث كان بعد أن لم يكن ، وجد بعد أن لم يوجد ، هو حادث ، وكل حادث لا بدّ له من مُحدث ، كل شيء كان بعد أن لم يكن ، وجد بعد أن لم يوجد ، لا بدّ له من مُحدث ، لا بدّ له من موجد ، هذا المُحدث ، هذا الموجد ، أليس له منهج ؟ أليس له أمرٌ ونهي ؟ أليس له دستور ؟ أليس له توجيه ؟ أليس له تعريف ؟

﴿ أَيْحْسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾

[ سورة القيامة : ٣٦ ]

بلا حساب ، بلا مسؤولية ، بلا جزاء ، ظالمٌ ومظلوم ، قويٌّ وضعيف ، غنيٌّ وفقير ، وتنتهي الحياة هكذا من دون تسوية حسابات ، من دون أن يؤخذ حق الضعيف من القوي ، وحق المظلوم من الظالم ، وحق الفقير من الغني ، وحق المريض من الصحيح . .

﴿أَيْحَسِبَ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى \* أَلَمْ يَكْ نُطْفَئَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى \* ثُمَّ كَانَ عُلُقَةً فَخَلَقَ فَسَوَى \* فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى \* أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾

[سورة القيامة : ٣٦-٤٠]

ليجزى المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

## الدعاء خصائص الإنسان في القرآن الكريم :

### ١ - الإنسان حادث :

هذه الآية أيها الأخوة :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴾

[سورة الإنسان : ١]

مفادها أن الإنسان حادث ، من أحدثه ؟ أن الإنسان موجود وجوداً طارئاً ، من أوجده ؟ أن الإنسان مخلوق خلقاً سبقه عدم ، من خلقه ؟ هذا الذي أحدثه ، أو الذي أوجده ، أو الذي خلقه أيعقل ألا يحاسبه ؟!

﴿أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾

[سورة القيامة : ٣٦]

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ \* فَتَعَالَى اللَّهُ﴾

[سورة المؤمنون : ١١٥-١١٤]

جلَّ شأنه ، وعظمت أسماؤه ، وتنزَّهت صفاته عن أن يخلقنا عبثاً بلا مسؤولية ، بلا حساب ، بلا ديمومة ، بلا جزاء .

أيها الأخوة الأكارم ؛ كلُّ منا يعرف تاريخ ميلاده ، قبل هذا التاريخ هل كان شيئاً مذكوراً ؟ هل كان موجوداً ؟ هل كان مخلوقاً ؟ هل كان معروفاً ؟ هل له أثر ؟ هل له سمعة ؟ هل له مكانة ؟ لم يكن شيئاً مذكوراً ، إذا أنت حادث ، من الذي أوجدك من العدم ؟ هذا الذي أوجدك من العدم

سياسك ، وسيحاسبك ، ولك منهجٌ ينبغي أن تسير عليه ، ولك قانونٌ ينبغي أن تضبط نفسك فيه ،  
ولك دستورٌ ينبغي أن تهتدي بهداه ، هذه الآية الأولى .

## ٢ - الإنسان مبتلى :

أما الآية الثانية يا أيها الأخوة الأكارم فهي قوله تعالى :  
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا \* إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا  
وَإِمَّا كَفُورًا﴾

[سورة الإنسان: ١-٣]

هذه الآية لها أبعادٌ عميقةٌ جداً . .

### ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾

أي أن هذه النطفة فيها مورثات ، والمورثات تشترك بها البويضة والنطفة ، مورثاتٌ مختلطة ،  
كل مورثٍ مسؤولٍ عن صفةٍ من صفات الإنسان ، وقد قدر العلماء أن المعلومات المبرمجة التي  
على البويضة المُلقحة تزيد عن خمسة آلاف مليون معلومة ، عرف العلماء منها حتى الآن  
ثمانئة معلومة فقط من خمسة آلاف مليون . .

### ﴿مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾

هذا طويلٌ وهذا قصير ، هذا أبيضٌ وهذا ملونٌ ، هذا ذكيٌ وهذا أقل ذكاءً ، هذا قويٌ وهذا  
ضعيف ، هذا صحيحٌ وهذا مريض ، الحظوظ وزعها الله عز وجل توزيعاً أساسه الابتلاء ، تبئلي  
بالغنى كما تبئلي بالفقر ، تبئلي بالوسامة كما تبئلي بالدمامة ، تبئلي بالقوة كما تبئلي بالضعف ،  
تبئلي بالصحة كما تبئلي بالمرض . .

### ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

إذا أنت في هذه الدنيا ، هذه الدنيا صُممت وأنت صُممت ، وجُبلت نفسك ، وجرت الأحداث من  
حولك على محور الابتلاء ، أتيت إلى الدنيا وسوف تخرج منها ، ولكن ما الذي كان فيها ؟ أنه قد  
ابتليت ، أي امتحنت ، أي نجحت أو رسبت ، المال مادة الابتلاء ، الصحة مادة الابتلاء ، القوات  
مادة الابتلاء ، كل شيء آتاك الله إياه هو مادة ابتلاء ، وكل شيء حرمك الله منك هو مادة ابتلاء  
، وكل شيء تواجهه حُرمت منه أو أُعطيت منه هو مادة ابتلاء ، فسرٌّ وجودك ، مهمتك الأولى ،  
الدنيا مُصممة على أنك مبتلى ، أي ممتحن ، تمتحن بالزوج ، تمتحن بالزوجة ، تمتحن بالولد ،  
تمتحن بكل حظٍ آتاك الله إياه . .

## ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

### لوازم و موجبات الابتلاء :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ مادام هناك ابتلاء لابدّ من إدراك ، لابدّ من وسائل إدراك، لابدّ من وسائل العِلْم ، لابدّ من وسائل المعرفة . .

## ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

ومن لوازم الابتلاء ، ومن خصائص الابتلاء ، ومن موجبات الابتلاء . .

## ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

يرى ويسمع ، يرى ظواهر الأشياء ، يرى الآيات الدالة على وجود الله ، يرى الآيات الدالة على وحدانيته ، يرى الآيات الدالة على كماله ، يرى الآيات الدالة على أن هذا الإنسان هو نبيّ الله ، يرى الآيات الدالة على أن هذا القرآن هو كلام الله ، تطابق ما فيه مع الواقع . .

## ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

حينما جعلَ الإنسان سميعاً بصيراً أُعطيَ مقوماتَ الابتلاء ، مقوماتَ الابتلاء أن يسمع ويبصر . .

## ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[ سورة الإنسان : ٢ ]

وقد يسأل سائل : لعلّ الإنسان لم يسمع ، لعلّ الإنسان لم يعقل ، لعلّ الإنسان لم يُشاهد ، لعلّ الإنسان تاه في بيداء الحياة ؟ قال :

## ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

آتيناه الشّرْع ، أنزلنا على أنبيائنا الكتب ، هؤلاء الأنبياء بيّنوا ، وضّحوا ، فصلّوا ، دلّوا ، أشاروا ، حذّروا ، أنذروا ، بشرّوا ، هناك مهمة كبيرة قام بها الأنبياء . .

## ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

إذا :

## ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

من لوازم الابتلاء :

### ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

وفوق ذلك أعطيناه قوة إدراكية ، ومع القوة الإدراكية هديناه إلى طرق السعادة ، إلى طريق الهدى . .

### ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

سبيل الخلاص ، سبيل السلامة ، سبيل السعادة ، سبيل النجاة ، سبيل الفوز ، سبيل الفلاح ، سبيل النجاح ، هذا الإيجاز ، هناك بلاغة في الإيجاز ، هذا يسميه علماء البلاغة " إيجاز غني " .

### ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

السبيل الموصل إلى الله ، السبيل المنجي من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة ، السبيل المُسعد . .

### ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

الإِنسان مخير و مسؤول عن عمله :

أما آخر فقرة في الآية . .

### ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

أي أنّ الإنسان مخير ، من لوازم الابتلاء أن تكون له قوة إدراكية ، من لوازم الابتلاء أن يكون بين يديه منهج ، وشرع ، من لوازم الابتلاء أن يكون مخيراً . .

### ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

ومما يفهم من هذه الآية أن الإنسان تحت المراقبة الدقيقة ، ومما يفهم من هذه الآية أن هناك ثواباً وعقاباً ، ولولا الثواب والعقاب لما كان من معنى للابتلاء ، الابتلاء لا معنى له ، ما معنى أن هناك امتحاناً؟ معنى الامتحان أن بعده نجاحاً أو رسوباً ، معنى المسابقة أن هناك تعييناً أو سقوطاً ، أي ابتلاء من دون مؤيد قانوني لا معنى له ، إذاً هذه الآية على إيجازها ، وعلى قصرها ، وعلى دقة كلماتها فيها معان كثيرة ، وفيها تبيان لحقيقة الإنسان ، الإنسان أولاً أعطاه الله حظوظاً متفاوتة ، وزّع الله الحظوظ توزيع ابتلاء ، وسوف تُوزع يوم القيامة توزيع جزاء ، هذا معنى :

### ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾

نبتليه ، أي سرّ وجودك على هذه الأرض الابتلاء . .

﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾

[سورة العنكبوت : ٢]

لابدَّ من أن يُفْتَنُوا ، لابدَّ من أن يمتحنوا ، وفي آية ثانية :

﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾

[سورة المؤمنون : ٣٠]

وفي آية رابعة :

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

[سورة الكهف : ٧]

إذا أنت تعيش في الحياة ؛ تتحرَّك ، تكسب المال ، تنفق المال ، تنزوج ، تطلق ، تلهو ، تمرح ، تحزن ، تتحرَّك ، كل هذا النشاط تحت المراقبة الدقيقة ، وكلُّه مسجَّل ، تحت المراقبة الدقيقة ، ومسجَّلٌ بدقائقه ، وتفصيله ، وألوانه ، وأصواته ، وحركاته ، وسوف يُعْرَضُ عليك هذا الشريط يوم القيامة ، ويقول الله لك :

﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

[سورة الإسراء : ١٤]

نحن في دار ابتلاء وانقطاع ؛ كما بيَّن النبي عليه الصلاة والسلام ، الانقطاع ينقطع فيها كل شيء ، ينتهي المرض ، تنتهي الصحة ، ينتهي الجاه ، تنتهي المكانة ، تنتهي متعة الأولاد ، تنتهي متعة الزوجة ، كل شيء في الدنيا ينتهي ، الموت ينهي كل شيء . . . دار ابتلاء وانقطاع ، الآخرة دار جزاء وخلود ، استمرار ، جزاء مع استمرار ، ابتلاء مع انقطاع .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الآية وحدها تبين حقيقة الإنسان :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[سورة الإنسان : ٢]

أي أعطيناها قوة إدراكية ، وأنزلنا عليه التشريع السماوي ، وراقبناه مراقبةً دقيقة ، وسجلنا عمله ، وأعطيناها الاختيار ، وسوف نعاقبه أو نكافئه . كل هذه المعاني مستتبطة من هذه الآيات القصيرة ، الموجزة ، البليغة ، الحاسمة .

٣ — الإنسان في دار كدح و جدّ و عمل :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ آية ثالثة :

## ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾

[سورة البلد : ٤]

طبيعة الحياة الدنيا طبيعة مشقةً وجهد ، الدنيا دار مشقة ، دار سعيٍ وكَد ، دار كَدْح . يا أيها الإنسان ، دققوا ، حيثما وردت كلمة (الإنسان) معرفةً بـ (أل) أي مطلق الإنسان ، جنس الإنسان، نوع الإنسان ، أي إنسان كائنًا من كان ، في أي زمانٍ ومكان . .

## ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾

[سورة الانشقاق : ٦٠]

الكدح بذل أقصى الجهد بأي شيء ، الإنسان مخيّر ، حتى لو أراد طريق الشقاء لا بدّ من كدحٍ شديد ، هؤلاء الذين يحملون بثرواتٍ طائلةٍ ليتمتعوا ، سبق هذا التمتع جهدٌ كبير في تحصيل هذه الأموال ، مخاطرة ، سهرٌ في الليل ، دأبٌ في النهار ، حتى يجمع هذه الثروة كي يعيش كما يشتهي ، إذًا طبيعة الحياة الدنيا أساسها الكَدْحُ ، طبيعة الحياة الدنيا أن الإنسان في كَبَدٍ ، أي في شدةٍ ومشقةٍ وضيق ، هذا شأن الحياة ، أكبر خطأ يرتكبه الإنسان حينما يريد الحياة الدنيا أن تكون دار نعيم ، دار استمتاع ، دار استرخاء ، دار اقتناصٍ للشهوات ، إذا أرادها كذلك هَلَكَ وأَهْلَكَ ، أما إذا أرادها كما أراد الله عزَّ وجل ، أرادها دار جهدٍ . فطبيعة المدرسة ، طبيعة الجامعة أساسها بذل الجهد ؛ الدوام ، الدراسة ، السهر ، المذاكرة ، تأدية الامتحانات ، النتائج المفرحة أو المؤلمة ، أنت في دار مشقة ، هذه طبيعة الحياة الدنيا . .

**(( إن الله أوحى إلى الدنيا أن تكذّري وتمرري وتضيقي وتشددي على أوليائي حتى يحبوا**

**لقائي))**

[ورد في الأثر]

ما كان لمدرسة أن يكون فيها كل شيء ممتع ، فيها كل شيء يدعو إلى الجدِّ والعمل ، الآخرة بالعكس هي دار سرور ، دار نعيم ، بمجرد أن يخطر في بالك شيء تحصل عليه ، على خاطر، أما في الدنيا فمن أجل أن تحصل على شيء لا بدّ من جهدٍ جهيد ، لا بدّ من تعب ، لا بدّ من سهر ، لا أعني أهل الآخرة ، بل أهل الدنيا والآخرة معاً ، طبيعة الحياة الدنيا هكذا ، هؤلاء الذين نجحوا ، ما وصلوا إلى النجاح إلا بعد شقّ الأنفس ، أحد العلماء الأجانب يقول : " العبقريّة تسعّ وتسعون بالمئة منها عرق - أي جهد - وواحد بالمئة إلهام " ، إشراق .

فإنه عزَّ وجل أراد لهذه الدنيا أن تكون دار تعبٍ ، دار جهدٍ ، دار كَد ، دار نصَبٍ ، ليكون هذا الكد ، والتعب ، والجهد ، والنصَبُ ثمن دار النعيم .



يا أيها الأخوة الأكارم ؛ دققوا . . الإنسان حينما تتجه النطفُ لتلقيح البويضة إنها في سباق ، ثلاثمئة مليون حوين تختار البويضة منهم واحداً ، هم في سباق ، وفي معركة إلى أن يصل المتفوق إلى هذه البويضة فيلقحها ، من أين بدأ الجد والمسابقة والكسب والمشقة ؟ منذ تلقيح البويضة ، يخرج الطفل من أضييق الأمكنة ليعاني من آلامٍ مبرحة ، يخرج إلى الدنيا باكياً ، كيف يرقى الطفل من طورٍ إلى طورٍ ، ومن حالٍ إلى حالٍ ؟ كل هذا يحتاج إلى أن يطلب العلم ، وأن يحاسب ، وأن يؤدّب ، فإذا كبر كلما انتقل إلى مرحلة ظهرت له أهدافٌ جديدة ، ولهذه الأهداف وسائل ، ولهذه الوسائل عقبات ، وهكذا إلى أن تنتهي حياته كلها وهو في نصبٍ وتعبٍ وجدٍ ، هكذا شاء الله أن تكون الحياة ، فمن احترم مشيئة الله عزَّ وجلَّ سعد بها ، شاء الله أن تكون الدنيا دار ابتلاء ، وشاء الله أن تكون الدنيا دار جهدٍ ، وكدٍ ، وتعبٍ ، ونصبٍ ، وشاء الله أن تكون الدنيا دار عمل لا دار نعيم .

#### ٤ - الإنسان علمه الله البيان :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان في آيةٍ رابعة قال تعالى :

﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن : ١-٤]

من صفات الإنسان في القرآن أن الله امتنَّ عليه بالبيان ، البيان عند الإنسان من المواهب الجليلة العظيمة ، من أعظم المواهب أنه ينطق ، أنه يتكلم ، أنه يفهم ، أنه يكتب ، أنه يقرأ . .

﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن : ١-٤]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ البيان وسيلةٌ يعرف بها الإنسان ما عند غيره من علوم ، من حقائق ، من خبرات ، وسيلةٌ يُعرَف بها الإنسان غيره حصائل خبراته وتجاربه ، ويتعرَّف بها على حصائل خبرات الآخرين وتجاربهم ، هي الوسيلة التي يكشف بها الإنسان عن مطالبه ، وعن حاجته ، وعن مشاعره ، وعن آلامه ، وعن آماله ، وينقلُّ بها أفكاره وعلومه إلى الناس ، وينقلُّ بها أفكار الناس وعلومهم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ اللسان ، أو البيان يجعل الإنسان يلتقي مع أخيه الإنسان ، لقاءً فكرياً أو لقاءً عاطفياً ، وسيلةً رائعة من وسائل الالتقاء ، التقاء فكري تحدثه عن أفكارك ، عن معتقداتك ، عن آرائك ، عن تصوّراتك ، وهو يحدثك ، تنقل له مشاعرك وهو ينقل لك مشاعره .

أما إذا أضيف إلى اللسان الكتابة - دققوا - إذا أضيف إلى مَلَكَةِ اللسان مَلَكَةَ البيان ، الكتابة نقلت الأفكار من جيلٍ إلى جيل ، من أقصى الدنيا إلى أقصى الدنيا ، من ألف عام إلى بعد ألف عام ، إذا تدخلَ القلم والكتاب نقلت الإنسانية تراثها من جيلٍ إلى جيل ، من حقبٍ إلى حقب ، من قارةٍ إلى قارة ، من عالمٍ إلى عالم ، هذه ميزة ، هذه الميزة من أجل أن تسعد في الدنيا والآخرة . أيها الأخوة الأكارم ؛ اللسان كما تعلمون يُترجم حقيقة النفس ، اللسان يترجم عَزَمَ النفس ، فالبيع يتم بكلمة ، قد تبيع بيتاً بمئة مليون بكلمة : بعت . فانتهى الأمر . الشركة ، الرهن ، الهبة ، الزواج ، الطلاق ، العتاق ، إنهاء الشركة بكلمة ، فإله عزَّ وجل جعل الكلمة تعبيراً عما في نفس الإنسان ، لذلك روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(( إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها إلى جهنم ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

إذا خصيصة رابعة : الإنسان حادث ، والإنسان مُبتلى ، والإنسان في دار كدح وجد وعمل ، والإنسان علمه الله البيان ، وبهذا البيان إما أن يرقى إلى أعلى عليين ، وإما أن يهوي إلى أسفل سافلين ، هذه خصائص الإنسان في القرآن . .

(( إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما يُلقى لها بالاً يرفعه الله بها درجات ، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سَخَطِ الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها إلى جهنم ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

وروى الترمذي عن سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

(( يا رسول الله حدثني بأمرٍ أعتصم به ؟ قال : قل ربي الله ثم استقم - هذا أهم ما في الأمر - قلت : يا رسول الله ما أخوف ما تخاف عليه ؟ فأخذ النبي عليه الصلاة والسلام بلسانه - هو - أمسكه بيده وقال : ثم هذا ))

[ الترمذي عن سفيان ]

كيف أن الدين بسيط ؟ كلامٌ بليغٌ وجيز . قل : آمنت بالله رباً ثم استقم على أمره ، طريق النجاة وطريق الهلاك هذا اللسان ، هذا البيان الذي علمك الله إياه . .

﴿ الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[ سورة الرحمن : ١-٤ ]

أيضاً ممتحنٌ باللسان ، إما أن ترقى به إلى أعلى عليين ، وإما أن يهوي الإنسان به إلى أسفل سافلين ، إما أن يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً من رضوان الله عزَّ وجلَّ يرفعه الله بها درجات ، وإما أن يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما يلقي لها بالاً ، يهوي بها في جهنم دركات .

### معرفة النفس و حقيقة الوجود أخطر موضوع في حياة كل إنسان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ إن شاء الله تعالى سأتابع هذا الموضوع في خطبٍ أخرى علّنا نعرف حقيقة الإنسان من خلال القرآن ، إذا عرف الإنسان نفسه عرف ربه ، حقيقة الإنسان من خلال القرآن . الآية الأولى : الإنسان حادث ، موجود بعد عدم ، لا يبدؤ له من مُحدث ، هذا المُحدث ، هذا الموجد، ألا يحاسبه ؟ ألا يعاقبه ؟ ألا يجازيه ؟ هذه أول نقطة في الموضوع . الثانية : الإنسان مبتلى . .

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ﴾

من لوازم الابتلاء القوة الإدراكية . .

﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

من لوازم الابتلاء الهداية الربّانية . .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

ومن لوازم الابتلاء أن الإنسان مُخَيَّر ، ومع التخيير هو تحت المراقبة الدقيقة ، ومن لوازم الابتلاء أن الإنسان مجزيٌّ ؛ إما بالخير إن كان عمله صالحاً ، وإما بالعقاب الأليم إن كان عمله سيئاً .

ومن لوازم الابتلاء في الإنسان البيان ، وبالبيان يرقى إلى أعلى عليين أو يهوي إلى أسفل سافلين .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ما من موضوعٍ أخطر من أن تعرف نفسك ، من أن تعرف نفسك التي بين جنبيك ، من أن تعرف حقيقة وجودك ، من أن تعرف سرَّ وجودك ، من أن تعرف مهمة وجودك، من أن تعرف حقيقة الحياة الدنيا ، من أن تعرف طبيعتها ، خصائصها ، من أن تعرف ماذا بعد الحياة الدنيا .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنَ عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### تلوث الهواء :

أيها الأخوة الأكارم ؛ أردت في هذه الخطبة الثانية أن أقرأ لكم صفحة واحدة ، من مقالة علمية موثقة منشورة في كتاب مدرسي ، يُدرّس حالياً ، المقالة حول تلوث الهواء ، لكم أن تستنبطوا منها أشياء كثيرة ؛ لكم أن تستنبطوا منها أن ما يفعله الإنسان في البيئة يؤثر تأثيراً سلبياً على صحة الإنسان ، هذه المقالة لكم أن تستنبطوا منها أن الإنسان وإن بدا لكم قد رفّه حياته لكنه دمرّها من ناحية أخرى .

يقول المقال : إن تلوث الهواء بأكسيد الكربون قائمٌ ما بقيت السيارة والطيارة والآلة في أي مصنع ، أو مزرعة . هذا الغاز ماذا يفعل ؟ يخترق ويتحد بخضاب الدم ، غاز ثاني أكسيد الكربون الذي تنفثه السيارات والطائرات وكل أجهزة الاحتراق ، احتراق الوقود السائل ، غاز ثاني أكسيد الكربون يتحد بخضاب الدم ، خضاب الدم هو المادة الحمراء في الدم ، المادة الحديدية في الدم ، هذا الحديد يتفاعل مع غاز ثاني أكسيد الكربون فيعمل على طرد الأوكسجين الذي ينقله الدم ، لأن اتحاد هذا الغاز بالخضاب أقوى من اتحاده بالأوكسجين ، مما يسبب نقصاً في نصيب الخلايا من الأوكسجين ، ما الذي يحدث ؟ يرتفع معدّل خفقان القلب ، يزداد تعب الجهاز التنفسي ، وكل هذا يسبب توترات وإجهادات تؤدّي إلى كثيرٍ من أمراض القلب والصدر، وعندما يتنفس الإنسان هواءً يحتوي على ثمانين جزءاً من المليون من غاز أكسيد الكربون مدة ثمانين ساعات ، أنت في شارع مزدحم ، والسيارات تنفث هذا الغاز السام ، ثمانين ساعات إذا تنفست أو استنشقت هواءً ملوثاً فيه ثمانين جزءاً من المليون من هذا الغاز ، ما الذي يحدث ؟ إن سرعة نقل الأوكسجين للدم تقل بنسبة خمسة عشر بالمئة ، ويسبب هذا يفقد الدم خواصه الأساسية . وعندما تشتد حركة المرور ، وتزدحم الشوارع بوسائط النقل المختلفة في أوقات الذروة، فإن محتوى الهواء من أكسيد الكربون يبلغ ثمانين جزءاً في المليون ، لذلك كثيراً ما يصاب سكان المناطق المزدحمة بالمرور بأعراض التسمم الحاد ، والصداع ، وضعف الرؤية ، ونقص في تناسق

العضلات ، والغثيان ، وكثيراً من الآلام الباطنية ، وفي الأحوال الأكثر حدّةً تكون هذه الأعراض مصحوبةً بفقدان الوعي ، والموت المفاجئ أحياناً . هذا الهواء الملوّث بثاني أكسيد الكربون ، هذا من محصلة الحضارة الحديثة ، رقي الإنسان أن يركب في سيارة ، ويمشي في طرقاتٍ فخمة مزدحمة بالسيارات . ويعدّ أكسيد الكربون مسؤولاً عن زيادة معدلات الإصابة بأمراض الربو المزمن ، والالتهاب الرئوي الحاد ، إلى ما هنالك من أعراضٍ لأمراضٍ كثيرة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الحياة صمّمت تصميماً نظيفاً ، ونحن لوّثناها ، لوّثناها بالآلاتنا ، ولوّثناها بأخلاقنا ، والتلوّث واسعٌ جداً ، هناك جو ملوّث بالصوت ، هذا الضجيج الدائم هذا تلوّث للبيئة ، هذا الغاز السام تلوّث للبيئة ، كل شيءٍ صنعه الإنسان يبتغي به الرفاهية ، إنما حقق هدفاً وخسر أهدافاً كثيرة ؛ خسر صحته ، خسر سلامته ، خسر صفاءه ، لا أدعوكم إلى ترك ركوب السيارة ، لا ، ولكن أقول لكم : أردت من هذا الكلام أن أبين لكم ما أثر الحضارة الغربية في البيئة الإنسانية .

### والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢٠ : خ ١ - حقيقة الإنسان في القرآن ٢ - نعمة البيان، خ ٢ - تذكية الذبيحة .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٨-١٢-١٩٩٢

بسم الله الرحمن الرحيم

### الإنسان حادث و ممتحن و كادح :

أيها الأخوة الأكارم ؛ في الخطبة السابقة بدأت موضوعاً حول حقيقة الإنسان في القرآن ، وذكرت أنه حينما وردت كلمة الإنسان معرفة بأل فتعني أي إنسان ، جنس الإنسان ، ونوع الإنسان ، وقد وردت آيات كثيرة تزيد عن عشرين آية تعرف بحقيقة الإنسان ، وهل من موضوع أخطر وأهم بالنسبة إلى الإنسان من أن يعرف ذاته لا من زاوية المتوهمين ، ولا من زاوية الماديين ، ولا من زاوية الحالمين ، ولكن من زاوية رب العالمين ؟ القرآن الكريم حدثنا عن الإنسان ، وسألخص لكم سريعاً موضوع الخطبة السابقة .

الإنسان حادث ، والحادث لا بد له من محدث ، والمحدث سيسأل وسيحاسب ، قال تعالى :

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾

[سورة الإنسان : ١]

والإنسان ممتحن .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

[سورة الإنسان : ٢]

سرّ وجوده على هذه الأرض أنه ممتحن .

﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

[سورة الملك: ٢]

﴿ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾

[سورة العنكبوت: ٢]

﴿ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴾

[سورة المؤمنون: ٣٠]

سرّ وجودنا على هذه الأرض من أجل أن نمتحن .

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَنَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾

[سورة الفجر : ١٥]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من لوازم الامتحان أن يهب الإنسان قوة إدراكية :

﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

[سورة الإنسان : ٢]

ومن لوازم الابتلاء التكليف ؛ افعل ولا تفعل .

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾

[سورة الإنسان : ٣]

ومن لوازم الابتلاء أن الإنسان مخير .

﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾

[سورة الإنسان : ٣]

ومن لوازم الاختيار المسؤولية ، ومن لوازم كل هذا أن الإنسان تحت المراقبة الشديدة .

﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾

[سورة النساء : ١]

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبَلِْمْرْصَادٍ﴾

[سورة الفجر : ١٤]

ومن خصائص الإنسان في القرآن أن الإنسان كادح ، فطبيعة الحياة الدنيا مبنية على بذل الجهد ، لكن الحياة الآخرة أساسها الطلب ، اطلب تعطى ، في الدنيا اسع ، الدنيا دار عمل ، والآخرة دار جزاء ، الدنيا دار تكليف ، والآخرة دار تشريف . ومن خصائص الإنسان في القرآن الكريم أن الله سبحانه وتعالى أودع فيه قابلية التعلم والتعليم ، وهذا موضوع الخطبة اليوم .

### البيان نعمة جلية منحها الله عز وجل للإنسان :

بادئ ذي بدء : منحه البيان .

﴿الرَّحْمَنُ \* عَلَّمَ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

[سورة الرحمن : ١-٤]

البيان نعمة جلية ، من خلال البيان يحصل الإنسان المعارف والعلوم ، ومن خلال البيان يمنح الإنسان معارفه وعلومه ، يحصل ويعطي ، ومن خلال البيان يعبر الإنسان عن مشاعره ، وعن عواطفه ، وعن أحاسيسه ، وعن مواجده ، ومن خلال البيان يتعرف الإنسان إلى ما عند الآخرين من مشاعر ، ومن عواطف ، ومن أحاسيس . وقد قال الله عز وجل :

## ﴿الرَّحْمَنُ \* عَمَّ الْقُرْآنَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ \* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾

[سورة الرحمن: ١-٤]

آخر خلق الإنسان على تعليم القرآن لعله بلاغية ، وهو أن هذا الترتيب ترتيب رتبي لا ترتيب زمني ، أي لا معنى لحياة الإنسان من دون منهج ، حياة الإنسان من دون منهج إلهي عبث ، خبطة عشواء ، حركة في ظلام ، حركة غير مجدية .

### الكلام على نوعين ؛ كلام ذو دلالة مقصودة وكلام ذو دلالة غير مقصودة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ يقول العلماء : إن الكلام على نوعين ؛ كلام ذو دلالة مقصودة ، وهو الذي يُعد الإنسان مسؤولاً عنه مسؤولية كلية ، وكلام ذو دلالة غير مقصودة ، وهذا يسميه القرآن اللغو . قال تعالى :

## ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللُّغُوِّ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون: ١-٣]

أيها الأخوة الأكارم ؛ الكلام ذو الدلالة المقصودة منه ما هو خير أو خيره غالب ، ومنه ما هو شر أو شره غالب ، أنت كإنسان من خصائصك العظمى أنك تتكلم ، أن الله منحك نعمة البيان ، هذا البيان إما أن ترقى به إلى أعلى عليين ، وإما أن يهبط به الإنسان إلى أسفل سافلين ، فالكلام ذو الدلالة المقصودة منه ما هو خير ، أو منه ما يغلب عليه الخير ، ومنه ما هو شر ، أو منه ما يغلب عليه الشر ، ومنه ما استوى خيره وشره ، ومنه ما هو لا علاقة له لا بالخير ولا بالشر . دخل عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فرأى رجلاً تحلق الناس حوله فقال : من هذا ؟ وهذا في البلاغة اسمه سؤال العارف ، فهو يعرف من هذا ، قال : من هذا ، قالوا : نسابة يا رسول الله ، قال : وما نسابة ؟ قالوا : يعرف أنساب العرب ، فقال عليه الصلاة والسلام: ذاك علم لا ينفع من تعلمه ، ولا يضر من جهل به . إذاً هناك كلام مقصود الدلالة خير أو يغلب عليه الخير ، وهناك كلام مقصود الدلالة شر أو يغلب عليه الشر ، وهناك كلام استوى فيه الخير والشر ، وهناك كلام مباح ليس فيه خير فيطلب ، وليس فيه شر فيُنهي عنه . هذا أنواع البيان الذي يتحدث به الإنسان . الله جل جلاله ضرب مثلاً للكلام مقصود الدلالة الخير ، سماه القرآن بكلمة موجزة (الكلمة الطيبة) قال تعالى :

## ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي

## أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥]



وأما الكلمة ذات الدلالة المقصودة الشريرة التي يغلب عليها الشر فسامها القرآن بالكلمة الخبيثة .

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٦]

أنت إنسان ومنحك الله البيان ، وبالبيان ترقى ، وبالبيان تسفل ، فما أمثلة الكلمة الطيبة ؟ قيل : التوحيد ، إذا دعوت الناس إلى التوحيد ، إذا بينت للناس أنه لا إله إلا الله ، إذا وضحت للناس أنه لا معطي ولا مانع ، ولا رافع ولا خافض ، ولا معز ولا مذل إلا الله . إذا بينت للناس أن الأمر كله بيد الله ، إذا بينت للناس أنه لا يقع شيء إلا بأمره ، وبإرادته ، ويعلمه ، وأسماء الله الحسنی كلها داخلة في أفعاله ، إذا بينت للناس هذا أرحمتهم ، قال تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾

[سورة الشعراء: ٢١٣]

إذا وحدت أيها المؤمن وعلمت الناس التوحيد أرحمتهم من أعباء ثقيلة ، أرحمتهم من الحقد ، وأرحمتهم من الشك ، وأرحمتهم من الشرك ، وأرحمتهم من الغيظ ، وأرحمتهم من الضغوط النفسية التي تفعل فعل السموم في أجسامهم .

يا أيها الأخوة المؤمنون ؛ مثل الكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " أفضل كلمة قلتها أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله " لهذا جمع الله رسالات الأنبياء جميعاً في آية واحدة ، قال :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾

[سورة الأنبياء: ٢٥]

كلمة التوحيد من الكلمات الطيبة ، تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق به ، هذا هو التسبيح ، من الكلمات الطيبة تنزيه الله عز وجل عن كل ما لا يليق به إنه حقيقة التسبيح ، قل : سبحان الله ، كل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف : ١٨٠]

## الحقائق التي يقوم عليها الإيمان :

يقوم الإيمان على حقائق ثلاث ، على الإيمان بوجود الله ، وعلى الإيمان بوحدانيته ، كل شيء أرادته الله وقع ، كل ما أرادته الله وقع ، وكل ما وقع أرادته الله ، وإرادة الله متعلقة بالحكمة

المطلقة، وحكمته المطلقة متعلقة بالخير المطلق ، هذه كلمة طيبة ، أن تعرف الناس بالله ، أن تعرفهم بوجوده ، بوحدانيته ، بكلماته ، أن تعرفهم برسوله .

﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾

[سورة المؤمنون: ٦٩]

أن تعرفهم بسنة رسول الله القولية والعملية ، أن تعرفهم بشمائله النبوية ، أن تعرفهم بحقيقة هذا الكتاب ، هذا كله من الكلمة الطيبة .

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

[سورة إبراهيم: ٢٤-٢٥]

وقد ورد في الخطبة السابقة أن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات يوم القيامة ، وأن الرجل يتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم سبعين خريفاً .

وهذا الذي سأل النبي عليه الصلاة والسلام قال : " ما تخاف عليّ ، فأمسك النبي بلسانه وقال : هذا " عشرات المعاصي يمكن أن تفتت المسلمين ، عن طريق الغيبة والنميمة ، يمكن أن تجعلهم متباغضين ، متدابرين ، متحاسدين ، يمكن أن تضعفهم عن طريق الكلمة الخبيثة .

## البيان الشفهي :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من الكلمة الطيبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، من الكلمة الطيبة إصلاح ذات البين ، من الكلمة الطيبة الدعوة إلى الله عز وجل ، من الكلمة الطيبة تمسيك الناس بالهدى الإلهي ، هذا كله من الكلم الطيب مادام الإنسان قد علم البيان ، قد أودع الله فيه هذه القدرة التعليمية فينبغي أن يوظفها في الحق ليرتفع بها إلى أعلى عليين ، وإن لم يفعل ذلك هوى بها إلى أسفل سافلين ، وأما الكلمة الخبيثة فهي كلمة الكفر ، إذا دعوت الناس إلى غير الله ، إذا بينت لهم مثالب موهومة في الدين ، إذا حبيتهم بالدنيا ، إذا كرهتهم بأمر الله ، إذا حبيت إليهم الكفر والفسوق والعصيان ، هذه كلها كلمات الكفر ، كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ، دعوة إلى الباطل ، دعوة إلى عقيدة وضعية ، دعوة إلى أن يُعبد غير الله في الأرض ، هذا كله من الكلمات الخبيثة التي بيّن الله عز وجل أخطارها في القرآن الكريم .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أما الكلام المباح فهو الذي لا خير فيه يرجى ، ولا شر ينهى ، فهو مضيعة للوقت ، وهذا هو اللغو الذي نهى الله عنه ، قال تعالى :

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ \* الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾

[سورة المؤمنون: ٣-١]

من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾

[سورة الفرقان: ٧٢]

﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾

[سورة القصص: ٥٥]

## البيان الكتابي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا عن البيان الشفهي فماذا عن البيان الكتابي ؟ انتبهوا إلى قوله تعالى :

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \* عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

[سورة العلق: ١-٥]

الدعوة إلى القراءة ، النبي عليه الصلاة والسلام معني بهذه الآيات ، ولكن أن يكون النبي معنياً بهذه الآيات لا يلغي أن هذه الآيات موجهة بالتبعية إلى أتباع النبي ، إلى أمة النبي عليه الصلاة والسلام ، فالجماد كما تعلمون شيء يشغل حيزاً له وزن ، له طول وعرض وارتفاع هذا الجماد ، ولكن النبات شيء يشغل حيزاً وينمو ، لكن الحيوان شيء يشغل حيزاً وينمو ويتحرك ، أما الإنسان فشيء له طول وعرض وارتفاع ، ويشغل حيزاً وينمو ويتحرك ويفكر ، فإذا عطل الإنسان فكره فقد عطل إنسانيته ، إذا عطل فكره هبط مستواه إلى المستوى الذي قبله ، إذا كانت حياته طعاماً وشراباً واستمتاعاً وكفى ، فقد هبطت مرتبته ، فلذلك خاطب الله سبحانه وتعالى الإنسان من خلال خطابه للنبي عليه الصلاة والسلام قال : اقرأ . . اقرأ ، تتبح حقائق الأشياء ، اقرأ كل شيء ، تأمل كل شيء ، أودعت فيك قوة إدراكية ، استعملها ، لا تعطل عقلك ، لا تعطل هذه القوة التي ترقى بها ، اقرأ باسم ربك الذي خلق ، ولتكن قراءتك هادفة ، اقرأ من أجل أن تعرف ربك ، اقرأ من أجل أن تعرف مهمتك في الحياة الدنيا ، اقرأ من أجل أن تفلح في الدنيا والآخرة ، لا تكن قراءتك عشوائية ، لا تكن قراءتك غير هادفة .

﴿أَفْرَأَ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ \* خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ \* أَفْرَأَ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ \* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ \*  
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾

[سورة العلق : ١-٥]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يتضح من هذه الآيات أن الله سبحانه وتعالى حينما أمر الإنسان أن يقرأ أودع فيه قابلية التعلم والتعليم ، وأن الإسلام في أساسه مبني على التعلم والتعليم، فخطبة الجمعة وصلاة الجمعة هي العبادة الأساسية في الإسلام التي من تركها من غير عذر نكتت نكتة سوداء في قلبه . يظن بعض الأخوة الأكارم أنه لمجرد أن صلى صلاة الجمعة ، وأدرك مع الإمام ركعة فقد سقط عليه الوجوب ، العبرة من صلاة الجمعة أن تسمع الخطبة ، والقصد من سماع الخطبة أن تسمعها من أولها إلى آخرها لذلك من بكر إلى المسجد فكأنما قرب بدنة ، الذي بعده فكأنما قرب بقرة ، الذي بعده فكأنما قرب شاة ، الذي بعده فكأنما قرب دجاجة ، ثم تجلس الملائكة لتستمع إلى الخطبة ، ماذا أراد النبي عليه الصلاة والسلام من خلال هذا الحديث ؟ أن يحث المسلمين على أن يأتوا إلى المسجد مبكرين ، وعلى أن يستمعوا إلى الخطبة بكاملها ، فهي موضوع موحد له مقدمة ، ولها صلب ، ولها خاتمة .

### تفوق الإنس على الجن في قابلية التعلم والتعليم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان من خلال قصة سيدنا آدم حينما قال الله له : يا آدم أنبئهم بأسمائهم، حينما أمر الملائكة بالسجود لآدم ، يتضح أن الإنسان متفوق في قابلية التعلم على الجن والملائكة ، يتضح هذا من قوله تعالى :

﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَّا تَنْفُذُونَ  
إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾

[سورة الرحمن: ٣٣]

قدم الله الجن على الإنس لأن الجن أقدر من الإنس على عبور السموات والأرض، لكن في آية أخرى قال :

﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ لآ يأتونَ بِمِثْلِهِ ولو كانَ بعضهم  
لبعضٍ ظهيراً﴾

[سورة الإسراء : ٨٨]

قدم الإنس على الجن لأن الإنس متفوق على الجن والملائكة في قابلية التعلم والتعليم ، هذه هوية الإنسان ، هذه حقيقة الإنسان ، الله سبحانه وتعالى حينما ميز آدم عليه السلام بأن عرفه بأسمائه ، قال العلماء : إن نريته من بعده ورثت عنه قابلية التعلم ، لا مفردات العلم ، لذلك قال تعالى :

﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[سورة النحل: ٧٨]

لكن أودع فيكم قدرات هائلة ، أودع فيكم قابليات هائلة ، أودع فيكم استعدادات هائلة ، دققوا في هذه الآية :

﴿وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[سورة النحل: ٧٨]

معنى ذلك أن الإنسان مزود بالسمع ليسمع الحق ، مزود بالبصر ليرى آيات الله عز وجل ، مزود بالفكر ، وحيثما جاءت كلمة الأفئدة بعد السمع والبصر فتعني الفكر ، مزود بفكر يكشف له حقائق الأشياء ، الفكر يستنبط ، الفكر يستنتج ، الفكر يحاكم ، الفكر يوازن ، إذاً لا تعلمون شيئاً ، ولكن قابليتكم للعلم عظيمة جداً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ أما هذا الإنسان الذي يعطل أدوات المعرفة فلا يستعملها فيما خلقت له ، لا ينتفع بها ، يستعملها لأموره الحياتية العادية ، أو يستعملها في غير ما خلقت له ، أو يستعملها للشر ، هذه الطاقة الفكرية ، هذه القدرة الإدراكية ، هذه القدرة على المحاكمة والاستنتاج والربط والتصور والتخيل والتذكر والاستقراء والحكم ، هذه القدرات الفكرية خلقها الله فيك لتتعرف بها إلى الله ، فإن عطلتها عن التعرف إلى الله عز وجل فقد احتقرتها ، فقد عطلت ميزتها ، فقد عطلت بها إنسانيتك ، أما إذا استخدمتها في غير ما خلقت له من إيقاع بين الناس، من بث للكفر والضلال ، فهذه جريمة ما بعدها جريمة ، لذلك يقول الله عز وجل :

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصَّمَّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٢٢]

الصم : أعطاه سمعاً فلم يسمع به الحق ، بقي أصم ، أعطاه بصراً فلم يبصر به الحقائق ، بقي أعمى ، أعطاه فكراً لم يعمل هذا الفكر فبقي معطلاً ، هذا من شر الدواب عند الله عز وجل .

آية أخرى أيها الأخوة دقيقة جداً قال تعالى :

﴿لَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا  
وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٧٩]

الإنسان - أيها الأخوة - محاط بملايين الآيات الدالة على عظمة الله ، على رحمته ، على عدالته ، على عطائه ، على نعمه ، ومع ذلك يعمى .

﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾

[سورة الحج : ٤٦]

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ  
بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[سورة الأعراف : ١٧٩]

لماذا هم أضلّ؟ حينما يعطل الإنسان سمعه وبصره لا يستمع إلى الحق ، ولا يبصر آيات الله ، ولا يفكر ، لماذا أضلّ من الأنعام؟ لأنه مكلف ، الأنعام ليست مكلفة ، حينما حرّمها الله عز وجل من نعمة السمع والبصر والفكر ، لم يكلفها ، لكن الإنسان كُلف ، فإذا عطل هذه القوة الإدراكية فقد نزل مستواه عن الحيوان .

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾

[سورة البينة : ٦]

أي شر ما برأ الله .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال:

((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة ))

[مسلم عن أبي هريرة]

أي حينما تخرج من بيتك ، تتجه إلى بيت من بيوت الله لتستمع إلى خطبة الجمعة ، أو لتحضر مجلس علم فيه تفسير لكتاب الله ، أو سنة رسول الله ، أو سيرة رسول الله، هل تعلم أن هذا الطريق ينتهي بك إلى الجنة ، إلى السعادة الأبدية ، هذا كلام المصطفى ، ولا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

**((من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة))**

[مسلم عن أبي هريرة]

**من دعا إلى هدى فله أجر من تبعه إلى يوم القيامة :**

وفي الحديث الصحيح :

**(( مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى ... ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

هذا هو الأخذ ، هذا هو التلقي ، فماذا عن العطاء ؟ فماذا عن الإلقاء ؟

**(( مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً.. ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

كل من دعوتهم إلى الله ، وتعرفوا إلى الله ، واستقاموا على أمره ، كل أعمالهم في صحيفتك ، كل شأنهم عند الله في صحيفتك ، كل ما لهم عند الله لك مثله في صحيفتك ، هذا شيء مغرٍ جداً :

**(( مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئاً.. ))**

[مسلم وأبو داود والترمذي ومالك عن أبي هريرة]

والحديث الذي تعرفونه جميعاً :

**(( إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح ))**

**يدعو له ))**

[رواه مسلم عن أبي هريرة]

وروى الإمام الترمذي عن سيدنا أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

**((من خرج في طلب العلم))**

[الترمذي عن أنس]

الموظف إذا سافر وحدث له في الطريق حادث ، وهو أثناء أداء مهمته تُحسب له تقاعدية تكافئ راتبه تماماً مدى الحياة ، لأن هذا الحادث أصابه في أثناء أداء عمله ، هذا الإنسان يفعل هذا . يقول النبي عليه الصلاة والسلام :

**((من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع))**

[الترمذي عن أنس]

أنت الآن بمهمة ، حينما تخرج من بيتك تطلب العلم ، فأنت في ذمة الله ، فكل ما يصيبك يرفعك عند الله ، ولا يصيبك إلا الخير .

وروى الإمام الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

**(( نَضَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَنَا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبُّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ))**

[أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان ولفظه رحم الله امرأ عن ابن مسعود]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ النساء نصف المجتمع ، ورواد المساجد ينبغي أن يحدثوا أهلهم بما سمعوا ، نضر الله امرأ سمع منا شيئاً فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع ، إذا بلغت مضمون الخطبة ، أو مضمون الدرس لأهلك فقد بلغت العلم ، إلى متى تتلقى ؟ لا بد من أن تلقي . شيء آخر أيها الأخوة ؛ رواد المساجد لا يزيدون عن عشر سكان أهل هذه البلدة، تسعة أعشار هؤلاء أين هم ؟ ماذا يفعل رواد المساجد مع تسعة أعشار هذه البلدة ؟ هم مقصرون إذاً .

**(( نَضَرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَنَا شَيْئاً فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، فَرُبُّ مَبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ ))**

[أبو داود وصححه الترمذي وابن حبان ولفظه رحم الله امرأ عن ابن مسعود]

لا تتسوا قوله تعالى :

**﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾**

[سورة فصلت: ٣٣-٣٤]

أيها الأخوة الكرام ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا لغيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا ، الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

\* \* \*

**الخطبة الثانية :**

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**تعظيم قيمة العلم :**

أيها الأخوة الكرام ؛ إذا كان القانون يمنع تداول العملة المزورة ، ومع الإنسان جهاز يكشف هذه العملة المزورة ، ولم يستخدم هذا الجهاز ، وضُبط متلبساً في ترويج عملة مزورة ، هل يستطيع أن يقول لا أدري ؟ ماذا يُقال له ؟ معك الجهاز استخدم هذا الجهاز ، هذا المثل تمهيد لأن الإنسان مسؤول ، قال تعالى :



﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء: ٣٦]

أي إذا قبلت فكرة مغلوبة ، ولم تستمع إلى الحق من أفواه أهل الخبرة فأنت مسؤول ، روج لك صديقك فكرة ليست صحيحة ، لم تذهب إلى عالم تثق به وتساله ، فهذا السمع مسؤول عنه ، كان بإمكانك أن تسمع ، رأيت ظاهرة لم تبحث عن تفسيرها الصحيح ، رأيت بعينيك أشياء لا ترضي الله ، ولكن لم تر بعينيك آيات الله الدالة على عظمته فإن :

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء: ٣٦]

إن لم تستخدم الفكر فأنت مسؤول ، إن لم تستخدم العين في النظر في آيات الله فأنت مسؤول ، إن لم تستخدم السمع فأنت مسؤول .

أيها الأخوة الأكارم ؛ ما من قيمة تواضع عليها الناس وعظموها إلا أهملها القرآن ولم يلتفت إليها إلا قيمة العلم ، قال تعالى :

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾

[سورة طه: ١١٤]

وقال تعالى :

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[سورة المجادلة: ١١]

وقال تعالى :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ لَإِنَّ إِلَهًا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

[سورة آل عمران: ١٨]

وقال تعالى :

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

[سورة الزمر: ٩]

تذكية الذبيحة :

أما الموضوع العلمي - أيها الأخوة - قال تعالى :

## ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾

[سورة المائدة : ٣]

التذكية في الشرع إنهار الدم ، أن يجري دم الذبيحة إلى خارج أوعيتها الدموية ، فالنبي عليه الصلاة والسلام أمرنا أن نفرى الأوداج - شرايين الرقبة - وهذا الذبح يجب أن يكون مقروناً بالقصد لله تعالى ، وذكر اسم الله عليه ، والعين المجردة تستطيع أن تميز الذبيحة المذكاة من غير المذكاة ، الذبيحة غير المذكاة زرقاء اللون ، وقد قال عنها العلماء : إن بقاء الدم في الذبيحة يجعل هذا الدم يتحلل ، وتخرج منه حموض تؤدي إلى تيبس لحم الذبيحة بعد ثلاث ساعات ، ثم تتفرد الجراثيم الهوائية واللاهوائية لإحداث تفاعل مع الدم ينتج عنه رائحة كريهة ، وتأثير سام وانتفاخ في لحم الذبيحة ، هذا كله من بقاء دم الذبيحة ، لذلك أمرنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نذكي الذبيحة ، وتذكيته بإخراج الدم ، ولم يأمرنا أن نقطع الرأس كلياً ، لأن القلب ينبض نبضات نظامية من مركزه الذاتي ، أما النبضات الزائدة فيتلقاها من الدماغ ، فإذا بقي الرأس متصلاً بالذبيحة فإن أمراً عصبياً من الدماغ يأمر القلب برفع نبضاته إلى مئة وثمانين ، عندها تصبح مهمة القلب بعد الذبح إخراج كل الدم من الذبيحة فإذا لحمها وردى .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ذكرت هذا من أجل أن يتقي الإنسان أكل لحم لم يذبح على الطريقة الإسلامية ، الله عز وجل أكرمنا بلحوم مذبوحة على الطريقة الإسلامية فلا ينبغي للإنسان أن يلتفت إلى لحم غير مذكى ، أي دمه فيه ، وهذه من الآثار الخطيرة في الذبيحة غير المذكاة ، وقد يسأل سائل كيف نأكل السمك من دون ذبح ؟ العلماء قالوا : إن السمكة حينما يصطادها الصياد ينتقل دمها كله إلى غلاصمها ، وكأنها ذُبحت تماماً ، وهذا اكتشفه العلم والنبي عليه الصلاة والسلام قال : " حلت لكم ميتتان ؛ السمك والجراد " . فالسمك حينما يُصطاد ينتقل دمه كله إلى غلاصمه .

## والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢١ : خ ١ - حقيقة الإنسان في القرآن ٣ - طبيعة الإنسان ، خ ٢ -  
علم النفس الإسلامي .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٢-١٢-٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

## حقيقة الإنسان في القرآن :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ نحن في سلسلةٍ من الخطبٍ تتمحور حول محورٍ واحد وهو : حقيقة الإنسان في القرآن .

هل هناك موضوع أيها الأخوة أقرب إلينا من أن نعرف أنفسنا ؟ هل من موضوع أيها الأخوة أقرب إلى الإنسان من أن يعرف ذاته ؟ هذا التعريف من قِبَلِ مَنْ ؟ من قِبَلِ الخالق ، من قبل الصانع ، افترض أن الإنسان آلة معقدة ، التعامل مع هذه الآلة لا يكون صحيحاً ، ولا سليماً ، ولا نافعاً ، ولا



مُجدياً إلا إذا تعاملت مع هذه الآلة وفق تعليمات الصانع .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ من الموضوعات المهمة جداً أن تعرف من أنت ؟ ما جِبَلَتُكَ ؟ ما طبيعتك ؟ ما حقيقتك ؟ ما خصائصك ؟ تحدثنا في خطبٍ سابقة عن أن الإنسان حادث . .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً ﴾

[سورة الإنسان : ١]

ولكلِّ حادثٍ مُّحدث ، والمُحدث سيئالٌ ، وتحدثنا في خطبٍ سابقة عن أن الإنسان مُمتَحَنٌ . .

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾

[سورة الإنسان : ٢]

وتحدثنا في خطبٍ سابقة عن أن الإنسان كادح ، أي أن طبيعة الحياة تقتضي بذل الجُهد في أيّ اتجاه . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾

[سورة الإنشقاق : ٦]

وتحدثت في خطبٍ سابقة عن أن الإنسان مبين . . .

﴿ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

[سورة الرحمن : ٤]

وعن أن الإنسان أودع الله فيه قدرةً على التعلُّم والإدراك .

### الإِنسان حرٌّ في اتخاذه قراره و اختياره و اتجاهه :

واليوم موضوع الخطبة آيةٌ كريمة تتحدث عن طبيعة الإنسان قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]



خالقنا ، ربُّنا ، إلهنا يصف الإنسان الذي خلقه وهو أخبر به أنه كثير الجدَل ، فماذا تعني هذه الآية ؟ يا أيها الأخوة الأكارم ؛

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾

أي بيِّنا ، فصلَّنا ، نوَّعنا ، التصريف التبيين ، التصريف التفصيل ، التصريف التنويع ، أي تارةً بالأمر ،

وتارةً بالنهي ، وتارةً بالقصة، وتارةً بالمثَل ، وتارةً بالتاريخ ، وتارةً بالتحذير ، وتارةً بالتبشير ، وتارةً بصور أهل الجنة وصور أهل النار ، فالموضوعات والأساليب التي اتبعها القرآن لهداية الإنسان كثيرةٌ جداً ، متنوعةٌ جداً ، تُعطي كل الشرائح ، تغطي كل أنماط التفكير ، تغطي كل الاتجاهات .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾

كتاب ربنا ، كتاب الهداية ، تارة ترى الوعد والوعيد ، وتارة ترى الأمر والنهي ، وتارة ترى الحلال والحرام ، وتارة ترى الماضي والمستقبل ، تارة ترى أهل الجنة في الجنة يتنعمون ، وتارة ترى أهل النار في النار يتصايحون ، تتنوع الموضوعات ، وتنوع الأساليب هذا من خصائص القرآن ؛ لأنه كتاب هداية ورشد ، لأنه كتاب الله إلى خلقه ، لأنه خطاب السماء إلى الأرض ، لأنه الكتاب المقرّر .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ أما معنى قول الله تعالى :

﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

فلحكمة أرادها الله عز وجل جعل نبياً عظيماً ، وجعل أباه كافراً ، إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام :

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾

[سورة مريم : ٤٣]

فلئلا يحتج الإنسان بأنه نشأ هكذا ، وتربى هكذا ، ورباه أبوه هكذا ، أورد القرآن قصة مفادها أنه : يمكن أن تكون إنساناً عظيماً والأب ليس كذلك .  
مثل آخر : جعل من نسل سيدنا نوح عليه الصلاة ولداً كافراً قال :



﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ \* قَالَ سَأُوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾

[سورة هود : ٤٢-٤٣]

أي أنّ الإنسان له اختياره ، له شخصيته ، له قناعاته ، له إيمانه ، لا يمنعه من الإيمان أن يكون والده غير مؤمن ، ولا يمنعه من الإيمان أن يكون ابنه غير مؤمن ، أما امرأة فرعون . .

﴿قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة التحريم : ١١]

امرأة آمنت بالله عز وجل ، واستقامت على أمره ، وأحبت ، وأعطت ، واشتاقت إلى ربها ، وزوجها يدعي الألوهية . وامرأة لوط . .

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ \* وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾

[ سورة التحريم : ١٠-١١ ]

زوجة مؤمنة وزوجها كافر ، زوج نبي و زوجة كافرة ، أب نبي وابن كافر ، ابن نبي وأب كافر ، معنى هذا كله أن الإنسان حر في اتخاذ قراره ، حر في اتخاذ اختياره ، حر في اتجاهه ، هذا :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

[ سورة الكهف : ٥٤ ]

### القِصَص و العبر والحقائق في القرآن الكريم من أجل هدايتنا :

شيء آخر : ربنا سبحانه وتعالى ضرب لنا في القرآن آلاف الأمثلة ، تلك قصص ، وهناك الأمثال



كيف أن العبد المملوك الذي لا يقدر على شيء له شركاء متشاكسون ، وبين عبد سلم لعبد هل يستويان ؟ إنسان سلم أمره إلى الله ، عرف الله وحده ، عبده ، أخلص له ، علاقته مع جهة واحدة ، قال تعالى :

﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظَرُونَ \* إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[ سورة هود : ٥٥-٥٦ ]

حالة هذا الإنسان حالة الاستسلام والطمأنينة ، حالة الشعور أن مصيره بيد جهة واحدة ، أن مصيره ، وحياته ، ومماته ، ورزقه ، وعلاقاته ، أن كل شيء فيه متعلق بجهة واحدة، هذا التوحد في التوجه شيء مريح جداً ، بينما التبعض ، والتشردم ، والشرك :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾

[سورة الشعراء : ٢١٣]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لو تتبعتم الآيات التي ضرب الله فيها الأمثال للناس ، بين طريق الخير وطريق الشر ، قال :

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ \* تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ \* وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾

[سورة إبراهيم : ٢٤-٢٦]

ربنا عز وجل قص علينا القصص ، ضرب الأمثلة ، وبين العبر ، وبين الحقائق، وبين الطرائق، وبين الأساليب ، كل هذا من أجل هدايتنا .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

الله جل جلاله وصف الإنسان بأنه كثير الجدل ، فالله أتى الإنسان قدرات فكرية، آتاه قدرات في التحليل ، في الفهم ، في الاستنباط ، في الإدراك ، في التخيل ، في التصور ، في الاستنتاج ، في الاستنباط ، في الاستقراء ، هذا كله نشاط فكري أودعه فيه ليصل به إلى الله .

**الإنسان مخير ذو قدرات حيادية يستخدمها في الخير أو في الشر :**

لكن من شأن الاختيار أيها الأخوة أن يعطيك الله قدرات حيادية ، يمكن أن تستخدمها في الحق ، كما يمكن أن تستخدمها في الباطل ، يمكن أن تستخدمها في الخير ، كما يمكن أن تستخدمها في الشر ، يمكن أن ترقى بك ، ويمكن أن تهوي بها .

فلذلك جاءت طبيعة الجدل في الإنسان من أنه مزود بقدرات فكرية ، هذه القدرات زوده الله بها ليصل بها إلى الله ، فإذا أعرض عن الله عز وجل يستطيع أن يستخدمها لترويج الباطل ، يستطيع أن يستخدمها لقلب الحق باطلاً ، وقلب الباطل حقاً ، هذا من خطورة الإنسان ؛ أنه مخير ، وأنه مزود بقدرات ، واستعدادات ، وطاقات ، وقابليات ، فلو وجه هذه القدرات في طريق الحق تفوق ،



وارتفع ، وأفلح ، وفاز ، ونجح ، وإذا وجهها في طريق الباطل شقي وأشقى ، وهلك وأهلك ، وسار في طريق يؤدي به إلى جهنم ، وبئس المصير .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ يستخدم العلماء والأدباء والشعراء أساليب حينما يريدون أن يجسدوا معنىً دقيقاً عن طريق مثلٍ حسيٍّ ، مثلاً قال الشاعر :

**وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود**

\* \* \*

قد يكون الحاسد هو الوسيلة لنشر الفضيلة ، وهو لا يدري ، هذه فكرة دقيقة ربما لا نقبلها ، ربما لا نقتنع بها ، أن يسخر الحاسد لنشر فضل المحسود ، قال :

**لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عُرف العود**

\* \* \*

قضييب البخور يجب أن تحرقه لتفوح رائحته ، إذاً ما هو المثل ؟ أن تأتي بمسلمات تنطبق على مغيبات ، فإذا سلّمت بالمثل سلّمت بالأصل ، هذا معنى الآية :

**﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾**

[ سورة الكهف : ٥٤ ]

### الأساليب المتنوعة والمضامين الغنية في القرآن لمعرفة الله و السعادة بقربه :

إذا قرأت القرآن واستنبطت أمثاله ، عرفت أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يجسد لك كل المعاني التي غابت عنك بأمثلة حسية تقربها إليك ، هذه أساليب القرآن ، هذه أساليب النبي عليه الصلاة والسلام . .

((أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه ؟ قالوا : لا

يبقى من درنه شيء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا))

[الترمذي عن جابر ]

لو قرأتم القرآن ، وتتبعتم أقوال النبي  
العدنان من زاوية الأمثال لرأيتم العجب  
العجاب ، لرأيتم بلاغة ما بعدها بلاغة  
، لرأيتم بياناً ما بعده بيان ، لرأيتم ما





يسميه علماء البلاغة : " بالسهل الممتنع " ، شيءٌ قريب قريب . النبي عليه الصلاة حينما وصف قوماً ركبوا سفينةً ، واستهموا فيها ، فأصاب أحدهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فأراد الذي في أسفلها أن يخرق خرقةً ، وقال : هذا مكاني أفعل به ما أشاء ، إن أخذ على يديه نجا ونجوا ، وإن تركوه هلك وهلكوا . هل من مثلٍ أوضح للتضامن الاجتماعي من هذا المثل ؟



يا أيها الأخوة الكرام ؛ قد نقرأ القرآن ، وقد نقرأ السنة ، ونحن في غفلةٍ عن بلاغة القرآن ، ربنا عز وجل يقول :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

البعرة تدلُّ على البعير ، والماء يدل

على الغدير ، والأقدام تدل على المسير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟! شيءٌ مألوف ، إن رأيت آثار أقدام تقول : لقد سار في هذا المكان أشخاصٌ ، شيءٌ مألوف إن رأيت جدولاً تقول : هناك نبعٌ ، البعرة تدل على البعير ، والأقدام تدل على المسير ، والماء يدل على الغدير ، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟!

كل هذه الأساليب المتنوعة ، وكل هذه المضامين الغنيّة من أجل أن يأخذ الله بيدك إليه ، من أجل أن تعرّف إليه ، من أجل أن تؤمن به ، من أجل أن تسعد بقربه . .

﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود : ١١٩]

الله سبحانه وتعالى ضرب للإنسان في هذا القرآن من كل مثل :

لكن الآية موطنها في موضوع آخر . .

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

القسم الأول : أن الله سبحانه وتعالى ضرب للإنسان في هذا القرآن من كل مثل؛ قصص متنوعة ، سيدنا سليمان أتاه الله الملك ، لا يمنع هذا الملك أن تكون مؤمناً ، نبي عظيم وهو ملك ، سيدنا نوح ، سيدنا إبراهيم ، الأنبياء كلهم ، كل نبي له قصة تعد نموذجاً بشرياً . ثم فضلاً عن ذلك ضرب الله



الأمثلة ، وضَّح فيها كل شيء ، وضَّح حالة المشرك ، وضَّح حالة المؤمن ، وضَّح حالة الإنسان المهتدي . .

﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

[ سورة الملك : ٢٢ ]

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾

[ سورة الجمعة : ٥ ]

﴿كَانَهُمْ خَشْبُ مُسَدَّةٍ﴾

[ سورة المنافقون : ٤ ]

﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

[ سورة الفرقان : ٤٤ ]

لو قرأت القرآن ؛ وقفت عند التشبيهات ، عند الاستعارات ، عند الكنايات ، عند الأمثلة ، عند الصور ، عند الأساليب المتنوعة ، عند الصور الوصفية ، لرأيت العجب العجائب.

**الإنسان يتبع الحق الذي جاء من عند الله أو يستخدم عقله لتزيين الباطل :**

قال :

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[ سورة الكهف : ٥٤ ]

ما معنى هذه الآية ؟ يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان حينما يؤثر شهوته ، ويؤثر مصلحته ، ويؤثر أن يأخذ ما ليس له ، أي أنّ الإنسان حينما يتجاوز دائرة الحق ، ودائرة العدل، ودائرة الخير ، ودائرة الفضيلة ، ليحقق شهواته عن طريق الباطل ، وعن طريق الظلم ، وعن طريق الشرِّ ، وعن طريق الرذيلة ، اختار الشهوة ، اختار المتعة ، اختار المال ولو كان حراماً ، اختار

الاستمتاع بمباهج الحياة ولو كانت من طرق غير مشروعة ، حينما يختار الإنسان شهوته دخل إلى منطقة الباطل ، دخل إلى منطقة الظلم ، دخل إلى منطقة الشر ، دخل إلى منطقة الرذيلة



ولأن الإنسان مزودٌ بقدراتٍ فكرية ، بقدراتٍ إدراكية ، عنده تفكير ، ومحاكمة ، وجدل ، وعنده إدراك ، واستنباط ، واستقراء ، وتذكر ، وتخيل ، لأنه كذلك ، ولأنه يجب أن يظهر بمظهرٍ كامل ، ماذا يعمل ؟ يأتي يستخدم قدراته الفكرية ليُزيّن باطنه ، وليبرر تصرفه ، وليغطي انحرافه ، إذاً

هذا الفكر الذي أودعه الله في الإنسان ليرقى به إلى الله ، استخدمه الإنسان استخداماً آخر ، فصار يبرّر ، وصار يُفلسف الباطل ، وصار يزيّن المعصية، فكل ما تقرأونه ، وكل ما تسمعون من باطلٍ مزيف إنما هو من وحي هذه الآية :

### ﴿ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾

[ سورة الكهف : ٥٤ ]

فالإنسان إما أن يتبع الحق الذي جاء من عند الله ، وإما أن يستخدم عقله لتزيين الباطل ، لأن هذا الإنسان زودَ بهذه القدرات لترقى به ، لكنها قدراتٌ حيادية ، فلما اختار طريق الشر ، فلما اختار طريق الشهوة استخدمها استخداماً لا أخلاقياً ، استخدم هذا القدرات ليُغطي بها انحرافه ، ليعيد بها توازنه النفسي ، فحينما تستمعون إلى نظرياتٍ وضعيّة تروج للمعصية ، تروج للانحراف ، حينما تستمعون إلى مبدأ من صنع الإنسان يقوم على إطلاق حريته ، وعدم انضباطه ، حينما يزيّن مبدأ لإنسان أن يعيش لحظته ، حينما يزيّن مبدأ لإنسان أن ينكر خالقه، هذا الإنسان الذي اختار الانحراف استخدم فكره لتزيين انحرافه ، ولتغطية كفره ، ولتبرير سلوكه المُنحرف .

### أنماط المُجادلة التي ساقها الله في القرآن الكريم :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ المُجادلة هذه بالباطل ، وقد وردت بنص القرآن الكريم ، قال تعالى :

## ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾

[ سورة مريم : ٦٦ ]

انظروا إلى أنماط المُجادلة التي ساقها  
الله في القرآن الكريم :

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ  
أُخْرَجُ حَيًّا﴾

[ سورة مريم : ٦٦ ]

لكي يستريح الإنسان ، وينطلق في  
شهوته كما يريد ، حتى يأخذ ما ليس  
له ، حتى يعتدي على أموال الناس ،



وعلى أعراسهم ، حتى يعيش ويموت الناس ، حتى يحيا وينهار الناس ، حتى يطمئن ، ويخاف  
الناس ، إذا أراد الإنسان أن يبني مجده على أنقاض الآخرين هو مضطر إلى أن ينكر يوم الدين ،  
مضطر لكي يتوازن ، كيف يتوازن ؟ هذه الدنيا ولا شيء بعد الدنيا . .

﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾

[ سورة مريم : ٦٦ ]

يجيبه الله عز وجل :

﴿أَوَلَمْ يَذْكُرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَكَمْ يَكُ شَيْئًا﴾

[ سورة مريم : ٦٧ ]

الذي خلقه بعد أن لم يكُ شيئاً أليس قادراً على أن يعيد خلقه ؟ هذا نمطٌ من مجادلة الإنسان .

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾

[ سورة القيامة : ٥ ]

يريد الشهوة ، يريد أن يأخذ ما ليس له ، يريد أن ينغمس في الملذات إلى قمة رأسه .

﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾

[ سورة القيامة : ٥ ]

يسأل استهزاءً :

﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾

[ سورة القيامة : ٦ ]

هذه مجادلته ، هذا الفكر الذي أودعه الله فيه حينما ينحرف يستخدمه لتبرير انحرافه ، يستخدمه لتزيين شهواته ، يستخدمه لتغطية سلوكه ، يستخدمه لترويج أفكاره الباطلة، والله سبحانه وتعالى يصف هؤلاء المُجادلين بأنهم :

﴿يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾

[سورة الحج : ٨]



الإنسان أحياناً يهتدي بفطرته ، وأحياناً يملك علماً أصولياً ، علماً صحيحاً يقينياً، وأحياناً يهتدي بهداية الله التي جاءت من خلال الكتب المنزلة ، فربنا عز وجل وصف هؤلاء المجادلين :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾

[سورة الحج : ٨]

لا عِلْمَ عنده ، لا يوجد عنده علم مطابق للواقع . .

﴿وَلَا هُدًى﴾

[سورة الحج : ٨]

ولا يحتكم إلى فطرته السليمة . .

﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾

[سورة الحج : ٨]

ولا إلى نقلٍ صحيح ، لا نقل صحيح بين يديه ، ولا فطرة سليمة يحتكم إليها ، ولا علم متين يعتمد عليه ، فكيف يجادل ؟

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾

[سورة الحج : ٨]

آية ثانية :

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾

[سورة الحج : ٣]

﴿رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون : ٢-١]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا  
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص : ٥٠]

هناك تلازم بين إنكار الحق واتباع  
الهوى ، بين تكذيب الحق والانغماس  
في الشهوة ، هذا التلازم ضروري ،  
وقد أكدته القرآن الكريم :



لا تسع لتثبت الباطل وتروجه

﴿رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾

[سورة الماعون : ٢-١]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص : ٥٠]

## الإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمَجَادَلَةِ :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ربُّنا جل جلاله لم يصف الإنسان بأنه مجادل ، بل وصف الإنسان بأنه  
كثيرُ المُجادلة ، أي مؤلفاتٌ طويلة ، موسوعاتٌ كبيرة ، مراجع طويلة كلها من أجل تزيين  
الباطل ..

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

فُسِّرَت الكثرة تفسيراً كميّاً ، مئات المؤلفات ، آلاف المؤلفات ، مئات ألوف المؤلفات ، كلها تروج  
الباطل ، كلها تدعو إلى الانحراف ، كلها تدعو إلى المعاصي ، كلها تجعل الدنيا هي كل شيء ،  
كلها تكذب بالآخرة ، هذه كثرةٌ كمية .

وهناك كثرةٌ نوعية ، فأحياناً يعتمد على قولٍ مُزخرف ، وعلى احصاءاتٍ مزيفة ، من أجل أن  
نُثِبَ الباطل ، من أجل أن نروجه ، من أجل أن نلغي الحق ، هؤلاء الذين جاؤوا بنظرياتٍ تهدم  
الأديان ما رأوا هذه الحقائق ، وذكروها ، وأخطؤوا في رؤيتهم ، ليتهم كذلك ! لا ، إنهم افتعلوها ،



إنهم تكلموا كلاماً هم ليسوا قانعين فيه ، أضافوا إلى أخطائهم العلمية أخطاءهم الأخلاقية ، هم روجوا الباطل ليهدموا الأديان ، وهم يعلمون قبل غيرهم أنهم مفترون .

### ترويح المشركين الباطل من أجل مصالحهم :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه المجادلة في الدنيا ، فهل في الآخرة مُجادلة ؟ قال تعالى :

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ﴾

[سورة الأنعام : ٢٢]



أين هؤلاء الذين عبدتموهم من دون الله؟ أين هؤلاء الذين ظننتم أنهم بيدهم كل شيء ؟ أين هؤلاء الذين اعتمدتم عليهم ؟ أين هؤلاء الذين جعلتموهم الأداة المُحرِّكة لما يجري في العالم ؟

﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرًا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[سورة يونس : ٢٤]

أتاهَا أَمْرُنَا ، لا أمرهم .

﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ \* ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام : ٢٢-٢٣]

كنا نفتعل هذا افتعالاً يا رب ، كنا نقول كلاماً لسنا مقتنعين به ، أردنا ترويح الباطل من أجل مصالحنا ، قلنا ما لم نفتتح ، وأرينا أعيننا ما لم تر ، وأسمعنا آذاننا ما لم نسمع .

﴿وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾

[سورة الأنعام : ٢٣]

يقول الله عز وجل :

## ﴿نُظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الأنعام : ٢٤]

أحياناً أيها الأخوة أترنم بكلمة أقول : فلان صادقٌ مع نفسه ، الإنسان إذا كذب على نفسه سقط من عين الله ، هل الجرأة أن تقول ما في نفسك ؟ أن تقول ما أنت قانعٌ به ؟ لا تروِّج باطلاً ؟

هذا الذي تقوله قانعٌ به ؟ لو خَلَوْتَ مع نفسك تقول : هذا صحيح أم باطل ؟ قال :

## ﴿نُظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾

[سورة الأنعام : ٢٤]

هؤلاء الذي يجهلون ، ويتكلمون ، وينطقون بالباطل ، ويتحمسون له ، ويأتون بالأدلة الواهية ، وبالْحُجَجِ



الضعيفة ، وبالإحصاءات الكاذبة ، وهؤلاء الذين يجعلون المعصية سلوكاً سويماً ؛ كثيراً ممن ذهبوا إلى أطباء نفسيين ، فنصحوهم أن يقيموا علاقاتٍ مع فتيات ، هكذا درسوا أن الصحة النفسية تقتضي أن يكون للشباب صديقة ، هكذا ، هؤلاء الذين روجوا للباطل ، وخالفوا منهج الله عز وجل ، ولم يعيؤوا بأمر الله ونهيه ، هؤلاء يوم القيامة يكذبون ، يتضح كذبهم ، ويقول الله عز وجل :

## ﴿نُظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾

[سورة الأنعام : ٢٤]

### قوة المُبْطِلِ بلسانه والمنحرف بمنطقه :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ آخر يوم القيامة مخيف هو أن الإنسان في الدنيا قد يكون ذكياً ، وقد يكون طليق اللسان ، ويستطيع أن يبرر أعماله ، وأن يغطي سلوكه ، وأن ينسحب من التهمة كما تُسحب الشعرة من العجين





الجدل من خصائص الإنسان فالله أعطاه قدرات عقلية عالية ليصل إلى الله

هذا يظنه الناس ذكياً وشاطراً ، واستطاع أن ينجو ، وأن ينال كل حظوظه دون أن يكون مداناً ، هذا النموذج لا يُفْلِح يوم القيامة ، لأن قوة هذا الإنسان في مَنْطِقِهِ ، لأن قوة هذا الإنسان في فلسفته ، في جَدَلِهِ ، في قدرته على الإقناع ، قال : مثل هذا الإنسان يوم القيامة يقول الله عز وجل:

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ﴾

[ سورة يس : ٦٥ ]

لا يوجد كلام . .

﴿وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[ سورة يس : ٦٥ ]

كل قوة المُبْطِل بلسانه ، كل قوة المنحرف بمنطقه المنحرف ، كل قوة العاصي بزخرفة كلامه ، هذه القوة تُلغى يوم القيامة . .

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتَكَلَّمْنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾

[ سورة يس : ٦٥ ]

الجدل شيء من خصائص الإنسان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ نقطة دقيقة جداً : الجدل شيء من خصائص الإنسان ، لماذا جعله أكثر شيء جدلاً ؟ لأنه أعطاه قدرات فكرية عالية جداً من أجل أن يصل إلى الله . الإنسان حينما يركب مركبةً ، تتطلق به بسرعة هائلة ، هذه القدرات الرائعة في السيارة ، من أجل أن تهبط بها في الوادي ؟ لا ، صُنِعَتْ لهدف نبيل ، فإذا قاد الإنسان مركبةً ، وكان ثملاً ، هبطت به إلى الوادي ، فتكسرت أضلاعه ، أيقظ له أن يقول : إنما صُنِعَ هذا المحرك لأكون هكذا ؟ لا ، صنع هذا المُحَرِّك لتتطلق بك إلى أهداف سليمة ، لكنك استخدمتها أسوأ استخدام ، وهذه القدرات الفكرية التي أودعها الله فينا ، أودعها فينا من أجل أن نعرفه ، وأن نتبع منهجه ، وأن نسعد بقربه ، فإذا عطلنا هذا الاتجاه ، واستخدمنا هذه الطاقات الفكرية من أجل ترويح الباطل ، من أجل تزيين المعصية ، من أجل فلسفة الانحراف ، من أجل تغطية العدوان ، عندئذ نكون كما وصف الله الإنسان قبل أن يؤمن :

## ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

### إساءة الإنسان استخدام الجدل :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الجدل واقعٌ وهو في الأصل في مصلحة الإنسان ، ولكن الإنسان أساء استخدامه

لذلك جاء نهْيٌ عن الجدل بالباطل ،  
قال تعالى :

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ﴾

[سورة النحل : ١٢٥]

أيّ اختر الموضوعات الصحيحة ،  
والأساليب الرقيقة ، والأساليب البليغة ،  
فأحسن اسم تفضيل ، إذا كان هناك



آلاف الأساليب للمجادلة ، اختر أحسنها ، اختر أقربها إلى قلوبهم ، اختر أقربها إلى الصِحَّة ،  
اختر أقربها إلى الحكمة . .

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

[سورة النحل : ١٢٥]

### الحظوظ التي أودعها الله في الإنسان حظوظٌ حيادية ترقى به أو تهوي به :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ عودٌ على بدء :

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾

[سورة الكهف : ٥٤]

لماذا ؟ لأن الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً ، لئلا يقوده جدله إلى الباطل ، كل منافذ الباطل قد سدَّتْ  
عليه ، أمثلة كثيرة ، قصص كثيرة ، مواضع كثيرة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه حقيقة الاختيار ، أن تزود بطاقات حيادية ؛ إما أن ترقى بك وإما أن تهوي بها ، الشهوات كذلك إما أن ترقى بها إلى رب الأرض والسموات ، وإما أن تدمر بها ، الشهوة قوة دافعة ، أو قوة مدمرة ، العقل قوة هادية أو قوة مهلكة ، كل الحظوظ التي أودعها الله في الإنسان حظوظ حيادية ترقى به أو تهوي به ، المنطق ، البيان..

((إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى مَا يُقْبَلُ لَهَا بِالْأَلْفِ يَرْفَعُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا دَرَجَاتٍ ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يُقْبَلُ لَهَا بِالْأَلْفِ يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ))

[ البخاري عن أبي هريرة ]

العقل قدرة حيادية ترقى بها وتهبط بها ، الشهوة قوة مدمرة ، أو قوة مُعمِّرة ، البيان إما أن ترقى به إلى رب الأرض والسموات ، وإما أن يهوي به الإنسان في جهنم سبعين خريفاً ، الزوجة كذلك ، القوة العضلية كذلك ، السمع والبصر كذلك .

ملخص المُخصّص : أن كل الحظوظ التي أكرمك الله بها حظوظ حيادية ؛ إما أن ترقى بها وإما أن تهوي بها ، ومنها الجدل . .

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾

[ سورة الكهف : ٥٤ ]

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى . والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### علم النفس الإسلامي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بدأنا نسمع بشيء اسمه : " علم النفس الإسلامي " ، علم بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، علم ، أي علاقات ثابتة ، قواعد ، قوانين ، علم النفس ، وأنت نفس ، هي التي بين جنبيك ، هي ذاتك ، هي الخالدة التي لا تموت ، هي التي تسمو ، وهي التي تفسد ، علم

النفس الإسلامي ، أي حقائق النفس المستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله، وما هذه الخطب الثلاث إلا من هذا القبيل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان إذا اتصل بالله عز وجل حقق ذاته ، وحقق فطرته، فإذا انقطع عنه أصيب بما يسميه علماء النفس أو الأطباء النفسيون : اضطرابات نفسية ، تُعَدِّد هذه الكتب من الاضطرابات النفسية اليأس . .

### ﴿وَلَمَّا أَنْزَلْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ رَحْمَةٍ﴾

[ سورة هود : ٩ ]

الإنسان العادي :

### ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ كَفُورًا﴾

[ سورة هود : ٩ ]

### ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَكُفُورًا﴾

[ سورة الإسراء : ٥١ ]

فاليأس اضطرابٌ نفسيّ ، سببه الانقطاع عن الله عز وجل ، عدم الإيمان به أو الانقطاع عنه ، هذا السبب يؤدي إلى هذا الاضطراب ، فاليأس والقنوط اضطراب نفسي ، من لوازم عدم الإيمان ، وعدم الاتصال بالله عز وجل ، ولكن المؤمن يغلب عليه التفاؤل ، يغلب عليه الثقة بما عند الله عز وجل ، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، وإذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق مما بين يديك ، وإذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله .



يَعُدُّ علماء النفس الإسلامي النفاق اضطراباً نفسياً سببه الشرك ، الإنسان إذا أشرك بالله ، ورأى مع الله آلهةً بيدهم أمره ، وبيدهم نفعه وضره ، إذا انطلق من هذه النظرة ، من لوازم هذا الخطأ الإيماني اضطرابٌ نفسي ، إنه النفاق . .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ \* يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة البقرة : ٨-٩]

فالنفاق ظاهرة مرصية ، النفاق اضطراب نفسي ، سببه الشرك .

الإحباط : الإنسان حينما يعلق آماله بغير الله ، ثم يجد أن هذا الشيء لا قيمة له ، لم يحقق هدفه ، يُصاب بحالة نفسية مؤلمة جداً إنها الإحباط ، قال تعالى :

﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ آمَنُوا أَن لَوْ كُنْتَ عَلِيمَ الْغُيُوبِ لَسَ إِتْرَافًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا فَلَوْ لَمْ يَأْتِ الْوَحْيَ لَكَ مِنَ الْغَيْبِ بُرْهَانٌ لَّيْسَ بِبَرَاهِنٍ لَّعَنُوا لَوْلَا مَا نُنزِّلُ الْغَيْثَ لَكُنَّا فِيهَا ثُلَودًا مَّا يُصَلُّونَ إِلَّا رَجْمًا وَعَافَىٰ يَاسِرِينَ﴾

[سورة الزمر : ٦٥]

حالة الإحباط أن تظن هذا الشيء عظيماً ، تُقبلُ عليه ، تضيع من أجله شبابك ، وشيخوختك ، ثم تكتشف بعد فوات الأوان أنه لا شيء ، وأنه ليس مسعداً .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من أنواع الاضطراب النفسي الناتج عن ضعف الإيمان، وعن ضعف الصلة بالله ما يسمى بالصراع المستمر

الصراع إذا استمر انقلب إلى لامبالاة ، وهذا مرض من أمراض العصر ؛ صراع بين الحق والباطل ، صراع بين الحاجة والقيم ، صراع بين الدنيا والآخرة ، صراع بين العقل والشهوة ، عدم قوة الإيمان يصبح الإنسان ضحية هذا الصراع ، قال تعالى :



﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ نَالٍ إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾

[سورة النساء : ١٤٣]



فالصراع ، والإحباط ، والنفاق ،  
والياس ، وسوء الظن - يغلب على  
المنقطع عن الله سوء الظن بكل شيء  
- والبغضاء ، والغضب ، والسلبية ،  
والاكتئاب ، والاكتئاب مرض العصر ،  
مجموع الذين يعالجون في العيادات  
النفسية في مجتمعات الكفر بالمئة مئة  
وخمسة وخمسون أي بالمئة مئة

وخمسة وخمسون يعالجون مرتين ، وبعض الأطباء النفسيين يعالجون عند زملائهم ، فالإكتئاب ،  
مرض العصر الإكتئاب ، والإكتئاب بسبب أن فطرتهم سليمة ، فلما انحرفوا ، عذبتهم فطرتهم  
فاكتأبوا ، هذا سماه العلماء : الشعور بالذنب ، عقدة النقص ، أو الإكتئاب .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا آمنا بالله عز وجل عشنا حالة اسمها الصحة النفسية، نفسٌ رضية ،  
نفسٌ مطمئنة ، نفسٌ متفائلة ، نفسٌ متوازنة ، نفسٌ صادقة ، نفسٌ صريحة ، هذه الصفات الراقية  
هي من ثمار الإيمان ، إن مكارم الأخلاق مخزونة عند الله تعالى، فإذا أحب الله عبداً منحه خلقاً  
حسناً .

### الوقت أثمن شيء يملكه المسلم :

أيها الأخوة الأكارم ؛ سأقطع الموضوع المتسلسل في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى لأعالج  
موضوع الزمن ، لأننا في اليوم الأول من العام الجديد ، فموضوع الخطبة القادمة متعلق  
بموضوع الزمن ، وقيمة الوقت في حياة المسلم ، بل إن الوقت هو رأس ماله ، إن أثمن شيء  
يملكه المسلم هو الوقت ، لأن مضي السنوات يعني مضي الوقت ، والإنسان وقت .



وهناك شيء آخر أتمنى على الله عز وجل أن يكون واقعاً في حياتكم ، هو أن الناس مُقدمون على أعياد رأس السنة ، ومن سمات هذه الأعياد أن تترتكب فيها المعاصي والآثام، أنا لا أعتقد أن واحداً يرتاد بيوت الله عز وجل ، من رواد المساجد ، من المؤمنين الملتزمين ، يخطر في باله لثانية واحدة أن يحضر هذه الحفلات ،



فمن تحصيل الحاصل ، أنا بعض الأخوة يلومونني في كل عام : لماذا لا تطرح هذه الموضوعات ؟ أقول لهم : الذي يأتي إلى المسجد لا يذهب إلى هذه الحفلات ، فمن تحصيل الحاصل أن أمتنع عن ذكر هذه التحذيرات ، ولكن قد رجاني بعض الأخوة أن بعض الإخوان الكرام يقيمون حفلات في بيوتهم ، يبتعدون عن الأماكن العامة خوفاً من الله عز وجل ، ولكن هذه الحفلات التي في البيوت أحياناً فيه اختلاط لا يرضي الله عز وجل ، فماذا علينا لو أحيينا هذه الليلة بذكر الله عز وجل ؟ ماذا علينا لو أحيينا هذه الليلة بتلاوة القرآن ؟ ماذا علينا لو جمعنا أخوتنا الذكور ، أو جمعنا أنفسنا في وضع ليس فيه معصية إطلاقاً ، وتذاكرنا في العلم الشرعي ، وتذاكرنا في القرآن الكريم . ألا تجد معي أيها الأخ الكريم أنه من خصائص المسلم أن يتميز عن غير المسلم في بيته ، في احتفالاته ، في أفراحه ، في أتراحه ، في كسب ماله ، في عمله ، في نزاهته ، فإذا اختلط المسلم وغير المسلم ، وإذا جمعتهم عادات وتقاليد ، فما قيمة المسلمين ؟ .  
يا أيها الأخوة الأكارم ؛ دائماً وأبداً أقول لكم هذه الكلمة : ما لم نستقم على أمر الله ، فلا يحق لنا أن نطالب الله بوعوده ، أد الذي عليك واطلب من الله الذي لك .

### والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢٢ : ١ - حقيقة الإنسان ٤ - وخلق الإنسان ضعيفاً ، خ ٢ - الغدة النخامية .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠١-٠٨

بسم الله الرحمن الرحيم

### الحكمة من خلق الإنسان ضعيفاً :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ عودةً إلى الموضوع المُتَسَلِّس وهو : طبيعة الإنسان من خلال القرآن . تحدثنا في خطبٍ سابقة عن أن الإنسان حادث ، وعن أنه مُبْتَلَى ، وعن أنه كادح ، وعن أنه ناطق ، وعن أنه متعلِّم ، وتحدثنا عن أنه أكثر شيءٍ جدلاً ، واليوم نتحدَّث عن صفةٍ أصيلةٍ فيه ألا وهي : الضَعْف ، قال تعالى :

﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا \* يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[ سورة النساء : ٢٧-٢٨ ]

هكذا خُلِقَ ، الضعف في أصل بُنْيَانِهِ ، والسؤال الآن : لماذا خلقه الله ضعيفاً ولم يخلقه قوياً غنياً؟

### ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

هذا ضعفٌ خَلْقِيٌّ ، هذا ضعفٌ أراده الله له، هذا ضعفٌ من خَلْقِ الله عزَّ وجل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ الله جل جلاله خَلَقَ الإنسان ضعيفاً لأن سعادة الإنسان لا تكون إلا بالله عزَّ وجل ، وما خلقه ضعيفاً إلا ليكون ضعفه دافعاً له إلى باب الله ، ليتَّصَلَ به ، ليلوذَ بحماه ، ليُقْبَلَ عليه ، ليلجأَ إليه ، ليحتمي به ، الضعف في الإنسان وسيلةٌ وليس هدفاً ، وسيلةٌ لدفعه إلى باب الله، وسيلةٌ لإقباله على الله ، لو أن الإنسان خُلِقَ قوياً لاستغنى بقوته عن الله ، فشقي باستغنائهِ عن الله ، خلقه ضعيفاً ليفتقر في ضعفه ، وليُقْبَلَ على الله عزَّ وجل ، فيسعد بافتقاره إليه . هذا محور الموضوع . .

### توافق أصل التكليف مع طاقة الإنسان الضعيفة :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال الله تعالى في آيةٍ ثانية ، الآية الأولى :



## ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾

[سورة النساء : ٢٧]

فأَيُّ إِنْسَانٍ يَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ لِلشَّقَاءِ ، فَهُوَ كَذِبٌ وَافْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ . .

## ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾

[سورة النساء : ٢٧]

إِرَادَتِهِ ، وَمَشِيئَتِهِ . .

## ﴿أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾

[سورة النساء : ٢٧]

الْفُجَّارِ ، وَالْفُسَّاقِ ، وَالْكَفَّارِ ، وَالْمُنْحَرِفُونَ يَرِيدُونَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ ، يَرِيدُونَ أَنْ يَلْبِي الْإِنْسَانَ شَهَوَاتِهِ الدُّنْيَا ، يَرِيدُونَ أَنْ يَخْضَعَ الْإِنْسَانُ كُلُّ شَيْءٍ لَشَهْوَتِهِ ، كَمَا يَدَّعِي بَعْضُ مَنْ يُدَّعُونَ بِأَنَّهُمْ عُلَمَاءُ ، بَعْضُ عُلَمَاءِ الْغَرْبِ تَوَهَّمُوا أَنَّ شَهْوَةَ الْجِنْسِ هِيَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْإِنْسَانِ ، بَعْضُهُمْ تَوَهَّمُوا أَنَّ النُّوَاحِيَ الْمَادِيَّةَ هِيَ كُلُّ شَيْءٍ فِي الْإِنْسَانِ .

يَا أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْأَكْرَامُ ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ ضَعِيفًا كَلَّفَهُ ضَمْنَ طَاقَتِهِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

## ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة : ٢٨٦]

أَصْلُ التَّكْلِيفِ مُتَوَافِقٌ مَعَ طَاقَةِ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفَةِ ، قَوْلُهُ تَعَالَى :

## ﴿لَا يَكْفِيكَ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾

[سورة البقرة : ٢٨٦]

هَذَا رَدٌّ عَلَى أَيِّ ادِّعَاءٍ يَدَّعِيهِ الْإِنْسَانُ أَنَّ أَوْامِرَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَعْبَةٌ التَّطْبِيقِ ، فَوْقَ طَاقَتِهِ ، كَأَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ لَيْسَ لِهَذَا الزَّمَانِ ، فَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لِأَنَّهُ خَالِقُنَا ، لِأَنَّهُ رَبُّنَا ، هُوَ أَدْرَى بِمَا نَتَحَمَّلُ وَبِمَا لَا نَتَحَمَّلُ ، لِذَلِكَ مَا كَلَّفْنَا إِلَّا مَا فِي إِمْكَانِنَا أَنْ نَطْبِقَهُ .

أَوَّلًا : لِأَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ ضَعِيفًا كَلَّفَهُ وَفَّقَ هَذَا الضَّعْفَ ، وَخَفَّفَ عَنْهُ فِي حَالَاتِ ضَعْفِ اسْتِثْنَائِيَّةٍ ، وَفَوْقَ هَذَا وَذَلِكَ فَإِذَا زَلَّتْ قَدَمُهُ ، وَغَلِبَتْهُ شَهْوَتُهُ ، وَضَعُفَتْ مَقَاوِمَتُهُ فَتَحَّ لَهُ أَبْوَابُ الْمَغْفَرَةِ وَالتَّوْبَةِ ، وَالرَّحْمَةُ وَالتَّوْفِيقُ . إِذَا أَصَلَ التَّكْلِيفُ رَاعَى ضَعْفَهُ ، فِي الضَّعْفِ الْاسْتِثْنَائِيِّ هُنَاكَ أَحْكَامٌ اسْتِثْنَائِيَّةٌ ، إِذَا غَلِبَتْهُ نَفْسُهُ ، وَضَعُفَتْ مَقَاوِمَتُهُ ، فَتَحَّ لَهُ أَبْوَابُ الْمَغْفَرَةِ وَالتَّوْبَةِ ، أَصْلُ التَّكْلِيفِ ، وَاسْتِثْنَاءُ التَّكْلِيفِ ، وَالدَّعْوَةُ إِلَى التَّوْبَةِ هَذِهِ كُلُّهَا تُرَاعَى أَنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ ضَعِيفًا .

آية ثانية يا أيها الأخوة الأكارم ، قال الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾

[سورة الأنفال : ٦٥]

واحد لعشرة . .

﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ \* الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾

[سورة الأنفال : ٦٥-٦٦]

أي أن كبار الصحابة الذين امتلأت قلوبهم إيماناً ، هؤلاء لتقتهم بالله عزّ وجل ، واعتمادهم عليه ، وإدراكهم إدراكاً يقينياً أن الأمر كله بيده ، هؤلاء الصحابة الكبار الواحد منهم بإمكانه أن يواجه عشرة ، لكن حينما دخل الناس في دين الله أفواجا ، اتسعت دائرة المؤمنين ، فدخل في هذه الدائرة قوي الإيمان وضعيف الإيمان . .

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفِينَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

[سورة الأنفال : ٦٦]

إذاً الشرع أيضاً راعى شيئاً آخر ، لم يراعِ فقط ضعف الإنسان ، ولم يراعِ فقط أنه قد تغلبه نفسه ففتح له باب التوبة ، لم يراعِ فقط أنه قد يمرض فأجاز له أن يفطر ، أنه قد يسافر فأعفاه من الصيام ، أيضاً راعى ضعفه في الإيمان ، فجعل الشرع يتسع لكل الناس ؛ قويهم وضعيفهم .

﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾

[سورة الأنفال : ٦٦]

شيء آخر ؛ آية الثالثة تتحدث عن ضعف الإنسان :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾

[سورة الروم : ٥٤]

الطفل الصغير أي شيء يؤذيه ، أي لفحة بردٍ تُرديه ، أي جرثومة تشقيه ، بُنيةٌ ضعيفة ، رقيقة ، حساسة ، سريعة التأثر ، لا يقوى على شيء ؛ لا يقوى على تأمين طعامه ، لا يقوى على تأمين شرابه ، لا يقوى على قضاء حاجاته ، هو عائلة على أمه وأبيه ، هو ضعيف ، لولا أم رؤوم وأب

رحيم لهلك الناس جميعاً ، خلقه ضعيفاً وأودع في قلب الأب والأم ما يُغنيه عن ضعفه ، رافةً ، وحناناً ، وشفقةً ، وعنايةً ، وبذلاً . .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾

[ سورة الروم : ٥٤ ]

سِنَّ الشَّباب ؛ عضلاتٌ مفتولة ، قوةٌ عضلية ، مضاءٌ ليس له حد ، عزيمةٌ قاهرةٌ ، هذه القوة التي يتمتّع بها الشاب جاءت بعد الضعف الشديد حينما كان طفلاً يحبو ، وبعد هذه القوة يأتي ضعف الشيخوخة ؛ ينحني ظهره ، ويشيب شعره ، ويضعف بصره ، وتوهن قواه عندئذٍ يعود إلى ضعفه الأصيل ، بدأ من ضعفٍ ، وانتهى إلى ضعفٍ ، وكانت قوته في الشباب لامتحانه ، ولاختباره ، ولابتلائه ، شبابك فيم أنيته ؟

((لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن علمه ماذا عمل به ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟))

[ الترمذي عن ابن مسعود ]

من أقبل على الله أصبح أقوى الأقوياء :

آياتٌ ثلاث في القرآن الكريم تتحدث عن ضعف الإنسان ، الإنسان أيها الأخوة إذا عرف أنه ضعيف أقبل على الله فأصبح أقوى الأقوياء . .

وما لي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أدفع  
وما لي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأني باب أقرع ؟

\* \* \*

إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ، إن أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك ، إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله . .

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِلَّا الْمُسْلِمِينَ﴾

[ سورة المعارج : ١٩ - ٢٢ ]

خُلِقْتَ ضَعِيفًا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ لَتَكُونَ قَوِيًّا بِاللَّهِ ، خُلِقْتَ فَقِيرًا لَتَكُونَ غَنِيًّا بِاللَّهِ ، خُلِقْتَ ضَائِعًا لَتَكُونَ مَعْرُوفًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذا الضعف الذي تحدّث عنه القرآن الكريم يتناول نواحي شتى ؛ أولاً : هو ضعيفٌ في جسده ، جرثومةٌ صغيرةٌ تشقيه ، تجعله طريحَ الفراش ، الجرثومة لا تُرى بالعين ، الجرثومة تفتك بالملايين أحياناً ، الأمراض الوبيلة ؛ الطاعون ، الكوليرا ، هذه الأمراض أمراضٌ جرثومية ، مخلوقٌ ضعيفٌ ضعيف لا يُرى بالعين ، يذهب بمئات الألوف ، جرثومةٌ تُرديه ، والفيروس أقل من الجرثومة يشقيه ، وهذا المرض الذي أعيا الأطباء في العالم ، العالم كله مجنذٌ للبحث عن علته ، وعن أدويته ، وهو في حيرة .

أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا انسدَّ مسلكٌ من مسالك الإنسان ، إذا سدَّ له مسلك البول تصبح حياته جحيماً لا يُطاق ، أسأل الذين سدَّت مسالكهم ، كم من ليلةٍ سهرُوا متألّمين ! كم من مرةٍ صاحوا مُزجرين ! إذا انسدَّ مسلكٌ من مسالكه ، إذا انعقد مصرانه ، إذا انسدَّ حالبه ، إذا تخثرت نقطة دم في دماغه ، تصيبه تارةً بشلل ، وتارةً بالوهن ، وتارةً بالعمى ، وتارةً بالعته ، وتارةً . . . أمراضٌ خطيرة تتأتى من نقطة دمٍ تخثرت في أحد شرايين الدماغ .

علام يتكبر الإنسان ؟ علام يتجبر ؟ علام يُعاند خالق الكون ؟ علام يعصي وهو خلق من ضعفٍ وسينتهي إلى ضعفٍ ؟ إذا انفجر شريانٌ صغير في الدماغ يصاب بسكتةٍ دماغيةً ، لأن شرياناً بسيطاً انفجر ، إذا ارتفع ضغطه قليلاً فهناك اختلالاتٌ خطيرة ، تارةً يُصاب بالعمى ، تارةً يصاب بالشلل ، إذا ارتفع ضغطه قليلاً ، إذا ارتفعت نسبة السكر قليلاً هناك اختلالاتٌ خطيرة ، إذا ارتفعت بعض الحموض قليلاً أصيب بالآلام لا تُحتمل في مفاصله .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لو عصبٌ لا يُرى بالعين ، وإذا رأيتَه فبصعوبة ، عصبٌ رفيعٌ رفيع في أصل السن ، حينما يستأصله الطبيب ويريك إياه ، تقول : يا الله ! كل هذا الألم من هذا الخيط الدقيق ؟! عصبٌ لا يُبْهِمُ الليل ، قطرة دمٍ إذا تخثرت في إحدى شرايينه تصيبه بأمراضٍ وبيبة ، الإنسان - كما يقول العامة وهي كلمةٌ دقيقةٌ دقيقة - تحت أطاف الله عزّ وجل لو أن العصب المحرك أصيب بالشلل لانشل نصف الإنسان ، أصبح طريح الفراش ، يُصْبِحُ ثقيلًا في حركته ، يتأفّف منه أقرب الناس إليه ، يتمنون نهاية حياته .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ تضعف ذاكرته فينسى أن هذا ابنه ، يسأله : من أنت ؟

### ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء : ٢٨]

تضعف ذاكرته ، أو يفقد ذاكرته فلا يعرف أين بيته ، بقي رجلٌ يجول في شوارع دمشق ساعتين يبحث عن بيته ، أين بيتي ؟

### ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِضِيًّا وَلَا يُرْجِعُونَ﴾

[سورة يس : ٦٧]

تضعف ذاكرته فينسى ، يفقدها فيختل توازنه ، أحياناً تنمو الخلايا في جسمه نماءً غير مُضَبِّط ، فإذا هو مرضٌ خبيث ينهي حياته مهما كان غنياً ، مهما كان قوياً ، ماذا يفعل لو أن الدنيا كلها بيده ونمت هذه الخلايا ؟ من يضبطها ؟ يد من تضبطها ؟ يد من تتظَّم نموّها ؟ إنها يد الله عزَّ وجل ، فإذا انطلقت هذه الخلايا لتنمو نمواً عشوائياً تارةً في الأمعاء ، وتارةً في الكبد ، وتارةً في العضلات ، وتارةً في الدم ، فإذا هو مرضٌ خبيث أعياء الأطباء مهما ارتقت مراتبهم .

أيها الأخوة الأكارم ؛ قد يتشمَّع الكبد ، لا يعيش من دونه أكثر من ثلاث ساعات، قد تضعف الكليتان فلا يستطيع أن يقوم على رجليه إلا بوهنٍ شديد ، علامَ التكبُّر؟ علامَ العُنْجُهيَّة ؟ علامَ الغَطْرَسَة ؟ علامَ العِناد ؟ علامَ ركوب الرأس ؟ علامَ المُجاهرة بالمعاصي؟ نقطة دم ، أو جرثومة، أو فيروس ، أو عصبٌ لا يُرى بالعين ، أو ضعفٌ في وظائف الكليتين ، أو تشمَّع في الكبد ، هذا معنى أن الإنسان خلق ضعيفاً .

الله جلَّ جلاله يا أخوة الإيمان كان من الممكن أن يخلق الإنسان قوياً ؛ لا يمرض أبداً إلى أن ينتهي أجله ، فالإنسان أحياناً يصنع جهازاً متيناً إلى درجة أنه لا يُصاب بالعَطَب ، لماذا شاعت حكمة الله عزَّ وجل أن يجعل الإنسان ضعيفاً ؟ أن يجعله عُرضَةً لآلاف الآف الأمراض ؟ لماذا جعله بهذه الطريقة سريع التأثر ، سريع الخلل ، سريع الوقوع ؟ ليبقى مع الله ، ليبقى على أبواب الله ، ليبقى مطيعاً لله ، إن هذا الضعف من أصل خَلْقِهِ ، إن هذا الضعف وسيلةٌ وليس هدفاً ، إن هذا الضعف سبب توبته ، إن هذا الضعف سبب إقباله ، إن هذا الخوف سبب اتصاله بالله عزَّ وجل ، لأن سعادة الإنسان في اتصاله بربه ، وما هذا الضعف الذي يعانیه إلا دافعٌ حثيثٌ ووازعٌ ومحرضٌ إلى اللجوء لباب الله عزَّ وجل ، وإذا رأيت مئةً من المؤمنين فتيقن أن مُعظمهم أصبح مؤمناً لعلَّة أَلَمَّتْ به بسبب ضعفه ، فجعلته يقبل على الله ، ويتوب إليه ، ويصطَلِح معه . قال : " يا بنيّتي ما بك ؟ قالت : حمى لعنّها الله . قال : " يا بنيّتي لا تلغنيها ، فو الذي نفس محمد بيده لا تدع المؤمن وعليه من ذنب " . يجب أن نؤمن أن هذا الضَعْف الذي نحن فيه هو سبب سعادتنا ، سبب إقبالنا على الله عزَّ وجل ، سبب توبتنا .

### التواضع والإقبال والالتجاء والاعتصام سبب معرفة الإنسان أنه ضعيف :

مرّة ثانية : محور الخطبة لو أن الإنسان خلق قوياً لاستغنى بقوته عن الله . .

## ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾

[سورة العلق : ٦-٧]

لو أنه خُلِقَ قوياً لاستغنى بقوته عن الله فشقي باستغنائه ، خلقه ضعيفاً ، ليفتقر في ضعفه ، فيسعد بافتقاره .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ درجة واحد بالألف لو أن نسبة الملح ارتفعت في دمه لانفجرت كرياتة الحمراء ، لو أنها انخفضت لانكشمت ، ارتفاع هذه النسب ، وهذه الخصائص في الدم يصيب الإنسان بالخلل ، لذلك الإنسان حينما يُصبح آمناً في سربه ، معافى في جسمه ، عنده قوت يومه فكأنما ملك الدنيا بحذافيرها . كما قال عليه الصلاة والسلام :

### ((الناس يتفاضلون بالعافية ، ويدركون ما عند الله بالطاعة))

[ورد في الأثر]

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ حينما تتناول الطعام ، حينما يخرج هذا الطعام ، حينما يخرج هذا الماء الذي شربته ، يجب أن تشكر الله عزّ وجل ؛ أن جعل المسالك سالكة ، أن جعل المنافذ نافذة ، أن جعل هذه الأجهزة تعمل بانتظام ، أن جعل هذه الأعضاء تسير بإحكام ، أن جعل هذا الجسم مرتاحاً ، وما راحته إلا محصّلة عشرات ، بل مئات ، بل آلاف الأسباب كلها تعمل معاً في تنسيق شديد كي تشعر بالراحة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ وضعفه في نفسه ، ربما أخذته نظرة ، وربما أزلته شهوة ، وربما اضطربت نفسه ، عندئذٍ لا يفرّق بين السين والصاد ، ولا بين الحاسر والمُسبِل ، ولا بين المُدْبِر والمُقْبِل ، ولا بين القائم والقاعد ، ولا بين الصاحي والنائم ، عندئذٍ يختل توازنه ، وتضطرب رؤيته لعرض أصابه . .

## ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء : ٢٨]

إذا أقبلت الدنيا عليه ينسى نعمة الله عليه ، فإذا انحسرت عنه النعمة فذو دعاءٍ عريض . .

## ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾

[سورة النساء : ٢٨]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قَمّة العِلْمِ أن تعرف أنك ضعيف ، ومعرفة ضعفك سبب إيمانك ، معرفة ضعفك سبب توكلك على الله ، معرفة ضعفك سبب عبوديتك لله عزّ وجل ، معرفة ضعفك سبب تواضعك لله عزّ وجل ، التواضع ، والإقبال ، والالتجاء ، والاعتصام هذه كلها سبب معرفة أنك

ضعيف ، ثلاث آياتٍ في كتاب الله تؤكد أنك ضعيف ، وهذا ضعفٌ ليس ذنباً لك ، إنه في أصل بُنيّتك ، إنه في أصل خلقك .

### الغرور علامة الجهل و البُعد عن الله و الضعف في الإيمان :

أيها الأخوة الأكارم ؛ قد ينسى الإنسان بعد العلم ، هناك ضعفٌ في عقله ، هناك ضعفٌ يصيب جسده ، وهناك ضعفٌ يصيب نفسه ، إن للنفوس إقبالاً وإدباراً ، أحياناً النفس تُدبر ، وتضعف ، وتقعد عن النوافل ، وعن الطاعات ، وأحياناً تنتشط ، فالنفس تضعف ، والله سبحانه وتعالى عالجهما في أيام قوتها وفي أيام ضعفها .

وقد يصيب الضعف العقل فينسى بعد العلم ، قد يصاب الإنسان بالخلل بعد العقل الشديد ، ما قيمة الإنسان من دون عقله ؟ ما قيمة الإنسان من دون هذا التوازن ؟ هذا الإدراك ؟ هذا الإحساس ؟ يكفي أن يختلّ عقل الإنسان حتى يتمنى أقرب الناس إليه أن يُودع في مستشفى المجانين ، قيمة الإنسان في بيته من وجود هذا العقل الذي أودعه الله فيه ، هذا الإدراك الصحيح ، هذه النظرة الصائبة ، هذا الحكم الصحيح .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لكن ما الذي يحصل ؟ الإنسان فعلاً خُلِقَ ضعيفاً ؛ ضعفٌ في جسمه ، وضعفٌ في نفسه ، وضعفٌ في عقله ، هذا الضعف سبب إيمانه ، سبب إقباله ، سبب اعتصامه ، سبب افتقاره إلى الله ، سبب سعادته بالله ، سبب عبوديته ، ولكنّ الإنسان حينما يغفل عن ضعفه ، ويرى حيلته في عقله . الإنسان ضعيف في جسمه لكن بعقله كشف خصائص الأشياء ، سيطر عليها كما يقولون ، حرّكها لمصلحته ، فإذا هو المخلوق الأول ، والمخلوق المكرّم ، سخرّ أشياء كثيرة لخدمته ، صعد إلى الفضاء ، غاص في أعماق البحار ، بنى أجمل المساكن ، ركب أجمل المركبات ، طار في الأماكن ، هذا العقل الذي أودعه الله فيه ، وجعله أداةً لمعرفته استخدمه استخداماً آخر ، فسيطر به على ما سخرّ الله له من ألوان الخلق ، عندئذٍ أصيب بالغرور ، الإنسان حينما يسخرّ قوى الطبيعة لصالحه وينسى ربه ، وينسى ضعفه ، يصاب بالغرور :

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ \* الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾

[سورة الانفطار : 6-7]

الغرور أيها الأخوة علامة الجهل ، الغرور علامة العمى ، الغرور علامة البُعد عن الله عزّ وجل ، الغرور علامة الضعف في إيمانه ، فالمُغترّ إنسانٌ ضعيف الإيمان ، ضعيف الإدراك ، ضعيف التبصّر ، يعيش أوهاماً بعضها فوق بعض . لكن ربنا جلّ جلاله كلّما اغترّ الإنسان عالجه ، ولا ينجو من هذه المُعالجة أيّ مخلوق مهما علا شأنه ، أصحاب النبي عليهم رضوان الله الذين قدّموا النَّفْسَ والنَّفِيسَ ، والغالي والرخيص ، أصحاب النبي عليهم رضوان الله الذي باعوا أنفسهم ، يوم حنينٍ أعجبتهم كثرتهم ، وقالوا : لن نُغلب من قلة . .

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة : ٢٥]

## التولي والتخلي :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ دعونا نقف قليلاً عند المغزى من هذه الخطبة ، إن أدركت ضعفك وتوكلت على ربك تولاك الله ؛ بالتوفيق ، بالتأييد ، بالنصر ، أعطاك معنوياتٍ عالية ، أعطاك قوةً فتصبر بهذه القوة ، أعطاك توازناً ، أعطاك جِداً ، أعطاك صبراً . .

﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[سورة النحل : ١٢٧]

أعطاك رؤيةً صحيحة ، فإذا اغتررت بقوتك ، إذا اغتررت بما عندك من مالٍ ، أو قوةٍ ، أو علمٍ ، إذا قلت : أنا . تخلى الله عنك . .

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[سورة آل عمران : ١٢٣]

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾

[سورة التوبة : ٢٥]

هاتان الواقعتان يعانیهما كل إنسان في اليوم الواحد عشرات المرّات ، فأنت إن قلت : أنا ، اغتررت ، ونسيت ضعفك ، فتخلى الله عنك وأدّبك ، وإن قلت : الله ، وأنا لا شيء ، أنا ضعيف ، يا رب إني ضعيف - هكذا دعا النبي - فقو في رضاك ضعفي . . " اللهم إني ضعيفٌ فقو في رضاك ضعفي " في الطائف بلغ ضعف النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال :

((اللهم إليك أشكو ضعف قوتي ، وقلة حيلتي ، وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين إلى من تكلمي ؟ إلى عدو يتجهمني أم إلى قريب ملكته أمري ؟ إن لم تكن ساخطاً علي فلا أبالي ، غير أن عافيتك أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السموات والأرض ، وأشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، أن تحل علي غضبك ، أو تنزل علي سخطك ، ولك العتبي حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله))

[الجامع الصغير عن عبد الله بن جعفر]

لكن النبي عليه الصلاة والسلام حينما فتح مكة التي أخرجته ، وائتمرت على قتله ، ونكّلت بأصحابه ، وناصبته العداة عشرين عاماً ، وكان عشرة آلاف سيفٍ متوهجٍ تحت إمرته ، ينتظرون كلمةً من بين شفّتيه حتى يقضي عليهم جميعاً ، قال :



((ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال : أقول كما قال أخي يوسف لا تثرىب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء))

[ من شرح الجامع الصغير ]

دخلها مطأطي الرأس تواضعاً لله عزّ وجلّ ، حتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بغيره ، ما نسي النبي وهو في أعلى درجات القوة ضعفه وافتقاره لله عزّ وجلّ .

أيها الأخوة . . . كلامٌ واضحٌ كالشمس ؛ في عملك ، في تجارتك ، في زراعتك، في صناعتك ، في وظيفتك ، في عيادتك ، في مكتبك ، في أيّ مكان ، في بيتك مع أولادك ، في الطريق ، في قيادة سيارتك ، في أيّ مجال إذا قلت : أنا ، تخلى الله عنك ، هذه حنين ، وإن قلت : الله ، تولاك الله ، فأنت بين أن يتولاك الله فيمدّك بالتأييد والنصر والتوفيق والسداد والحفظ ، وبين أن يدعك الله إلى نفسك حينما تقول : أنا . وما هذا بغضّ بك ولكن تأديباً للإنسان .

### من شعر بضعفه و افتقاره تولاه الله و أيده بالتوفيق و النصر :

أيها الأخوة الأكارم ؛ مؤدّى هذه الخطبة أنه يجب أن تشعر دائماً بضعفك ، وافتقارك ، وعبوديتك ، حتى يتولّى الله أمرك ، ويؤيّدك بالنصر والحفظ والتوفيق ، ويأخذ بيدك إلى سبيل السعادة . أما إذا قلت : أنا ، فهذا جهلٌ ، وهذا شرك ، وهذا ضعف إيمانٍ ، وهذا حمقٌ بالإنسان أن يغترّ بنفسه .

أحياناً أيها الأخوة هواءٌ شديدٌ يحطّم كلها شيء ، إنها الأعاصير ، أمطارٌ شديدةٌ تغرق كل شيء ، إنها الفيضانات ، بردٌ شديدٌ يصيب كل شيءٍ بالموت ، محاصيل بمئات الملايين تسودّ في دقائق إذا هبّت الحرارة عن درجةٍ معينة ، فالصقيع مدمرٌ ، والحر الشديد مدمرٌ ، والرياح العاتية مدمرةٌ ، والأمطار الغزيرة مدمرةٌ ، فالإنسان ضعيفٌ حتى أمام هذه الأعراض البيئية ، أو الجوية ، أعظم ناقلة نفضٍ قذفتها الأمواج إلى الصخور فتحطمت ، أعظم قاعدة نفطية في بحر الشمال رياحٌ عاتية أثارت أمواجاً عاليةً فحطمتها ، الإنسان ضعيفٌ مهما بدا قوياً . مركبة فضائية سموها " المتحدي " ، انطلقت ، بعد سبعين ثانيةً أصبحت كتلةً من اللهب ، اسمها " المتحدي " تتحدون من؟

الإنسان ضعيفٌ أيها الأخوة ، يكاد هذا الموضوع يننظم حياتنا كلها ، قلت لكم مرةً ثانيةً : في أي مجال من مجالات الحياة ، إذا قلت : أنا ، اعتزرت بقوتك ، بعلمك ، بمالك ، بذكائك ،

بخبرتك تخلى الله عنك ، فإذا أنت كالطفل الصغير ، يرتكب الإنسان المُعْرِضُ عن الله كل حماقةٍ أكبر من أختها ، يتورط كل ورطةٍ أكبر من أختها ، يتحامق كل حماقةٍ لا تُعَقَلُ ، وهذا من بعده عن الله ، واعتزازه برأيه ، فإذا التجأ إلى الله ، وأقبل عليه ، واستعان به ، واسترشد به ، واستهداه كان الله معه .

أيها الأخوة الأكارم ؛ مرةً أخيرةً هذا الإنسان تقتله الحشرة ، وتقعه الجرثومة ، وتبكيه الحاجة ، وتذله المصيبة ، ويخضعه الألم ، ويوهنه الخوف ، ويستخفه الطمع ، ويهوي به الهوى ، ويقض مُضَجَعَهُ التعلق ، إذاً :

### ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

[سورة النساء : ٢٨]

اعرف أنك ضعيف كي تقوى بالله ، اعرف أنك فقير كي تغتنى بالله ، هذا محور الخطبة أيها الأخوة .

لذلك نجد أحياناً أن النبي عليه الصلاة والسلام قال :

**((اللهمَّ هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك))**

[ من الدر المنثور في تفسير المأثور عن السيدة عائشة ]

الإنسان أضعف من أن يعدل في الحب ، لأنه أضعف من ذلك إذا عافاه الله من العدل في الحب ..

**((اللهمَّ هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك))**

[ من الدر المنثور في تفسير المأثور عن السيدة عائشة ]

الخطأ ..

**((إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه))**

[ من الدر المنثور في تفسير المأثور عن ابن عباس ]

طبيعة الشرع القصر في الصلاة ، الإفطار في السفر والمرض ، هذا كله مداراة للإنسان على ضعفه ..

### ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

[سورة النساء : ٢٨]

فإذا بلغ ضعفه أنه وقع في معصية فتح الله له باب التوبة ، فتح الله له باب المغفرة ..

## ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾

[سورة الزمر : ٥٣]

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، و الحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### الغدة النخامية :

أيها الأخوة ؛ في دماغ الإنسان غدةٌ وزنها نصفُ غرام ، من أجل أن تعرف وزنها أسأل عند باعة الموازين الحساسة عن الغرام ، احمله ، زنه ، هذه الغدة النخامية التي في الدماغ وزنها نصف غرام ، تقوم بوظائف خطيرة جداً ، مربوطة بالجسم تحت البصري بمئة وخمسين ألف عصب ، هذه الغدة تفرز هرمون النمو ، هذا الهرمون مؤلف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً ، يجب أن يكون في كل لتر دم عشرة ميكروغرام من هذا الهرمون ، فإذا قلت هذه النسبة أصبح الإنسان قزماً ، وإذا زادت هذه النسبة أصبح الإنسان عملاقاً ، من يضبط هذه النسبة ؟ عشرة ميكروغرام في كل لتر من الدم من هذا الهرمون المتألف من مئة وثمانية وثمانين حمضاً أمينياً ، تفرزه الغدة النخامية التي وزنها نصف غرام ، والمرتبطة بالجسم عن طريق مئة وخمسين ألف عصب . هرمون إفراز الحليب تفرزه الغدة النخامية ، بعد الحمل بقليل يبدأ هذا الهرمون يجول في الدم ، حتى يبلغ أوجه بعد الوضع ، فإذا بثديي المرأة يفرزان الحليب من هذه الغدة النخامية التي لا تزيد عن نصف غرام . هرمونٌ يحث الغدة الدرقية على إفراز هرمون يؤمن الاستقلاب في الجسم ، والاستقلاب من أعقد العمليات ، تحول الغذاء إلى طاقة ، فالاستقلاب الغدة الدرقية مسؤولةٌ عنه ، والغدة النخامية مسؤولةٌ عن توجيه الغدة الدرقية لإفراز هذا الهرمون ، والغدة النخامية لا يزيد وزنها عن نصف غرام .

هرمونٌ يحثُ الغدة الكظرية حينما يواجه الإنسان خطراً ، الغدة النخامية تأمر الكظر أن يفرز هرموناً يحثُ القلب على مضاعفة ضرباته ، ويحث الرئتين على زيادة وجبيهما، ويحث الأوعية على تضيق لمعتها كي يتوفر الدم للعضلات ، ويحث الكبد على إفراز السكر ، أربعة أوامر تفرزها الكظر بأمرٍ من الغدة النخامية التي لا يزيد وزنها عن نصف غرام . هرمون النمو الجنسي مسؤولةٌ عنه الغدة النخامية في الدماغ ، صفات كل من الذكر والأنثى هذا بفعل هرمون تفرزه الغدة النخامية . هرمون يحثُ الخلايا التي تحت الجلد على إفراز المادة الملونة ، لون الإنسان من أبيض ، إلى أسمر ، إلى حنطي ، إلى ملونٌ هذا من مسؤوليات الغدة النخامية التي لا

يزيد وزنها عن نصف غرام . هرمون يحقق توازن السوائل ، لو اختل هذا الهرمون لكانت حياة الإنسان شقية جداً ، يجب أن يبقى إلى جانب الصنبور والمرحاض ، ليُمضي كل وقته في الشرب وإفراز الماء ، هذا الهرمون الذي يحقق توازن السوائل في الجسم .  
هرمون لقبض الأوعية وتوسيعها ، وتنشيط الذاكرة . هرمون المخاض . وهناك هرمونات كثيرة تفرزها هذه الغدة النخامية التي لا يزيد وزنها عن نصف غرام . .

### ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾

[ سورة النساء : ٢٨ ]

لو اختلت هذه الغدة لأصبحت حياة الناس في شقاء شديد .

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا يزال موضوع الهرمونات موضوع معقد ، ولا يزال موضوعاً بالغ الأهمية ، والإنسان حينما يستيقظ ، ويتحرك ، ويمارس نشاطه لا يعرف مدى التعقيد ، ومدى الدقة في تصميمه وخلقه ، وحركة أعضائه وأجهزته .

### والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢٣ : خ ١ - حقيقة الإنسان ٥ - وخلق الإنسان عجولاً، خ ٢ - الساعة البيولوجية .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠١-١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

### خصائص الإنسان من خلال القرآن أنه خلق عجولاً :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ في سلسلة الخطب التي كان موضوعها خصائص الإنسان من خلال القرآن ، موضوع الخطبة اليوم أن الإنسان من خصائصه الخلقية أن الله خلقه عجولاً ، وقد لا ينتبه بعض المؤمنين إلى أبعاد هذه الآيات ، ربنا جلّ جلاله يقول :

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١١]

وفي آية ثانية - الآية الأولى في سورة الإسراء ، والآية الثانية في سورة الأنبياء - يقول الله جلّ جلاله :

﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾

[سورة الأنبياء : ٣٧]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ العجلة في تعريفها الدقيق طلب الشيء قبل أوانه .

والتقصير ، والتخلف ، والإهمال : طلب الشيء بعد أوانه . والاعتدال ، والالتزام : طلب الشيء في أوانه . فمن تعجل الشيء قبل أوانه يوصف بأنه عجول ، ومن تركه إلى ما بعد فوات الأوان يوصف بالإهمال والتقصير ، ومن طلبه في وقته يوصف بالحكمة ، والحكمة ضالة المؤمن .

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾

[سورة البقرة : ٢٦٩]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ليست كل سرعة عجلة ، فمن الأمور ما تقتضي أن تُنجزها بسرعة فائقة ، وليس كل إبطاء تأن ، فمن الأمور ما لو أبطأت في إنجازها فقدت قيمتها، إذاً ليست السرعة ولا الإبطاء مقصودين لذاتهما ، ولكن السرعة والإبطاء أي السرعة عن الوقت المناسب، والإبطاء عن الوقت المناسب .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ لماذا خلق الإنسان عجولاً ؟ الإنسان أيها الأخوة الأكارم لا يرقى عند الله عز وجل إلا إذا دفع الثمن ، وقد يكون الثمن أحياناً أن تُخالف طَبْعَكَ ، فلإنسان طبعٌ ، فإذا ما خالفه شعر أنه قدّم شيئاً ثميناً ، أودع الله في الإنسان حُبَّ النساء ، إن غضَّ البصر مخالفةً للطبع ، وبمخالفة الطبع نرقى عند الله عز وجل ، أودع الله في الإنسان حُبَّ المال ، وكلّفنا أن نُنْفِقَ المال ، ففي إيفاق المال مخالفةً للطبع ، وفي مخالفة الطبع نرقى عند الله عز وجل ، هناك خصائص كثيرة رُكِّبَت في طباع الإنسان ، فإذا ما خالفها ارتقى عند الله عز وجل ، من هنا قال الله عز وجل :

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ \* فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾

[سورة النازعات : ٤٠-٤١]

نهى النفس عن الهوى . لذلك أيها الأخوة الأكارم ؛ أوامر التكليف تُخالف الطبع ، لكنها توافق الفِطْرَةَ ، وفرقٌ كبيرٌ بين الطبع والفطرة ، فطرة الإنسان بُنِيَتْ نفسه ، النفس لا تطمئن إلا بطاعة الله ، لا تستقر إلا أن يرضى الله عنها ، لا تشعر بالأمن إلا إذا لاذت بعظيم ، لا تشعر بالسعادة إذا اتصلت بخالقها ، الأمر والنهي ، أوامر التكليف تتوافق مع فطرة النفس ، لكنها تخالف طَبْعَ الإنسان ، وكأنَّ الطبع أقرب إلى الجسد ، وكأن الفطرة أقرب إلى النفس . من هذه المقدمة أيها الأخوة ركب الإنسان من طبيعةٍ عَجَلَى ، فإذا أراد الآخرة ، إذا أراد الآجلة ، إذا أراد السعادة فيما بعد الحياة ، هذا مخالفٌ لطبعه ، طبع الإنسان يودُّ الشيء السريع ، يود الثمرة القريبة ، يود المكاسب الدنيا ، لكن . .

﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾

[سورة الإسراء : ١٩]

فأول شيء في حكمة أن الإنسان خلق عجولاً ، أن هذا الخلق بهذه الطريقة هو الذي يرقى به عند الله فيما لو أراد الآخرة ، فيما لو أراد الشيء الآجل ، لو أن الله سبحانه وتعالى خَلَقْنَا نُحِبُّ العاجلة ، وأردنا الآجلة ، لما ارتقينا عند الله عز وجل ، هذه بعض حكم أن الإنسان خلق من عَجَلٍ ، يحب الشيء السريع ، يحب الشيء القريب .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ شيءٌ آخر : هذه العَجَلَةُ تَمَثَّلُ في الإنسان محركاً يحركه نحو هدفٍ ما ، لو أن الأهداف أمامه مرسومة ، وليس عنده دافعٌ يدفعه نحو الأهداف ، يبقى في مكانه ساكناً ، لذلك رُكِّبَ في الإنسان ما وصفه القرآن بأن الإنسان عَجُولٌ ، خلق من عَجَلٍ ، هذه العَجَلَةُ بمعنى السرعة ، أي خلق في الإنسان دوافع قوية تدفعه إلى أهدافه ، يمكن أن نُشِبَّ هذه الطبيعة في

الإنسان - طبيعة العجلة - بأنها محرك قوي ، هذا المحرك أيها الأخوة يحتاج إلى مقود ، وإلا أهلك صاحبه .

دائماً وأبداً الخصائص التي رُكِّبَت في الإنسان حيادية ، إما أن يرقى بها إلى أعلى عليين ، وإما أن يهوي بها إلى أسفل سافلين ، العقل أداة معرفة الله عز وجل ، مناط التكليف ، فإذا أراد الإنسان الدنيا ، يصبح الإنسان كما وصفه الله عز وجل أكثر شيء جدلاً ، يستخدم هذا العقل الذي هو أعظم ما في الكون ، يستخدمه لتبرير أخطائه ، ولتغطية انحرافاتة ، ولفلسفة دنايته وشهوانيته . وكذلك هذه القوة الدافعة التي تجعل الإنسان متحركاً ، يتحرك نحو أهدافه ، هذه القوة الدافعة وصفت في القرآن الكريم بأنها العجلة .

### ﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ﴾

[سورة الأنبياء : ٣٧]

وصفت :

### ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾

### ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

هذه القوة المحركة تحتاج إلى مقود ، تحتاج إلى منهج ، تحتاج إلى شرع من عند خالق الإنسان ، فما لم يتكامل هذا المقود مع هذه الطاقة ، وهذه القوة الدافعة ، يكون الهلاك ، فإذا وصف الإنسان بأنه قد دمر نفسه لأنه كان عجولاً ، هذه العجلة لم تقترن بمنهج الله عز وجل ، لم يستلهم الإنسان أمر الله عز وجل ، فعل ما نهى ، وترك ما أمر .

### الخصائص النفسية التي رُكِّبَت في الإنسان لصالحه وصالح سعادته :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بما أن الله سبحانه وتعالى ذات كاملة . .

### ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾

[سورة الأعراف : ١٨٠]

إذا خلقه كامل ، والخصائص النفسية التي رُكِّبَت في الإنسان لصالح الإنسان ، ولصالح إيمانه ، ولصالح سعادته في الدنيا والآخرة ، فإذا خلق الله الإنسان من عجل فهذه الخصيصة لصالح إيمانه، ولصالح سعادته ، فإذا لم يكن كذلك ، افتقر الإنسان إلى القوة المحركة ، افتقر إلى الدافع ، لذلك هذه الصفة العجلى في الإنسان ، قوة الاندفاع هذه تحتاج إلى شرع يسير عليه ، إلى منهج يهتدي به ، إلى سنن لا يحيد عنها ، هذه تحتاج إلى أمر من عند خالق الكون افعل ، ولا تفعل .

١ - حب الدنيا :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من ثمار هذه العجلة غير المتبصرة ، كل إنسان عنده هذا الدافع نحو تحقيق أهدافه ، هذه القوة المحركة إن لم تهتد بهدي الله عز وجل ، إن لم تستلهم خالق الكون ، إن لم تلتزم أمر الله ونهيه ، تصبح هذه القوة المحركة قوة مدمرة .

أيها الأخوة الأكارم ؛ مثل بسيط : هذا المحرك الذي صنع في أرقى معامل المركبات ، صنع ليحرك هذه السيارة ، ليحركها بقوة كبيرة إلى أهدافها السليمة ، النبيلة ، فإذا قاد إنسان مركبة وكان في حالة سكر شديد ، ونزل بالمركبة إلى الوادي ، وأهلك نفسه وأسرته ، نقول : إن العلة في المحرك ؟ لا ، هذا كلام غير صحيح ، العلة في أنه أساء استخدام هذا المحرك ، أي إذا أفضت العجلة التي ركبنا فيها إلى هلاكنا ، فالخطأ ليس في العجلة ، ولكن الخطأ في أن هذه العجلة تحركت من دون مقود ، من دون شرع يهتدي به الإنسان إلى سواء السبيل ، فلذلك الإنسان كما قال الله عز وجل :

﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾

[سورة آل عمران : ١٤]

هذه الشهوات التي أودعها الله فينا ، ما أودعها فينا إلا لنرقى بها إلى رب الأرض والسموات ، فإذا غفلنا عن سر وجودنا ، وغفلنا عن منهج ربنا ، قادتنا هذه الشهوات إلى هلاكنا ، لذلك : أول ثمرة من ثمار العجلة العمياء غير المتبصرة أن نحب الدنيا .

((حب الدنيا رأس كل خطيئة . . .))

[الدر المنثور عن يحيى بن سعد]

((حبك الشيء يعمي ويصم))

[الجامع الصغير عن عبد الله بن أنيس]

((الدنيا تغر وتضر وتمر))

[ورد في الأثر]

((الدنيا جيفة والناس كلابها))

[أبو الشيخ في تفسيره عن علي]



**((الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له))**

[ أحمد عن عائشة ]

**((فمن عرفها لم يفرح لرخاء ، ولم يحزن لشدة ، ألا وإن الله تعالى خلق الدنيا دار بلوى ،  
والآخرة دار عقبي))**

[ من كنز العمال ]

فحب الدنيا ثمرة سلبية من ثمار العجلة التي رُكِّبَتَ فيها لتكون دافعاً إلى الله والدار الآخرة ،  
فغفلنا عن منهج الله ، فأصبحت هذه القوة المحركة سبباً لهلاكنا ، ربنا سبحانه وتعالى يقول :

**﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾**

[ سورة الإنسان : ٢٧ ]

**﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ \* وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾**

[ سورة القيامة : ٢٠-٢١ ]

**((حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات))**

[ الجامع الصغير عن أبي هريرة ]

**((ألا إن عمل الجنة حزنٌ بربوة ، ألا وإن عمل النار سهلٌ بسهولة))**

[ من الجامع الصغير عن ابن عباس ]

أول ثمرة إذا غفل الإنسان عن الله ، غفل عن سرّ وجوده ، غفل عن أمانته التي أودعها الله  
عنده ، غفل عن سرّ التكليف ، غفل عن حقيقته ، أقبل على الدنيا ، فيه دوافع تدفعه نحو شهواته ،  
فشيء طبيعي جداً أن ينطلق الإنسان إلى تحقيق شهواته إذا غفل عن ربه ، وحينما ينطلق هذه  
الانطلاقة يأخذ ما له وما ليس له ، يقع في البغي والعدوان ، فيستحق عقوبة الواحد الديان ،  
فيهلك في الدنيا والآخرة .

## ٢ - طلب الشيء السريع :

شيء آخر : من ثمرات هذه الطبيعة العجلى في الإنسان ، العمياء غير المتبصرة ؛ أنه يطلب  
الشيء السريع ، يطلب الثمرة غير اليانعة القريبة .

**﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ﴾**

[ سورة الإسراء : ١١ ]

يتمنى أن يكون غنياً ، وليس في درجة من العلم تجعله يُنفق هذا المال في الوجه الذي أمر الله  
به ، يتمنى الغنى مع أن الغنى من دون إيمان ، ومن دون اهتداءٍ ربما كان طُغياناً ، وقد وصف  
النبي عليه الصلاة والسلام المصائب الوبيلة ، فذكر الغنى المُطغي أحدها ، قال :

(( بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا : هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِنَّا فَقْرًا مُنْسِيًّا ؟ أَوْ غِنًى مُطْغِيًّا ؟... ))

[الترمذي عن أبي هريرة]

المال من دون إيمان ، من دون ورع ، من دون استقامة ، من دون التزام ، مصيبةٌ كبيرةٌ لأنها تُمَكِّنُ الغنيَّ من أن ينقلت من أوامر الدين ، من أن ينطلق وراء شهواته ، من أن يحقق ما كان عاجزاً عن تحقيقه من المعاصي ، لذلك قال تعالى :

﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ﴾

[سورة الإسراء : ١١]

كما لو كان خيراً .

﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١١]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال عليه الصلاة والسلام :

(( نعم المال الصالح للمرء الصالح ))

[أحمد عن عمرو بن العاص]

لأن الإنسان لا تزول قدماه يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : من هذه الأربع :

((عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟))

[الترمذي عن أبي برزة الأسلمي]

العجلة التي لا ترافقها طاعةٌ لله وبال على صاحبها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ آيةٌ ثالثةٌ تتحدث عن طبيعة التعجّل في الإنسان :

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

[سورة البقرة: ٢١٦]

لذلك أيها الأخوة هذه القوة الدافعة التي عبّر عنها القرآن بالعجلة ، تحتاج إلى عقلٍ وإلى منهج ، فإذا كان معها العقل والمنهج كانت قوةً نافعةً ، قوةً دافعةً ، قوةً موصلةً إلى الله عز وجل ، أما لو كانت هذه القوة . . تصور مركبةً ذات محركٍ قوي بلا مقود ، إن قلت : إن الحادث حتميٌّ ، أنت لست مبالغاً ، لا بد من أن تقع هذه المركبة بحادثٍ مهلك ، لأن قوةً تتحرك بلا مقود ، وهذا شأن الإنسان ، ليس الإنسان كائنًا سكونيًا ، كائنًا متحركاً ، ما الذي يحركه ؟ شهواته ، هذه قوة الاندفاع هي ما عبّر عنه القرآن بالتعجّل .

أيها الأخوة الأكارم ؛ من تطبيقات هذه الطبيعة التي أودعت في الإنسان ، من تطبيقات هذه العجلة العمياء غير المتبصرة أن الإنسان مثلاً يحب الريح السريع ، فيكذب ، ويغش ، ويحتال ، ويدلس ، من أجل أن يكون غنياً في أقصر وقتٍ ممكن ، حينما يكتشف الناس كذبه ، يكتشف الناس غشّه ، يكتشف الناس احتياله ، ينفضون عنه ، إذاً هذه العجلة التي لم ترافقها طاعة الله عز وجل كانت وبالاً على صاحبها .

وما من صاحب حرفة أيها الأخوة يستعجل الريح السريع إلا على حساب إخلاصه ، وإلا على حساب إتقانه ، وإلا على حساب نصحه للناس ، فإن لم يكن ناصحاً لهم ، ولم يكن متقناً في عمله ، ولم يكن صادقاً ، ولم يكن نافعاً ، عادت هذه العجلة ؛ أي طلب الريح السريع في الوقت القصير وبالاً عليه ، فأهلكته في الدنيا قبل الآخرة .

يا أيها الأخوة الكرام ، يا أصحاب الحرف ، دقق في إتقان صنعتك ، أتقن صنعتك ولا تدقق في الكسب المادي ، عندئذ ترتفع بين الناس ويأتيك المال ، أما إذا جعلت المال نصب عينيك ، وأردت أن تربح سريعاً على حساب إتقان عملك ، وعلى حساب إخلاصك في عملك ، وعلى حساب خدمة الناس ، فعندئذ يقع الإنسان في شر عمله . أحياناً يهمل الإنسان بناء نفسه ، يريد مسكناً مريحاً ، دخلاً كبيراً ، عملاً رابحاً ، فيسلك طرائق ملتوية مخالفة للشرع من أجل أن يقطف ثمار الدنيا قبل أوانها ، قبل الوقت المناسب ، عندئذ يهلك نفسه -دققوا - هؤلاء الذين أرادوا الربح السريع ، أو النجاح السريع ، أو العلو السريع ، أو الراحة المبكرة ، هؤلاء شقوا طوال حياتهم ، الذي يبني نفسه بناءً صحيحاً ، الذي يطلب الشيء في أوانه ، الذي يدفع ثمن نجاحه في الحياة أمداً طويلاً ، هو الذي يقطف الثمار .

أحياناً يطلب الإنسان المتعة قبل الوقت المناسب التي أباحها الله عن طريق الزواج ، يطلب هذه المتعة قبل أوانها ، قبل الطريق المشروع ، فيقع في شر عمله ، يقع في حجاب بينه وبين الله ، يصبح مقطوعاً عن الله عز وجل ، ينطفئ نوره ، يصبح أعمى القلب ، وربما جاءت الأمراض من كل جانب وهو لا يدري ، لماذا ؟ لأنه تعجل قضاء هذه الشهوة قبل الوقت المناسب ، وقبل الظروف المناسبة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من تعجل قضاء شهواته في غير ما أمر الله ، من تعجل الربح الوفير في غير الطريق المشروع ، هذا يشقى في الدنيا ويشقى في الآخرة ، ولا أدل على ذلك من مثل

بسيط بسيط موضوع بين أيديكم ، هذا الذي يسرع في قيادة مركبته ، ليصل في وقت مبكر قد لا يصل ، إن هذه السرعة حرمة من تحقيق هدفه ، وحرمة من وجوده ، لأن تصل متأخراً خيراً لك من ألا تصل . إذا السرعة في قيادة المركبة مثل حسي ، أي أن الإنسان إذا تعجل أهدافه الدنيا قبل أوانها ، ومن طرق غير مشروعة ، وبأساليب غير مشروعة ، ربما حرمتها في الدنيا قبل الآخرة ، قال عليه الصلاة والسلام :

((ألا يا رب نفس طاعمة ناعمة في الدنيا ، جائعة عارية يوم القيامة . ألا يا رب نفس جائعة عارية في الدنيا ، طاعمة ناعمة يوم القيامة . ألا يا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين . ألا يا رب مهين لنفسه وهو لها مكرم))

[ السيوطي عن أبي البجير ]

### ما من عمل أفضح وأبعد عن الإنسانية من أن تقيس بمقياسين :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه العجلة هي التي يمكن أن تكون أساس الشرور ، أساس المعاصي ، أساس الطغيان ، أساس الانحراف ، هل في الإنسان صفة أشجع من أن يقيس بمقياسين ؟ من أن يعير الأشياء بمقياسين ؟ يقيس لنفسه بمقياس وللآخرين بمقياس ؟ ماذا قال عليه الصلاة والسلام ؟ كان مع أصحابه في سفر واضطروا أن يعالجوا شاة ليأكلوها..

فقال أحد أصحابه : عليّ ذبحها . وقال صحابي آخر : وعليّ سلخها . وقال صحابي ثالث : وعليّ طبخها . فقال عليه الصلاة والسلام : وعليّ جمع الحطب . قاس نفسه بمقياس واحد مع أصحابه . قيل يا رسول الله : نحن نكفيك ؟ قال : أعلم ذلك ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه .

حينما جاءه أسامة بن زيد " حبه " قال : يا رسول الله امرأة مخزومية سرقنا - جاء ليشفع لها - قال :

(( يا أسامة أتشفع في حد من حدود الله؟! والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقنا لقطعت يدها .. إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم إذا كانوا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد .. ))

[ البخاري عن عائشة ]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ مثل من واقع حياتنا : أنت لك عمل ناجح ، وعندك موظف ، تريد أن يكون ابنك في أعلى مرتبة ، يحتل أعلى مكان في المجتمع ، يحمل أعلى شهادة ، تتفوق عليه مبالغ

طائلة ، فإذا طلب منك هذا الموظف أن يغادر العمل قبل ساعة ليلتحق بمدرسة مسائية ، ورفضت ذلك ، ألم تقيس الأمور بمقياسين ؟ ألم ترد لابنك مكاناً علياً وعلماً نافعاً ولم ترد لهذا الموظف الضعيف أن ينال شيئاً من العلم ؟ الإنسان إذا قاس الأمور بمقياسين سقط من عين الله ، وسقط من عين المجتمع ، وصار بالتعبير المعاصر عُصْرِيّاً ، الذي انحاز انحيازاً أعمى ، ينحاز إلى الباطل ، أو إلى من يلوذُ به بلا تبصّر ، بلا ميزان ، هذا إنسان ساقطٌ من عين الله عز وجل ، وساقطٌ من عين المجتمع .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ ما من عملٍ أفضح ، وأبشع ، وأبعد عن الإنسانية من أن تقيس بمقياسين ، من أن تقيس الأمور بمعيارين ، وكلكم يرى ويسمع كم هؤلاء الذي يقيسون بمقياسين ساقطون من نظر الناس .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يجب أن تُعامل هذا الذي في محلك التجاري ، هذا اليتيم كما تعامل ابنك ، يجب أن تعامل زوجة ابنك ، كما تعامل ابنتك ، يجب أن تعامل أمّ زوجتك كما تعامل أمك ، هذا القياس بمقياسٍ واحد وإلا وقعت في انحيازٍ أعمى ، وهذا بدافع العجلة ، الإنسان إذا استعجل المكاسب ، واستعجل النجاح ، واستعجل قضاء شهوته في غير وقتها المناسب ، وفي غير المكان المناسب ، وفي غير الظروف المناسبة وقع في شر عمله .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنتخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأماني .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### الساعة البيولوجية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بجوار الغدة النخامية مجموعة خلايا ، لها خاصية عجيبة ، إنها تستشعر الضوء الذي يسقط على قاع الشبكية في أثناء النهار ، إذا استشعرت هذا الضوء معنى ذلك أن

الوقت ووقت نهار ، فإذا غابت هذه الأشعة التي تسقط على قاع الشبكية ، معنى ذلك عند هذه الخلايا أن الوقت هو وقت الليل . فماذا يكون في النهار من تبدلات في جسم الإنسان ؟ وماذا يكون في الليل ؟ في النهار أيها الأخوة يزداد استهلاك الجسم للطاقة ، فترتفع درجة حرارته نصف درجة عن المعدل الوسطي في النهار ، وتنخفض نصف درجة في الليل .

إذاً معدل استهلاك الطاقة يزداد في النهار ، من يشعر الخلايا وخلايا الاستقلاب أن الوقت وقت نهار ؟ هذه الخلايا التي إلى جوار الغدة النخامية ، تستشعر من خلال اقتباسها لقاع العين أن الوقت وقت نهار . وتزداد ضربات القلب في النهار من عشر ضربات إلى عشرين ضربة عنها في الليل ، ويزداد إدرار البول من ضعفين إلى أربعة أضعاف في النهار عنه في الليل ، ومن خلال تسجيل النشاط الكهربائي للدماغ يزداد نشاط الدماغ في النهار ، ويضعف في الليل ، وتزداد درجة لزوجة الدم في النهار عنها في الليل ، ويزداد عدد كريات الدم البيضاء - كسلاح دفاعي في الإنسان - عنها في الليل ، ما الذي يشعر الجسم أن الوقت وقت نهار ؟ أنت بعقلك تدرك ، ولكن هذه الخلايا التي تتبدل وظائفها بين النهار والليل ، أو ترتفع معدلات وظائفها بين النهار والليل من يشعرها ؟ هذا ما اصطلح عليه العلماء بتسميته " الساعة البيولوجية " ، الساعة البيولوجية مجموعة خلايا إلى جانب الغدة النخامية ، تستشعر ضوء الشمس الذي يسقط على قاع الشبكية في النهار ، لذلك إذا عاش الإنسان في ظلام مستمر تَحْتَلُ وظائفه الحيوية ، لأن هذه الساعة البيولوجية تتعطل عن العمل لانعدام وصول الشمس إلى قاع العين .

أيها الأخوة الأكارم ؛ يزداد استهلاك الطاقة في النهار ، بدليل ارتفاع درجة حرارة الجسم نصف درجة ، تزداد ضربات القلب في النهار من عشر إلى عشرين ضربة عما هي عنه في الليل ، يزداد إدرار البول في النهار من ضعفين إلى أربعة أضعاف ، يزداد نشاط الدماغ الكهربائي في النهار ، تزداد لزوجة الدم في النهار ، يزداد عدد كريات الدم البيضاء في النهار . أما في الليل فيزداد هرمون النمو ، إفراز هرمونات النمو يزداد في الليل ، هرمونات الإخصاب تزداد في الليل ، استهلاك السكر يقل في الليل ثلاثين في المئة عما هو في النهار ، فعالية الجهاز التنفسي تقل في الليل ثلاثين بالمئة عما هي في النهار ، هذا معنى قول الله عز وجل :

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾

[سورة التين : ٤]

هناك ساعة بيولوجية ، هذه الساعة تشعر الأجهزة ، والأعضاء ، والنسج ، والخلايا ، والغدد أن الوقت وقت نهار فافعلي كذا وكذا ، وامتنعي عن كذا وكذا ، ثم تشعر هذه الخلايا التي هي الساعة البيولوجية الأعضاء ، والأجهزة ، والنسج ، والغدد ، والخلايا أن الوقت وقت ليل فافعلي كذا وكذا .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾

[سورة التين : ٤ - ٥]

والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢٥ : خ ١ - حقيقة الإنسان ٦ ( كلا إن الإنسان ليطغى ) ، خ ٢ - مضار التدخين.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠١-٢٩

## بسم الله الرحمن الرحيم

### طبيعة الإنسان من خلال القرآن :

أيها الأخوة الأكارم، عودةً إلى الموضوع المتسلسل، وهو: طبيعة الإنسان من خلال القرآن. موضوع الخطبة اليوم خصيصاً ثابتةً من خصائص الإنسان، أشارت إليها آيةً كريمة في سورة العلق، قال تعالى:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَى \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغَى ﴾

[سورة العلق: ٦-٧]

### الطغيان تجاوز حدود العدل :

أيها الأخوة الأكارم، يقع في العالم أحداثٌ وأحداث، وكل البشر تأتيهم أخبار هذه الأحداث، ولكن الذي يملك القدرة على تفسيرها تفسيراً علمياً موضوعياً صحيحاً هو الذي يملك القدرة على التحرك الصحيح، فهذه الآية أيها الأخوة الأكارم على إيجازها إنها تفسر أكثر ما يجري في العالم.

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَى \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغَى ﴾

[سورة العلق: ٦-٧]

ما الطغيان أيها الأخوة؟ الطغيان تجاوز حدود العدل، تجاوز حدود الحق، تجاوز حدود الخير، تجاوز حدود العدل إلى الظلم، تجاوز حدود الحق إلى الباطل، تجاوز حدود الخير إلى الشر، تجاوز حدود المصلحة إلى المفسدة، تجاوز حدود المنفعة إلى المضرّة، تجاوز حدود الحكمة إلى الحمق، أيّ تجاوز للعدل والحق والخير والمصلحة والمنفعة والحكمة هو في اللغة العربية طغيان، فإذا قلت: طغى البحر، أي ارتفعت أمواجه حتى أغرق وأتلف.

### الطغيان و الاستغناء :

أيها الأخوة الأكارم، في الآية الكريمة كلمتان هما مركزا الثقل فيها: الطغيان، والاستغناء..

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا طَغَى \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغَى ﴾

[سورة العلق: ٦-٧]



أي إن رأى نفسه استغنى، الاستغناء امتلاك الشيء الذي يجعل مالكة غنياً عن غيره، غير محتاج إلى أحد، الإنسان قد يستغني بالمال، وقد يستغني بالقوة والسلطان، وقد يستغني بالعلم، وقد يستغني بالصحة والعافية، وقد يستغني بالاتباع والأنصار.

## أنواع الاستغناء :

لكن أيها الأخوة الاستغناء نوعان: استغناء حقيقي، واستغناء وهمي، فالمستغني حقيقة في الكون هو الله وحده، لأنه صمدٌ، وجوده ذاتي، قدرته ذاتية، لا يتعلّق وجوده على جهةٍ أخرى..

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ \* اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾

[سورة الإخلاص: ٢-١]

أيها الأخوة الأكارم، المستغني الوحيد عن كل خلقه هو الله، وهذا قد ينطبق على اسم العزيز، واسم العزيز هو الشيء الذي تشتدّ الحاجة إليه، أما إذا كان الله عزيزاً فكل شيء يحتاجه في كل شيء، ومن تعاريف العزيز أنه الشيء الذي يقلّ وجوده، فإذا كان الله هو العزيز فهو فردٌ لا ثاني له، واحدٌ لا شريك له، واحدٌ لا نِدٌّ له، واحدٌ لا مُماثل له، ومن معاني اسم العزيز: الذي يصعب الوصول إليه، تصعب الإحاطة به، وإذا كان الله عزيزاً فهو الذات التي يستحيل أن تحيط بها:

﴿ وَكَأَيُّ حَيْبُوتٍ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴾

[سورة البقرة: ٢٥٥]

يا أيها الأخوة الأكارم، إذا ليس المستغني إلا الله. أما إذا استغنى الإنسان، إذا امتلك مالا فظن أن هذا المال يغنيه عن الناس ويستعلي به عليهم فهنا المشكلة، هذا هو الشعور الكاذب، هذا هو الوهم الكاذب، هذا هو الضلال المبين؛ أن يتوهّم الإنسان أنه بالمال يستغني عن الله عزّ وجل، أو أنه بقوّته وسلطانه يستغني عن الله عزّ وجل، أو أنه بعلمه يستغني، أو أنه بصحته وعافيته يستغني، أو أنه بالاتباع والأنصار يستغني.

## من شعر أنه قوي فهو شعورٌ مبنيٌّ على ضعفٍ في الرؤية :

إذا شعر الإنسان أنه غنيّ فهو شعورٌ مرّضيّ، شعورٌ كاذب، شعورٌ موهوم، شعورٌ مبنيٌّ على ضعفٍ في رؤيته، والدليل أن الله سبحانه وتعالى قال في مُحكم كتابه:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

[سورة فاطر: ١٥]

أنتم مفتقرون في وجودكم، كُنْ فيكون، زُلْ فيزول، أنتم مفتقرون في استمرار وجودكم؛ لولا أن الله أمدكم بالهواء، لولا أنه أمدكم بالماء، لولا أنه أمدكم بالغذاء، لولا أن هذه الأجهزة والأعضاء تعمل بانتظام بأمره، وعلمه، وحكمته لانطفى وجود الإنسان، هذا معنى قول الله عزَّ وجل:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

[سورة فاطر: ١٥]

يا أيها الأخ الكريم، كلما اقتربت من هذه الآية، من أن تشعر أنك فقيرٌ إلى الله، كلما اقتربت من الحقيقة، كلما شعرت أن وجودك، وفكرك، وعقلك، وعضلاتك، وقلبك، ورتبتك، وباقي أجهزتك متوقفة على إمداد الله، وعلى رعايته، وعلى ربوبيته، كلما اقتربت من معنى الافتقار، أنت تقترب من معرفة الحقيقة، ومن معرفة معنى عبوديتك لله عزَّ وجل.

فالاستغناء أيها الأخوة في الله حق، وفيما سواه باطل، الشعور بالاستغناء من قبل الإنسان وهم كاذب، ضلالٌ مبين، باطلٌ ما يشعر، بعدٌ عن الحقيقة، أي شعور الإنسان بالاستغناء وهو غارق في الفقر.

### إيمان المؤمن يبعده عن الاستغناء ويقربه من الافتقار :

في خطبة سابقة: ما قيمة الإنسان إذا كانت حياته تتوقف على أن يجري الدم في شرايينه؟ فلو أغلق شريانٌ في أي مكان سبب عطباً جعل حياة الإنسان جحيماً، إن توقف جريان الدم في الدماغ فالأمراض الوبيلة؛ من فقد لسمعه، إلى فقد لذاكرته، إلى فقد لبصره، إلى فقد لتوازنه، إلى فقد لمحاكمته، وإن توقف الدم في مكانٍ آخر، في عضوٍ حساس، في مضخة الإنسان، سبب متاعب تجعل حياة الإنسان جحيماً.

أين الاستغناء إذا؟ إنه الافتقار، كلما افتقرت إلى الله فأنت في المكان الصحيح، كلما افتقرت إلى الله فأنت في المرتبة الصحيحة، فأنت في الموقف العلمي، فأنت مع الواقع، أنت مع الحقيقة، أنت مع الموضوعية.

أيها الأخوة الأكارم، لماذا هؤلاء المؤمنون الصادقون قد عافاهم الله من هذا الشعور الكاذب من شعور الاستغناء وهم في أشد حالات الفقر؟ لإيمانهم بالله، وإيمانهم بوجوده، وإيمانهم بأنه إله بيده كل شيء، وأنه إله بيده مقاليد السموات والأرض، وأنه إله يرجع الأمر كله إليه، إله به تقف على قدميك، ولولا هذه الروح التي أودعها فيك لما كنت كائناً حياً يتحرك.

يا أيها الأخوة الأكارم، إيمان المؤمن يبعده عن الاستغناء ويقربه من الافتقار، والافتقار حالةٌ صحيحةٌ صحيحةٌ من ثمار الإيمان.

## المفتقر غني والمستغني فقير :

يا أيها الأخوة الأكارم، ربنا سبحانه وتعالى حينما يُعطي الإنسان قوةً ليحقق اختياره، هذه القوة أنيةٌ وليست أبديةً، وهذه قوةٌ تسترد في أية ثانية، فإذا شعر الإنسان أن ما يتمتع به من قوةٍ، ومن قوةٍ في التفكير، ومن قوةٍ في العضلات، ومن قوةٍ في كسب المال، ومن قوةٍ في الأتباع، إذا شعر أن هذا فضلٌ من الله عليه، وأنه نعمةٌ ساقها الله إليه، وأن الله عزَّ وجل قادرٌ في أية لحظةٍ أن يسلبها منه، هذه الحقيقة تولد شعوراً بالافتقار إلى الله عزَّ وجل، لذلك المفتقر غني، والمستغني فقير، الأمر بعكس ما يتوهم الإنسان..

وما لي سوى فقري إليك وسيلةً فبالافتقار إليك فقري أَدْفَعُ  
وما لي سوى قرعي لبابك حيلةً فإذا رددت فأبي بابٍ أفرغ؟

\* \* \*

كلما ازددت افتقاراً إلى الله عزَّ وجل زادك قوةً، وألهمك الصواب، ألهمك السداد، ألهمك الرشد، حفظك، وأغناك، وأيدك، ونصرك.

## أفعال الله حكمٌ بليغةٌ مُطلقةٌ :

كنت أقول لكم دائماً يا أيها الأخوة: أفعال الله عزَّ وجل إنما هي حكمٌ بليغةٌ مُطلقةٌ، في يوم بدر نصير المسلمون لأنهم مفتقرون:

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾

[سورة آل عمران: ١٢٣]

ويوم حنينٍ صحابة رسول الله، وبين ظهرائهم رسول الله، ما قالوا ولا كلمة إلا أنهم شعروا بالقوة، شعروا بأنهم أقوى جهةٍ في الجزيرة، حتى إنهم ورد على خاطرهم أنه: لن نُغلبَ من قلة:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْنًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ

مُدْبِرِينَ﴾

[سورة التوبة: ٢٥]

## من ازداد افتقاراً إلى الله ازداد طمأنينةً وتوفيقاً :

يا أيها الأخوة الأكارم، حينما نقول:

﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾

[سورة العلق: ٦-٧]

هذا حكمٌ على الجنسِ لا على الأفراد، حكمٌ على جنس الإنسان، والحكم على الجنس لا يعني بالضرورة استغراق جميع الأفراد، فالمؤمنون مُسْتَنْتَوُونَ من هذا الشعور الكاذب، ومن هذا الطغيان المرير، لأنهم عرفوا ربهم، ولأنهم مستنتون ربنا سبحانه وتعالى يُلقِي فيهم مشاعر الطمأنينة:

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة المعارج: ١٩-٢٢]

القضية على عكس ما يتوهم الإنسان، كلما ازدادت افتقاراً إلى الله بفعل إيمانك الصحيح كلما ازدادت طمأنينةً، وتوفيقاً، ونجاحاً، وشعوراً بأن الله معك، وإذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان الله عليك فمن معك؟.

### يؤتى الحذر من أمانه :

شيء آخر أيها الأخوة: هذه الصفة في رأي علماء المنطق شَرْطِيَّة، ومعنى شرطية أي لا تكون إلا بشرط آخر، لذلك ربنا عزَّ وجل يقول:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى ﴾

[سورة العلق: ٦]

متى يطغى؟..

﴿ أَنْ رَأَهُ اسْتَعْنَى ﴾

[سورة العلق: ٧]

إذا شعر بقوته العضلية، أو شعر بذكائه اللماح، وقد يؤتى الحذر من أمانه، إذا شعر بأن أمواله تكفيه طوال حياته، إذا شعر بأن أتباعه يحمونه من كل شيء، إذا شعر بقوته ولم يكن مؤمناً بالقدر الكافي، ولم يكن واضعاً يده على حقيقة عبوديته طغى.

أيها الأخوة الأكارم، عجيبٌ أمر المؤمن؛ وهو في حالة قوته يشعر بافتقاره، دخل النبي عليه الصلاة والسلام مكة فاتحاً، وكان في هذا الفتح في أعلى درجات النصر، دخل مكة مطأطئ الرأس حتى كادت ذؤابة عمامته تلامس عنق بعيده تواضعاً لله عزَّ وجل، في أشد حالات قوته كان في أشد حالات افتقاره، عجيبٌ أمر المؤمن! كلما ازداد غنىً ازداد تواضعاً لله عزَّ وجل.

## الإِنسان بافتقاره إلى الله يصبح في حصن حصين :

الإمام الشافعي يقول: " كلما ازددت علماً ازددت علماً بجهلي ". العلماء الحقيقيون يقولون: " لم تبتلَّ بعد أقدامنا ببحر المعرفة "، كلما ازددت - كمؤمن - قوة، أو غنى، أو حكمة، أو عقلاً، أو ذكاءً، أو علماً، كلما ازددت تواضعاً وافتقاراً لله عزَّ وجلَّ.

انظروا إلى سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، نبيِّ عظيم حينما دعت امرأة - سيده - ورأودته التي هو في بيتها عن نفسه، بماذا دعا الله عزَّ وجلَّ؟ قال:

﴿وَالَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[ سورة يوسف: ٣٣ ]

هذه قوة مقاومتك لإغراء النساء هذه قوة يهبها الله لك، فإذا اعتدلت بنفسك، أضعف الله هذه المقاومة، فهذا الموقف؛ الموقف التوحيدي، الموقف العبودي:

﴿وَالَّا تَصْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾

[ سورة يوسف: ٣٣ ]

أنت بافتقارك تصبح منيعاً، بافتقارك تصبح في حصن حصين، لا إله إلا الله حصني من دخلها أمين من عذابي.

## القوة من دون إيمان قوة غاشمة :

أيها الأخوة الأكارم، إن الإنسان إذا استغنى بقوته وأنصاره طغى، وبغى، ونسي المبتدأ والمنتهى، أخذ ما ليس له، تعدى على حقوق الآخرين، سلب أرضاً ليست له، اغتصب ثروات شعوب ليست له، إن هذا العدوان على الأمم والشعوب أساسه الطُغيان، والطُغيان أساسه الشعور بالاستغناء والقوة، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال:

(( الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ ))

[ مسلم عن أبي هريرة ]

القوة من دون إيمان قوة غاشمة، قوة ظالمة، قوة عدوانية، قوة آثمة، لذلك: المؤمن القوي، لأن الإيمان يحجز صاحبه عن أن يطغى، الإيمان قيِّدُ الفتك ولا يفتك مؤمن.

## طغيان الأَغْيَاء من غير المؤمنين :

والإنسان أيها الأخوة إذا استغنى بماله طغى طغياناً من نوع آخر؛ طغيان تَبذِيرٍ وإِتْلَافٍ للمال، إرضاءً لشهواته، ونزواته، وأهوائه الدنيئة، الإنسان إذا أنفق مالا طائلاً لشهوات دنيئة منحرفة،

هذا طغيانٌ بالمال، طغيانٌ تذيير، أناسٌ كثيرون لا يجدون واحداً، وواحدٌ ينفق مئات الألوف على شهواته الدنيئة هذا طغيانٌ للأغنياء.

والأغنياء أيها الأخوة قد يطغون؛ فيستعلون على بقية الخلق، يَنأوُنَ بأعطافهم عن بقية الخلق، هذا طغيان الكِبَر.

الأغنياء أيها الأخوة من غير المؤمنين طغيانهم في تذيير المال وإتلافه، وطغيانهم في العُجب والصلف على بقية خلق الله المساكين، وقد يطغى الغني طغيان بخل وإمساك، إن أنفقوه - كما وصف النبي عليه الصلاة والسلام أهل الغنى من غير المؤمنين - أنفقوه إسرافاً وتبذيراً، وإن منعوه مَنَعوه بخلًا وتقتيراً، فالإنسان إذا استغنى بماله قد يطغى، قد يطغى طغيان إسرافٍ، وتزرفٍ، وتبذيرٍ، وإتلافٍ، وقد يطغى طغيان كبرٍ، وصلَفٍ، وعنجهيةٍ، وقد يطغى طغيان بخلٍ، وشحٍ، وتقتيرٍ، وإمساكٍ.

والإنسان إذا استغنى بعلمه؛ حصلَّ شهاداتٍ رفيعةٍ، وأنقنَ علماً إتقاناً جيداً، فهو في مزلقٍ خطيرٍ أن يأخذه العُجب، وأن يرى أنه محور العالم، وأنه لا عالم يرقى إلى مستواه، وأن بقية الناس هم همجٌ راعٍ، إن هذا الشعور الكاذب من أنه أعلم خلق الله، شعورٌ يحجبه عن الله عزَّ وجل.

### التواضع الذي يريده الله هو تواضع العبودية لا تواضع القهر :

أيها الأخوة المؤمنون، الإنسان من دون إيمان إذا كان مبتلىً، أو فقيراً، أو مريضاً، أو محتاجاً، أو قليل الشأن يخضع، لا خضوع كمال الله عزَّ وجل ولكن خضوع اضطرار، لكن المؤمن وهو في أعلى درجات قوته، وأعلى درجات غناه، وأعلى درجات تألقه الفكري، وأعلى درجات علوه في الأرض هو في تواضع، وفي افتقار.

فالتواضع الذي يريده الله عزَّ وجل هو تواضع العبودية لا تواضع القهر، قد يُقهر الإنسان، قد يفتقر الإنسان، قد يضعف الإنسان فيستخزي، هذا استخزاء الضعف، لكن المؤمن وهو في أعلى درجات قوته مفتقرٌ إلى الله عزَّ وجل، خاضعٌ له.

الله جلَّ جلاله رب العالمين، ومعنى الربوبية أنه يعالج عباده، فأَيُّ عبدٍ كان ضعيف الإيمان، توهم أنه غني عما سواه، هذا التوهم يُعالج عند الله عزَّ وجل بأن يبصره بضعفه، يسلبه قوته، يسلبه مقاومته، يسلبه ماله أحياناً، فالإنسان حينما يتوهم توهمًا كاذباً أنه مستغنٌ فليتنظر العلاج من الله عزَّ وجل، لأن الله رب العالمين لا يدع عبده سائراً في غفلته، فريسة أوهامه، ضحية ضلالاته، فالله جل جلاله يُعالج الإنسان معالجةً بحيث يُحجِّمه، يعرفه بعبوديته، يعرفه بافتقاره.

## الإيمان أن تعرف حجمك الحقيقي :

أيها الأخوة الأكارم، علينا أن نعرف أنفسنا ونحن في الرخاء، أن نعرف عبوديتنا لله عزَّ وجل، أن نعرف حجمنا الحقيقي، ألا نشعر بالاستغناء الكاذب، إن كنا كذلك ونحن في الرخاء فقد حققنا المراد الإلهي، أما إذا حملتنا قوتنا، وغنانا، وعلمنا، وكثرة أتباعنا على أن نشعر شعوراً كاذباً أننا أغنياء، فعندئذ تأتي المعالجة، ولسنا أفضل من أصحاب رسول الله الذين عولجوا، ورسول الله بين ظهرانيهم:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْنًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ

مُدْبِرِينَ﴾

[ سورة التوبة: ٢٥ ]

أيها الأخوة الأكارم، هذا هو الإيمان؛ أن تعرف حجمك الحقيقي، أن تعرف أنك مفنقرٌ إلى الله عزَّ وجل، أن تعرف أنك لا شيء وأن الله كل شيء، إذا عرفت ذلك أصبحت قدراتك مفتوحة لتتلقى من الله المعونة، السداد والرشاد، التأييد والنصر، الحفظ والمعونة.

## معية الله معيتان خاصة و عامة :

أيها الأخوة الأكارم، يُجمعُ العلماء على أن الله سبحانه وتعالى مع خلقه، ولكنه معهم مرتين: معهم بعلمه، مع أي مخلوق:

﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾

[ سورة الحديد: ٤ ]

ولكنَّ الله له معيةٌ أخرى، إذا قال:

﴿ أَنْ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

[ سورة التوبة: ١٢٣ ]

﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

[ سورة البقرة: ١٥٣ ]

﴿ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[ سورة الأنفال: ١٩ ]

فهذه معيةٌ خاصة، والمعية الخاصة هي معية الحفظ، والتأييد، والنصر.

أيها الأخوة الأكارم، لا ملجأ من الله إلا إليه، لا ملجأ من عذابه إلا بالإقبال عليه، لا ملجأ من عقوباته إلا بطاعته، لا ملجأ من الشرك إلا بالتوحيد، لا ملجأ من الكفر إلا بالإيمان.

## الاستغناء إذا نسب إلى الله فهو حقيقة :

أيها الأخوة الأكارم، آية خطيرة في سورة العلق، محور هذه الخطبة تفسر كل ما يجري حولنا:

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا \* أَنْ رَأَاهُ اسْتَقْنَى ﴾

[سورة العلق: ٦-٧]

والاستغناء إذا نسب إلى الله فهو حقيقة، أما إذا نسب إلى الإنسان فهو تزوير، وكذب، ووهم، وضلال.

والعلم ما هو؟ ما يطابق الواقع. العلم ما يطابق الواقع بدليل، فأبي اعتقاد يعتقد الإنسان لا يطابق الواقع فهو جهل، وهو ضلال ووهم.

أيها الأخوة الأكارم، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأمانى.

\* \* \*

## الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

## مضار التدخين :

### ١ - ضيق التنفس وكثرة السعال :

أيها الأخوة الأكارم، كثرت النقاش حول مضار التدخين، وكثر النقاش حول حكم التدخين، أنا لا أتحدث في هذه الخطبة الثانية عن الحكم الشرعي، ولكن أضع بين أيديكم حقائق ثابتة متواترة أجمع عليها العلماء، وبإمكانكم أنتم بعد عرض هذه الحقائق أن تستنبطوا ما إذا كان التدخين حلالاً أو حراماً.

أول شيء: كريات الدم الحمراء أيها الأخوة مغرمة بأول أكسيد الكربون، الناتج عن التدخين، فإذا أخذت من هذا الغاز السام نصيباً فعلى حساب الأكسجين، لذلك الذين يدخنون تشيع في



كرياتهم هذه الغازات السامة، وبالتالي تقلُّ لياقتهم البدنية لضعف الأكسجين في كرياتهم الحمراء، وتقلُّ قدرتهم على أداء المجهود.

والشعبيات الهوائية بالرئة هذه تضيق، وتضيق إلى أن تُسدَّ عند المدخنين، ومع ضيق هذه الشعبيات الهوائية يضيق التنفس، ويكثر السعال، وفي قصبة الإنسان أشعارٌ هُدْبِيَّةٌ، هذه الأشعار تتحرك نحو الأعلى دائماً لتدفع كل شيء غريب إلى الحنجرة، وهذا ما يسمه الأطباء القشع، هذه الأشعار التي أكرمنا الله بها، والتي هي موجودة في داخل القصبة الهوائية، والتي تتحرك دائماً نحو الأعلى لطرد كل شيء غريب، هذه الأشعار الهُدْبِيَّةُ تصاب بالشلل عند المدخنين، لذلك يكثر سعاله، ويضيق نفسه، ويكثر القشع في قصبته الهوائية من دون أن يستطيع أن يخرجها خارج هذه القصبة.

## ٢ - ضعف القلب ونقص التروية في الدماغ والقلب :

شيء آخر: مادة النيكوتين في الدخان أيها الأخوة هذه المادة لها تأثير كبير على غدتي الكظر - وقبل شرح هذه النقطة - الكظر أيها الأخوة غدتان فوق الكليتين، الإنسان إذا أدرك خطراً فالعين ترى ملامح الخطر، تراه إحساساً، وهذا الإحساس ينتقل إلى الدماغ إدراكاً، والدماغ هو ملك الجهاز العصبي يبلغ ملكة الجهاز الهرموني - الغدة النخامية - بأن خطراً متوقفاً فتصرفي، الغدة النخامية تعطي أمراً موحداً إلى الكظر ليتصرف.

ماذا يفعل الكظر؟ يفرز مادة تسهم في تسريع القلب، وتسهم في رفع وتيرة خفقان الرئتين، وهذه المادة تُقبِّض الأوعية كلها لتوفير الدم للعضلات، وهذه المادة أيضاً تزيد من لزوجة الدم ليُمنع النزيف، وهذه المادة التي يفرزها الكظر من شأنها أن تزيد السكر في الدم، فالخائف يصفر لونه لضيق أوعيته، ويضطرب قلبه، ويزاد وجيب رئتيه - يلهث - وتزداد لزوجة دمه، ويزداد سُكْرُهُ في الدم.

إن فعل النيكوتين مشابه تماماً لعمل الغدة الكظرية، فالمدخن دائماً أوعيته منقبضة، ودائماً سكره في الدم أعلى من غيره، ودائماً دمه أكثر لزوجةً، ولزوجة الدم تُعرِّض الإنسان إلى الجلطات، ودائماً ضربات قلبه تزيد من خمس عشرة إلى عشرين ضربة عن غير المدخن، هذه إحصائيات دقيقة، ضربات القلب تزيد من خمس عشرة ضربة إلى عشرين نبضة أكثر من غير المدخنين، وارتفاع ضغط الدم يزيد خمس عشرة في المئة عن غير المدخنين، وانقباض الأوعية تسبب قصوراً في التروية للدماغ والقلب، وازدياد لزوجة الدم تسبب احتمال ورود الجلطة، أي تجمد الدم في الشرايين، وازدياد الترسبات الدهنية يزيد في تصلب الشرايين، وهذا يؤدي بالتبعية إلى ضعف القلب، ونقص التروية في الدماغ والقلب.

## ٣ - تلف العصب البصري :

مادة في الدخان تسبب تُلْفاً في العَصَب البصري، حالاتٌ كثيرة من العمى أساسها التدخين.

#### ٤ - سرطان الرئة والفم والحنجرة والمريء :

القطران في الدخان يسبب سرطان الرئة، والفم، والحنجرة، والمريء، إحصاءً جرى في بلدٍ غربي عام ١٩١٢، كان هناك في هذا البلد ثلاثمئة وأربع عشرة حالة سرطان رئة، في عام خمسة وثمانين كان هناك مئة وخمسة وثمانون ألف حالة سرطان رئة بعد انتشار التدخين، هذا شيء ثابت مقطوعٌ بصحّته.

#### ٥ - الغريين :

التدخين أيها الأخوة ربما سدّ الشريانات الشعريّات المُحيطة، فإذا سدّت الشعريّات المحيطة في الإنسان، أصيب بمرضٍ خطيرٍ اسمه ( الغريين - الموات ) وقد يضطر الإنسان إلى بتر أحد أعضائه لانسداد الشعريّات في أطراف الإنسان، وهذا أيضاً من التدخين.

#### ٦ - تقرّحات في المعدة وضعفٍ ووهنٍ جنسيّ :

وهناك شيءٌ آخر: يصاب المدخنون أحياناً بتقرّحاتٍ في المعدة، وبضعفٍ ووهنٍ جنسيّ، والمدخنون من النساء يصبون بكثرة الإجهادات، والأطفال الذين تدهن النساء أقل وزناً من الأطفال الذين يولدون من أمهاتٍ غير مدخنات.

#### ٧ - نسبة الوفيات في الولادات أكثر بين المدخنات منها من غير المدخنات :

وشيءٌ آخر: نسبة الوفيات في الولادات أكثر بين المدخنات منها من غير المدخنات، ونسبة وفاة الطفل بعد ولادته أيضاً أعلى. هذه أشياء علميةٌ مقطوعٌ بصحتها، أصبحت معروفة، وأصبحت متواترة.

#### هل التدخين حرام ؟

الإنسان بعد هذا يتساءل: هل التدخين حرام؟ على كلٍّ أضع بين أيديكم هذه الآيات الكريمة:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾

[ سورة النساء: ٢٩ ]

وقال تعالى:

﴿ وَنَا تَقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾

[ سورة البقرة: ١٩٥ ]

وقال تعالى:

﴿ وَيَحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتُ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ ﴾

[ سورة الأعراف: ١٥٧ ]

ويقول عليه الصلاة والسلام:

(( لا ضرر ولا ضرار ))

[ مسلم عن أبي سعيد الخدري ]

ونهى عليه الصلاة والسلام عن كل مُسَكِّرٍ ومُفَتِّرٍ. فكل واحدٍ منكم ليستفتي قلبه؛ كل هذه الأضرار التي تصيب الرئتين، والحلق، والفم، وجهاز الهضم، وجهاز إفراز الفضلات، وجهاز الدوران، والقلب، والدماغ، كل هذه الأضرار ما دام الله عزَّ وجل يقول:

﴿ وَيُحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثُ ﴾

[ سورة الأعراف: ١٥٧ ]

فينبغي أن يستعمل الإنسان عقله، على كلِّ ما من إعلانٍ للدخان في العالم إلا وشركة الإعلان ملزمةٌ أن تكتب: " إن هذا الدخان يضر بصحة المدخنين "، فليسأل الإنسان نفسه أين عقله؟

**الصحة نعمةٌ عظيمةٌ يتلفها المدخن بيده :**

فيا أيها الأخوة الأكارم، هذه حقائق موضوعةٌ بين أيديكم، ولا قيمة للمال إذا ذهبت الصحة، كما أنه لا قيمة للصحة إذا ذهب الهدى، أول نعم الله عزَّ وجل الهدى، وثانيها الصحة، وثالثها الكفاية، أن تكون مكتفياً، فالصحة نعمةٌ عظيمةٌ، المدخنون يتلفونها بأيديهم، والإنسان العاقل لا يعيش لحظته، ولكن يعيش مستقبله، فلو استمر على هذه العادة السيئة مصيره كمصير مئات الألوف من الناس الذين يُعانون من أمراضٍ وبيلة، كانوا في استغناءٍ عنها.

**والحمد لله رب العالمين**

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٢٧ : خ ١ - حقيقة الإنسان ٧ - حقيقة الإنسان من خلال القرآن ،  
خ ٢ - الصيام .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٢-١٢

بسم الله الرحمن الرحيم

### خصائص الإنسان من خلال القرآن :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ لا زلنا في موضوع بدأنا به منذ أسابيع عديدة ، ألا وهو خصائص الإنسان من خلال القرآن ، فالإنسان إذا عرف نفسه عرف ربه ، والإنسان كما قلت لكم مراراً : إذا عُرِفَ بـ (ال) في القرآن الكريم ، فهو الإنسان بمعنى أن جنس الإنسان هذه صفاته ، أما إذا آمن ، فله صفات أخرى ، يؤكد هذا قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِنَّا الْمُصَلِّينَ ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٢]

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ \* ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ \* إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

[سورة التين : ٤-٦]

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ \* إِنَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾

[سورة المدثر : ٣٨-٣٩]

آيات كثيرة تبين أن الإنسان قبل أن يعرف الله عز وجل له صفات ، وله سقطات ، وفيه ضعف شديد ، وفيه حرص بالغ ، وفيه شح قاتل ، وفيه خوف وهلع ، أما إذا عرف الله عز وجل ، وعرف منهجه ، واستقام على أمره فله خصائص أخرى .

### الإنسان في القرآن الكريم جحودٌ كنودٌ كفورٌ قبل أن يؤمن :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان في القرآن الكريم جحودٌ ، كنودٌ ، كفورٌ ، هذه كلمات وردت في وصف الإنسان قبل أن يؤمن ، جحودٌ ، كنودٌ ، كفورٌ ، إن أصابته نعمةً أعرض ، ونأى بجانبه ، أعرض عن الله ، واستغنى عنه ، وكفر بأنعم الله عليه ، وزعم أن ما أصابه من نعمةٍ أو غنىً كان بعلمه . . .

## ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾

[سورة القصص : ٧٨]

إذا جلست إلى بعض الناس يتحدثون لك عن واقعهم ، يؤكِّدون هذا المعنى ؛ عنده خبرة ، تَعِبَ على نفسه ، كان يَوْظاً ، أُوتِي خبرةً واسعةً في هذا الموضوع ، فإذا أصابه الله بنعمة ، أكرمه بالغنى ، أكرمه بالصحة ، أكرمه بدخلٍ يكفيه عزا هذا إلى ذكائه ، وإلى خبرته ، وإلى قدرته ، وإلى حيظته ، وإلى ما إلى ذلك ، ونسي ربه ، إذاً إذا أصابته نعمةً أو غنى عزا هذا إلى علمه ، وسعيه ، ومهارته ، وحذقه ، وحسن تدبيره .

## ﴿وَإِذَا مَسَّ الشَّرَّ كَانَ يَئُوسًا﴾

[سورة الإسراء : ٨٣]

متضجراً ، حزينا ، متسخطاً ، يائساً ، قنوطاً ، زاعماً أن الله لم يعطه في الحياة ما يستحق ، شاكاً بعدالة الله عز وجل ، شاكاً بحكمة الله عز وجل ، المقولة التي يقولها عامة الناس : إنَّ الله عز وجل يعطي الحلاوة لمن ليس له أضرار ، هذه من هذا القبيل ، فحينما تشك بعدالة الله عز وجل ، أو حينما تشك بحكمته ، فهذا من جهل الإنسان ، وإذا وقع في مأزق حرج ، وأحاطت به المخاوف من كل جهةٍ لجأ إلى الله ، ودعا دعاءً عريضاً ، ورفع صوته بالدعاء ، يسأله ، ويُعاهده أن يكون من الشاكرين . فإذا استجاب الله له ورحمه ونجاه ، نقض عهده ، وأخذ يعلل نجاته بأسبابٍ أرضية ، وعاد إلى سيرته الأولى .

آياتٌ كثيرةٌ جداً تزيد عن ثلاثين آية وردت في القرآن الكريم ، تصوّر حياة الإنسان وقد نسي ربه ، وتعامل مع غرائزه ، تعامل مع بيئته ، مع محيطه ، من دون علمٍ بالله عز وجل ، فإذا هو في تناقضٍ عجيب ، وإذا هو بين الفرح الذي يُسقط عدالته ، وبين الحزن الذي يقضي على معنوياته ، بين فرحٍ وبين يأسٍ ، بين انحرافٍ وبين إسرافٍ .

## ملازمة اليأس والقنوط للكفر :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان إن لم يعرف الله عز وجل لَعِبَتْ به غرائزه ، ونظر إلى لحظته الراهنة ، وهذا من ضعف تفكير الإنسان ، أن يعيش لحظته ، هذه نظرةٌ ماديةٌ قاتمةٌ جداً ؛ أن تعيش لحظتك ، أما المؤمن فيعيش مستقبلاً ، يُهَيِّئُ نفسه للقاء الله عز وجل ، يعد العدة ليوم الحساب ، يهيئ عملاً صالحاً يلقي الله به ، يهيئ لكل موقفٍ جواباً ، يُعِدُّ لكل خِطَّةٍ حساباً ، هذا هو المؤمن .

أما الذي يعيش لحظته فهذا من علائم الغفلة عن الله عز وجل ، فحبه لذاته ، وتنوع غرائزه ، وتعامله مع الأسباب التي خلقها الله عز وجل مع غفلته عن المُسبَّب ، هذه تسبب له هذا الوصف القرآني الدقيق الذي أشار القرآن إليه .

الآن أيها الأخوة ؛ وصفٌ دقيقٌ في القرآن الكريم لحالة الإنسان قبل أن يعرف الله عز وجل ، فإذا انطبقت هذه الأوصاف على إنسانٍ فليحذر ، لأنها من صفات ضعاف الإيمان ، أو فاقدَي الإيمان قال تعالى :

﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً﴾

[سورة هود : ٩ ]

الرحمة مطلقةٌ أيها الأخوة ، الصحة رحمة ، أن يكون لك دخلٌ يكفيك هذه رحمة، أن يكون لك أولادٌ بين يديك هذه رحمة ، أن تكون لك زوجةٌ تسكنُ إليها هذه رحمة ، أن تكون لك سمعةٌ طيبة في المجتمع هذه رحمة .

﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنَّا نَكُورًا﴾

[سورة هود : ٩ ]

هذا هو ضعيف الإيمان ، أو من خلا قلبه من الإيمان ، عند المصائب لا يثق برحمة الله عز وجل ، كأنه يرى المصيبة أكبر من قدرة الله عز وجل ، فالإيس والقنوط يلازمان الكفر ، وفي الحد الأدنى ضعف اليقين .

﴿وَلَمَّا أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَه لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ﴾

[سورة هود : ١٠ ]

أي إذا أنعم الله عليه ثانيةً بنعمةٍ كان قد فقدتها ، ينسى الله عز وجل ، ويفرح فرحاً يخرج عن طاعته الله عز وجل .

المؤمن يسمو على مصيبيته لأنه قويٌّ بالله :

أيها الأخوة الأكارم ؛ المؤمن لا يُخرجه فرحه عن طاعة الله ، ولا يخرج سخطه عن طاعة الله، لكن بعض الناس يعبدون الله على حرف . .

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى

وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾

[سورة الحج : ١١ ]

ولكن الله جل جلاله وهو الحكيم العليم يستثني فيقول :

## ﴿إِنَّا الَّذِينَ صَبَرْنَا وَعَمَلْنَا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة هود : ١١]

فهذا سؤال كبير : أين أنا من هؤلاء الذين إذا أصابهم الله برحمة ثم نزعنا منهم إنهم يئسون ؟  
أما الذي صبروا وعملوا الصالحات والذين كما قال الله عز وجل :

## ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

[سورة هود : ١١]

هذه صورة ، لذلك المؤمن لا يقنط من رحمة الله ، تقته بما عند الله كبيرة جداً ، إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكن بما في يدي الله أوثق منك بما في يديك .

المؤمن أيها الأخوة يسمو على مصيبتيه ، أقوى من مصيبتيه لأنه قوي بالله ، والآن الأطباء يرون أن معنويات المريض العالية تعين العضوية على الشفاء ، بل إن أحدث نظريات في المرض أن جهاز المناعة - وهو من أعظم الأجهزة التي أودعها الله في الإنسان - إذا أصابته صدمات نفسية يضعف هذا الجهاز ، ومع ضعف هذا الجهاز ربما نمت الخلايا نمواً عشوائياً ، ومع ضعف هذا الجهاز ربما أصاب الخلل الأعضاء الأساسية في الجسم ، والصدمة النفسية أساسها الشرك ، والموحد له مع الله حالٌ عجيب ، كما قال عليه الصلاة والسلام :

(( عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر ، وكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً ))

[الجامع الصغير عن صهيب]

## عطاء الله ابتلاء و حرمانه دواء :

أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان قد يكون على شيء من الإيمان ولكنه لا يكفي ، يعتقد أن الله خالق السموات والأرض ، وأن المقادير بيد الله ، فإذا أنعم الله عليه فسّر هذه النعمة بأنها تكريم ، وأكد أن الله يحبه ، ولولا أنه يحبه لما أنعم عليه بهذه النعمة ، قال تعالى :

﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ \* وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾

[سورة الفجر : ١٥-١٦]

قال تعالى :

## ﴿كَلَّا﴾

[سورة الفجر : ١٧]

هذه " كلا " أداة نفي وردع ، كلا ليس عطائي إكراماً كما تتوهمون ، وليس منعي حرماناً كما تظنون ، إن عطائي ابتلاء ، وحرمانى دواء .

### ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ﴾

المال لا يسمى نعمةً إلا إذا أنفقته في طاعة الله ، قبل أن تنفقه في طاعة الله اسمه ابتلاء ، وقس على المال الذكاء ، وقس على المال الصحة ، وقس على المال أي حظ من حظوظ الدنيا ، إياك أن تسميه نعمةً ، لأن أي حظ من حظوظ الدنيا يمكن أن تنفقه فترقى به ، ويمكن أن تنفقه فتتخفف به ، المال سلمٌ إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض ، ودركاتٌ إلى جحيمٍ وشقاء ، المال وحده ، إذا قيل أن يُنْفَقَ المال هو ابتلاء ، إذا أنفق في طاعة الله هو نعمة .

وأية قدرة من القدرات التي يمتلكها الإنسان ، لو امتلك قدرة أدبية ، هذا الأسلوب الأدبي يمكن أن يستخدمه في نشر الحق فيرقى إلى الله ، ويمكن أن يستخدمه في قصصٍ منحرفةٍ تسهم في إفساد مجتمعٍ بأكمله فيهوي بهذا الأدب إلى أسفل سافلين ، كل القدرات التي أنعم الله بها عليك بإمكانك أن تستخدمها كسلمٍ إلى الجنة ، ويمكن أن تكون دركاتٍ إلى جهنم ، فمن السذاجة أن تعد المال نعمةً أو تكريماً قبل أن تنفقه ، ربنا عز وجل يقول :

### ﴿كَلَّا﴾

[سورة الفجر : ١٧]

ليس عطائي إكراماً ، ولا حرمانى إهانةً ، إن عطائي هو ابتلاء ، وحرمانى دواء .

### الدعاء وقت الرخاء معرفةً وشكرٌ لله عز وجل :

آيةٌ أخرى أيها الأخوة ؛

### ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا﴾

[سورة يونس : ١٢]

الخطبة الماضية كانت عن الدعاء ، وفي نهايتها قلت لكم : إن الدعاء في وقت الشدة ضعفٌ وضرورة ، وإن الدعاء وقت الرخاء معرفةً وشكرٌ لله عز وجل ، فكلُّ إنسانٍ إذا ألمت به الشدة يدعو الله ، ونقول له نحن : ادع الله ، لأنه لا إله إلا الله ، إلا أنه إذا دعوته وأنت صحيحٌ معافى ، إذا دعوته من دون مصيبة فهذا علمٌ بالله عز وجل ، وهذا إيمانٌ به . .



## ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾

[سورة يونس : ١٢]

أي دعانا في كل أحواله ؛ قائماً ، وقاعداً ، ومضطجعاً .

## ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة يونس : ١٢]

أعرف رجلاً وهو يقود سيارته أصابته أزمة ، فأخذ إلى المستشفى ، وبعد أن صحَّ من مرضه طلب مسجلاً ليعترف بأن هذا المحل ليس له ، لقد اغتصبه من إخوته ، وهذه الأرض ليست له أخذها من شركائه ، اعترف بكل الحقوق ، وعزاها إلى لأصحابها ، فلما شفي من مرضه ، وشعر بصحته قد عادت إليه ، طلب الشريط وكسره ، وعاد إلى ما كان عليه ، وبعد ثمانية أشهر جاءت أزمة قاضية ، إذاً الله عز وجل أنذره ، فحينما تأتي المصيبة الإمام القرطبي يقول في تفسير قوله تعالى :

## ﴿أَوَلَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَنْتَكِرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾

[سورة فاطر : ٣٧]

المصائب من النذير ، فأحياناً في القرى التي فيها مولدات كهربائية ، والعادة أن يُقطع التيار الساعة الثانية عشرة ، يقطع قبل عشر دقائق بثانية واحدة ، إشعاراً بأنه اقترب وقت القطع النهائي فاستعدوا للنوم ، أو أوقدوا مصابيح أخرى ، هذا معنى هذه الومضة ، أو هذا الإطفاء السريع ، قبل أن ينطفئ التيار كلياً . وربنا سبحانه وتعالى قبل أن يلقي الإنسان ربه يرسل له بعض المؤشرات ، كأن الله عز وجل لسان حضرة الحق يقول : يا عبدي قد اقترب اللقاء فهل أنت مستعد ؟ اقترب اللقاء ، فهذا الإنسان . .

## ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا

## إِلَى ضُرِّ مَسَّهُ﴾

[سورة يونس : ١٢]

عاد إلى ما كان عليه ، عاد إلى معاصيه ، إلى تجاوزاته ، إلى مخالفاته ، إلى انغماسه في الملذات . .

## ﴿كَذَلِكَ زِينٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[سورة يونس : ١٢]

آية أخرى . .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ﴾

[سورة الإسراء : ٨٣]

هؤلاء المؤمنون الأبطال الذين هم في النعم يذكرون الله عز وجل ، يذكرون فضله ، يذكرون أمره ، يذكرون المصير الذي سيؤولون إليه ، هذا من نعم الله الكبرى أن يكون الإنسان يقظاً وهو في النعم ، أما أن يستيقظ وهو في النقم فهذا من شأن الإنسان ، هذا من طبيعة الإنسان ، هذا من خصائص الإنسان ، لن تكون بطلاً ، إلا إذا ذكرت الله ، وأنت صحيح معافى قوي في مقابيس الناس .

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا \* قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾

[سورة الإسراء : ٨٣-٨٤]

آية ثالثة ، ورابعة ، وخامسة :

﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾

[سورة الزمر : ٨]

أي إذا أصابته مصيبة ، ثم كشفها الله عنه يقول لك : لولا هذا الطبيب لما نجا ابني من هذا المرض العضال ، لولا فلان لكنت من الهالكين . نسي الله كلياً ، عزا النعمة التي أصابته إلى زيد أو عبيد ، وإلى فلان وعلان ، وهذا الشرك بعينه ، قل : بفضل الله وبرحمته . .

﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾

[سورة النور : ٢١]

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾

[سورة الزمر : ٨]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ شيء خطير أن تطرأ على الإنسان هذه الأحوال ، هذا بيان تحذيري ، إن كان الإنسان كذلك ، فالمؤشر يوشر إلى خطورة في حياة الإنسان ، وإلى ضعف شديد في إيمانه ، أنه إذا جاءت النعم نسي الله عز وجل ، وعزاها إلى قدراته وذكائه وخبرته ، أو إلى زيد أو عبيد ، أو إلى فلان أو إعلان ، فإذا نزعته منه الرحمة دعا الله يائساً قانطاً ، قال : هذا الإنسان

قبل أن يعرف الواحد الديان ، أما إذا عرف الإنسان ربه فلا ينساه وهو في النعم ، ويذكره دائماً وهو في البلاء .

## مشهدٌ من مشاهد أهل الدنيا :

أيضاً مشهدٌ من مشاهد أهل الدنيا :

﴿رَبِّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً \* وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ﴾

[سورة الإسراء : ٦٦-٦٧]

حدّثني رجل أنه ركب طائرةً ومعه خبراء لا يؤمنون بوجود الله إطلاقاً ، فلما دخلت هذه الطائرة في سحابةٍ مَكْهَرَبَةٍ ، ومرت على جيوب هوائية ، وشعر الركّاب أنهم على وشك الموت ، كل من في الطائرة مؤمنهم وكافرهم جأ بالدعاء إلى الله عز وجل ، الآية :

﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُكُمْ﴾

[سورة الإسراء : ٦٧]

لا تدعُ إلا الله ، فإذا كانت فطرتك تعرف أنه لا إله إلا الله ، لماذا في الرخاء تدعو غيره ؟ هذا دعاء الفطرة ، وأيُّ إنسان ألمّت به مُلْمَةٌ لا يجد غير الله يدعوهُ . .

﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْبَنَانُ كُفُوراً \* أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾

[سورة الإسراء : ٦٧-٦٨]

الإنسان يتوهّم أن أضمن مكان هو البر ، البحر فيه خطر شديد ، والجو فيه خطر ، فمن قال لك: إن البر أكثر ضماناً من البحر والجو ؟ الله على كل شيء قدير ، هؤلاء الذين أصيبوا بالزلال ، يسكنون على اليابسة ، وهناك عمارات إسمنتية ، شامخة ، فما بال هذه العمارات في ثوانٍ معدودات أصبحت رُكاماً ؟ من يضمن لنا ألا تخسف الأرض من تحت أقدامنا ؟ فإذا كنت في معافاةٍ ، إذا كنت في سلامةٍ ، فهذا من فضل الله عليك في البر ، أو في البحر ، أو في الجو .

﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وُكَيْلاً \* أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾

[سورة الإسراء : ٦٨-٦٩]

حدّثني رجل كان يركب طائرةً ، وأصابها عطبٌ خطير ، فكل من في الطائرة كان يجأ بالدعاء إلى الله بلغاتٍ شتى ، أراد قائد الطائرة أن يبلغ هؤلاء الركاب بلاغاً ، لم يجد أحداً يستمع إليه ،

لم يجد أحداً عنده إمكان الإصغاء إليه إلا واحداً من ركاب الطائرة ، فتوجهت المضيفة إليه فإذا هو مغمى عليه ، أي لا يوجد أحد ، الإنسان ضعيف ، لذلك :

﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا \* أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى﴾

[سورة الإسراء : ٦٨-٦٩]

الإنسان أحياناً يقع في ورطة ويقول : لن أعود إليها . الله عز وجل قادر على أن يستدرجك إلى هذا المكان بالذات ، وعلى أن يستدرجك إلى ركوب البحر مرة ثانية ، وعلى الدخول ، هذه هي قدرة الله عز وجل . .

﴿أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا﴾

[سورة الإسراء : ٦٩]

فالإنسان المؤمن العاقل دائماً يعترف أنه معافى بفضل الله ، سليم بنعمة الله ، لا فرق عنده بين البر والبحر والجو ، كلاهما في قدرة الله سواء .

## الفرق بين النعمة و الفتنة :

مشهد آخر أيها الأخوة :

﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾

[سورة الزمر : ٤٩]

لقد فتن وما شعر . .

﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

[سورة الزمر : ٤٩]

أي أن هذه النعمة ليست نعمة إنما فتنة ، إلا إذا أنفقتها في طاعة الله انقلبت إلى نعمة ، لماذا ؟ لأن خيرها عاد عليك بعد الموت ، الحياة الحقيقية هي حياة الجنة ، فكل نعمة في الدنيا تعاملت معها أو أنفقتها في طاعة الله ، عاد عليك خيرها يوم القيامة ، إذا هي نعمة ، أما إذا استهلكتها استهلاكاً رخيصاً ، وانتهى مفعولها ، ليست نعمة إنما نعمة منقطعة زائلة . .

﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

[سورة النساء : ٧٧]

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ \* قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \*  
فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ  
بِمُعْجِزِينَ﴾

[سورة الزمر : ٤٩-٥١]

إنهم في قبضة الله ، أي هؤلاء الأقسام السابقة الذين دمرهم الله عز وجل بمعاصيهم ، يقول الله  
عن أقوام آخرين :

﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾

[سورة الزمر : ٥١]

إنهم في قبضة الله عز وجل . .

تعامل الإنسان مع لحظته الراهنة دون أن يحسب حساباً لخالقه :

مَشْهُدٌ آخِر :

﴿لَا يَسْأَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَنْوَسُ قَنُوطًا﴾

[سورة فصلت : ٤٩]

أي يعيش الدنيا فقط ، ينسى أن هناك موتاً يأخذ منه كل شيء ، ينسى ذلك . .

﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْبَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا  
عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ \* وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ  
الشَّرُّ فَدُو دُعَاءِ عَرِيضٍ﴾

[سورة فصلت : ٥٠-٥١]

يرفع صوته بالدعاء . . الذي بينه الله عز وجل واصفاً به الإنسان :

﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا  
جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ  
الَّذِينَ لَنْ نُنَجِّيَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ \* فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ  
الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ﴾

[سورة يونس : ٢٢-٢٣]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه مُجْمَلُ الآيات التي وردت في وصف الإنسان قبل أن يعرف الواحد  
الديان ، في وصف الإنسان بأنه كفورٌ جحودٌ كنود ، لأنه يعيش لحظته ، يُعْطِلُ فكره ، لا يفكر  
بالمُنعم ، ينصرف إلى النعمة ، وينسى المُنعم ، يتعامل مع غرائزه ، يتعامل مع لحظته الراهنة ،

يتعامل مع واقعه من دون أن يحسب حساباً لخالقه الذي أنعم عليه بنعمة الوجود ، وأنعم عليه بنعمة الإمداد ، وأنعم عليه بنعمة الإرشاد .

### ذكر الله عز وجل وذكر نِعْمِهِ هذا شكرٌ له :

أيها الأخوة الكرام ؛ الإنسان إذا قرأ هذه الآيات ليتأمل نفسه هل هو من هؤلاء ؟ لأن الله عز وجل وصف القرآن الكريم بأنه فيه ذكرنا . أي أحوال الإنسان في قوته وضعفه ، في إقباله وإدباره ، في نشاطه وخموله ، في إيمانه وكفره ، القرآن الكريم وصف أحوال البشر جميعاً ، فالإنسان إذا قرأ هذه الآيات هو من أي صنفٍ يا ترى ؟ هل هو من المؤمنين الصادقين الذين يرون نعمة الله عليهم ؟ قال : يا رب كيف شكرك ابن آدم ؟ قال : علم أنه مني فكان ذلك شكره " ابن آدم إنك إذا ذكرتني شكرتني ، وإذا ما نسيتني كفرتني " .

فذكر الله عز وجل ، وذكر نِعْمِهِ هذا شكرٌ له ، وإذا شكرت نعمة الله عز وجل هذا أضمن لك أن تبقى ، وأن تزداد .

أيها الأخوة الأكارم ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطأنا إلى غيرنا ، وسيتخطى غيرنا إلينا ، فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### الصيام :

أيها الأخوة الأكارم ؛ بعد أيامٍ معدودات سيطل علينا شهرٌ كريم " رمضان " ، ويجب أن نعلم عليم اليقين أن هذا الشهر الكريم الذي يزورنا كل عام ، إنما هو مناسبةٌ لقفزةٍ نوعيةٍ في الإيمان ، فالمؤمن الصادق يستعدُّ لهذا الشهر قبل مجيئه ، يستعد لهذا الشهر ؛ فيعقد العزم على أن يكون فيه من المقربين . فالصيام كما تعلمون على أنواعٍ ثلاثة ؛ صيام العوام وهو صيامٌ عن الطعام والشراب ، وصيام المؤمنين وهو صيامٌ عن المعاصي والمخالفات ، لكن صيام المتقين صيامٌ عما سوى الله .

فالمؤمن الكامل في هذا الشهر يستنفر ، ينهي علاقاته التي يمكن أن تعطل عليه إقباله على الله ، ليستعد في رمضان ما لا يستعد في غيره ، المشكلات التي يمكن أن تشوش عليه إقباله على الله عليه أن يحلها قبل رمضان ، أو أن يرجئها إلى ما بعد رمضان ، لكن هذا الشهر كان أصحاب

النبي يعتكفون في العشر الأواخر ، وربما كان تعقيد الحياة وشدة مطالبها ، يحول بين بعض المؤمنين وبين الاعتكاف الكامل ، لا أقل من أن نفرغ أنفسنا من بعض القضايا التي يمكن أن تشوش علينا إقبالنا .

فهذا الشهر ينبغي أن يلتزم فيه المؤمن صلاة الفجر في المسجد ، وأن يلتزم فيه صلاة التراويح ، لأن صلاة التراويح هي المناسبة التي تقطف بها ثمار الصيام ، إنك طوال النهار تقيم أمر الله عز وجل ، وتغضُّ بصرك عن محارم الله ، وتتفق مما أتاك الله ، وتذكر الناس بنعم الله ، متى قبض الجائزة ؟ في صلاة التراويح ، فهذه الصلاة لها في رمضان طعم خاص ، ولها نكهة خاصة ، إنها وقوفٌ بين يدي الله عز وجل ، ونحن في هذا المسجد بفضل الله ورحمته ، نقرأ في رمضان القرآن كله ، نقرأه في صلاة الفجر وفي صلاة التراويح ، وبعد صلاة الفجر درسٌ لطيفٌ أساسه السؤال والجواب ، وبعد صلاة التراويح أيضاً درسٌ قصيرٌ لا يزيد عن ربع ساعة أو عشر دقائق ، أيضاً في الآيات التي تليت في صلاة التراويح ، لأن الله عز وجل يقول :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

[ سورة النساء : ٤٣ ]

يستنبط من هذه الآية أن المصلي عليه أن يعلم ما يقرأ ، فإذا كان بعد الصلاة سؤالٌ وجوابٌ ، حوارٌ ومناقشةٌ ، حول الآيات التي تليت في صلاة التراويح - وهي جزءٌ قليل - فهذا مما يدفع المؤمن إلى إحكام الصلة مع الله عز وجل ، وإلى أن يكون واعياً يعقل من صلاته الشيء الكثير ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

**(( ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها ))**

[ورد في الأثر]

**الإكثار من قراءة القرآن و الاستقامة على أمر الله :**

شيء آخر . . النبي عليه الصلاة والسلام كان في رمضان يكثر من قراءة القرآن ، وكان في رمضان أجود من الريح المرسلّة ، فشيئان أثارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هذا فضلاً عن الاستقامة التامة ، فمن لم يكن له ورعٌ يحجزه عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيءٍ من عمله ، فمن صام ولم يستقم على أمر الله ، ما زاد عن أنه جاع وعطش ليس غير ، رب صائمٍ ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش ، فنحن نعوذ بالله من هؤلاء ، صيامنا صيامٌ عن المخالفات كلها صغيرها وكبيرها . فشيئان أساسيان ؛ استقامة على أمر الله تامة تامة في رمضان ، تشمل كل الجوارح ، وكل الحركات والسكنات ، وكل الأنشطة والمناسبات ، وعملٌ

صالحٌ يتمثلُ في مزيدٍ من عبادة الله عز وجل ، ومزيدٍ في إنفاق المال في سبيله ، فإذا صُمنا كما أراد الله أن نصوم ، ربما قفز إيماننا قفزةً نوعيةً في رمضان .

الأمر كما يلي تماماً : يأتي رمضان فيقفز إيمانك قفزةً نوعيةً ، وتستمر على هذا المستوى إلى رمضان آخر ، ويأتي رمضان آخر تقفز قفزةً نوعيةً أخرى ، وهكذا أنت في صعودٍ مُستمر ، أما الذي يعود بعد رمضان إلى ما كان عليه قبل رمضان ، فإنه ما فعل شيئاً ، إن صحَّ أنه قفز ، عاد إلى مستواه الأصلي بعد رمضان .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ الأشياء العظيمة لا بد لها من فترةٍ إعدادية ، نحن مقبلون على شهر عظيم ، إذاً قبل عشرة أيام يجب أن يستعد الإنسان لهذا الشهر ؛ إنهاء علاقات ، تهيئة البيت على أساس أن تقام شعائر الله كاملةً ، التهيئة النفسية ، تهيئة العمل أحياناً ، الحرفة ، العلاقات ، الحسابات ، الديون ، المنازعات ، هذه كلها إما أن تنتهي قبل رمضان ، وإما أن ترجأ إلى ما بعد رمضان ، ليكون هذا الشهر خالصاً لله عز وجل ، فنحن على قدر أن تكون العبادة كما أراد الله عز وجل نرقى بالعبادة .

كلكم يعلم أن الفقهاء يعلمون أحكام العبادات ، لكن علماء الطريقة يعلمون الطريقة التي تؤدَّى بها العبادات ، وعلماء الحقيقة لهم شأنٌ آخر ، هم الذين يسهمون مع طلاب العلم لكشف الحقائق حتى تغدو ناصعة كالشمس .

## والحمد لله رب العالمين



خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٣٥ : خ ١- حقيقة الإنسان ٨ - المسؤولية ، خ ٢- ارتباط الجنين بأمه .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٤-٠٢

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مسؤولية الإنسان عن أعماله كلها :

أيها الأخوة المؤمنون ؛ مع الموضوع الذي بدأناه قبل رمضان وهو حقيقة الإنسان من خلال القرآن .

من الحقائق الأساسية التي يتّصف بها الإنسان ، والتي وردت بها آيات في القرآن أنه مسؤول عن أعماله كلها ، وهذه المسؤولية إذا اتّضحت في ذهنه ، وأصبحت ماثلة بين عينيه ، كانت سبب استقامته على أمر الله ، فالإنسان أيها الأخوة مسؤول ، قال تعالى :

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

[سورة الحجر: ٩٢]

قال تعالى :

﴿وَقَفُّوهُمْ إِنِّهِمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات: ٢٤]

من لوازم هذه المسؤولية - ما كلفنا ، وما سألنا إلا بعد أن أعطانا لوازم هذه المسؤولية - أن الله سبحانه وتعالى أودع فينا قدرة على معرفة الخير والشر من خلال الفطرة التي فطرنا عليها ، وأعطانا قوة إدراكية ندرك فيها الأمر التكليفي ، ومنحنا حرية الاختيار ، أو منحنا الإرادة الحرة ، أو بالتعبير الأصولي منحنا حرية الكسب ؛ فطرة تكشف لك عن الخير والشر ، وعقل يدرك التكليف الإلهي ، وحرية في الكسب أو الاختيار ، هذه مقومات المسؤولية ، أعطاك عقلاً ، وأنزل على أنبيائه كتاباً ، وفطرك فطرة نقيّة تعرف الخير من الشر ، وبعد هذا كله منحك حرية الكسب ، أو إرادة حرة ، أو حرية الاختيار .

إلى الآية الكريمة التي يعدّها العلماء أصل المسؤولية ، قال تعالى :

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* أَفَرَأَى كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا \* مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٥]

**الشُّؤْمُ والتَّفَاؤُلُ من دون أن يرتبط بعمل الإنسان لا معنى له :**

أيها الأخوة الأكارم ؛ كل إنسان ألزمناه طائرَهُ في عنقه ، أي طائرٍ هذا ؟ وما معنى الطائر ؟ وهل هو طائرٌ حقيقيٌّ ؟ قال العلماء : الطائر هو العمل ، لأنَّ من لوازم العمل أنك إذا عملته سُجِّلَ عليك ، وكان شيئاً طار منك تُحاسب عليه ، تُسأل عنه ، تدفعُ ثمنه باهظاً، قال تعالى :

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾

[سورة الإسراء : ١٣]

العرب في الجاهلية كانت إذا أرادت شيئاً إن طار الطائر عن يمينها تتفاعل ، وإن طار الطائر عن شمالها تتشام ، طائر اليمين اسمه السانح ، وطائر الشمال اسمه البارح ، طار اليمين اسمه ميمون ، وطائر الشمال مشؤوم ، ومن هنا جاء فعلُ التطيُّر ، أي التشاؤم ؛ عقيدة جاهلية لا أصل لها ، تشلُّ حركة الإنسان ، تجعله يتحرك بلا أساس ، بلا دستور ، بلا نظام ، وأية عقيدة مُشابهةٍ يعتقدونها الناس في هذه الأيام حكمها كحكم هذا التطيُّر ، هناك من يتشاءم من يومٍ ، أو من عدد ، أو من رقم ، أو من حيوانٍ ، أو من رؤيا ، التشاؤم مرفوضٌ في الأصل ، سعادتك منك ، وشقاؤك منك ، خيرك فيك ، وشرك منك ، قال تعالى :

﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾

[سورة الإسراء : ١٣]

العمل الذي عملته اختياراً مُسجلاً عليك ، يعود عليك خيره إن كان صالحاً ، ويعود عليك شره إن كان طالحاً ، فالشُّؤْمُ والتَّفَاؤُلُ من دون أن يرتبط بعمل الإنسان لا معنى له.

**من حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابهُ يوم القيامة يسيراً :**

أيها الأخوة الأكارم ؛ تتمّة الآية يؤكد المعنى الأوّل الذي أراده المفسّرون ، قال تعالى :

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾

[سورة الإسراء : ١٣]

الأفعال كلّها بأوقاتها ، بإمكانها ، بتفاصيلها ، بجزئياتها ، بأشكالها ، بصورها تُعرضُ على الإنسان ، كيف لا والإنسان في هذه الأيام تمكّن من تسجيل الصورة والصوت بألوانها ، فإذا كانت هناك آلة خفية تصوّر ، ثمّ عرض هذا الفيلم على مرتكب الذنب ، لا يستطيع أن يقول كلمة واحدة ، إنسان تمكّن من تسجيل الأعمال والمخالفات والواحد الديان تظنّ أنّك تتقلّت من المسؤولية أمامه ؟ قال تعالى :

﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٤]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ من حاسب نفسه في الدنيا حساباً يسيراً كان حسابهُ يوم القيامة عسيراً ، ومن حاسب نفسه في الدنيا حساباً عسيراً كان حسابهُ يوم القيامة يسيراً .

### اختيار الإنسان قضية مصيرية :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من منا يصدّق أنّ هذا الاختيار الذي منحنا إياه إما أنه ينتهي بنا إلى جنة أبدية ، وإما إلى عذاب أبديّ ، فالاختيار ليس قضية جانبية ، وليس قضية فرعية ، بل هو قضية مصيرية ، فإن صحّ اختيارك سعدتَ في الدنيا والآخرة ، وإن فسد اختيارك شقيت في الدنيا والآخرة ، ولكنك في الدنيا لو اخترت شيئاً من ثانويات الحياة ، ولم تُوفّق في اختياره لا عليك ، ولا ضيرَ عليك ، لكنّ الاختيار الذي منحك الله إياه هو يُحدّد مصيرك الأبديّ؛ إما إلى جنة يدوم نعيمها ، وإما إلى نار لا ينفذُ عذابها ، والدليل تتمّة الآية :

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً \* من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضلّ فانما يضلّ عليها﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٥]

اللام لام التملّك ، وعلى تفيد العلوّ ، فالأعمال السيئة كأنها صخرة تسحق صاحبها ، ومن ضلّ فانما يضلّ عليها ، أعماله السيئة عبء كبير ، وثقل كبير ، ومسؤولية كبيرة ، قال تعالى :

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

### من رحمة الله بالإنسان ألا تزرر وزر أخرى :

ومن لوازم المسؤولية ، ومن رحمة الله بالإنسان أنه قال :

## ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

الْوِزْرُ هو الحَمْلُ ، الوَازِرُ هو الحامل ، والوَازِرَةُ هي النفس التي تحمل النفس التي من شأنها أن تتحمل المسؤولية لا يمكن أن تحمل مسؤولية غيرها ، فالابن لا يعاقبه الله بجريرة أبيه ، والأب لا يعاقب بجريرة ابنه ، والشريك لا يعاقب بجريرة شريكه ، قال تعالى :

﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا \* أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا \* مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٥]

لكن هناك توضيحاً لا بد منه ، لو أن أباً وجّه ابنه توجيهاً سيئاً ، دفعه إلى معصية ، أو سكت عن انحرافات ، هذا الأب يُحاسب عن ابنه ، أما فيما لو نصحه ، ووجهه ، وربّاه تربيةً قويمه ، وأسدى له النصائح تلو النصائح ، وعرفه ، وبعدئذٍ اختار الابن طريقاً آخر فعندئذٍ لا يُحاسب الأب ، لكن حينما يكون للأب علاقة بانحراف ابنه ، أو حينما يكون للزوج علاقة بانحراف زوجته ، أو حينما يكون للشريك علاقة بانحراف شريكه ، يُحاسب الشريك عن شريكه ، والأب عن ابنه ، والزوج عن زوجته ، أما إذا بيّنت ، ووضّحت ، وفصلت ، ونصحت ، وأبلغت ، واختار هذا الطّرف الآخر سلوكاً آخر عندئذٍ نذكره بالآية الكريمة ، قال تعالى :

## ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

### لا حساب قبل التكليف :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ومن فضل الله على هذه الأمة أنه قال :

## ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

لا حساب قبل التكليف ، الإنسان حينما يكلف عندئذٍ يُحاسب ، فإذا أودع الله في فطرته معرفة الخير والشرّ يُحاسب في ضوء فطرته على الخير والشرّ ، أما إذا وصله التكليف التشريعي التفصيلي فعندئذٍ يُحاسب عن تقصيره في التكليف التشريعي ، أي لا تُحاسب إلا إذا أُعطيت مقومات المسؤولية ، من مقومات المسؤولية عقلٌ يدرك الأوامر التكليفية ، وفطرةٌ تدرك الانحراف إلى الخير أو إلى الشرّ ، لذلك يُحاسب الإنسان من خلال فطرته ، ويُحاسب الإنسان من

خلال عقله ، فلو أنّ إنساناً ما وصله التكليف ، أليسَ الله قد أودَعَ في فطرته معرفة الخير والشر؟  
والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿بَلِ الْإِنْسَانِ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ \* وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾

[سورة القيامة: ١٤-١٥]

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

هذه الآية بفقراتها العديدة تبين أنّ الإنسان مسؤول عن عمله ، ولينظر الإنسان إلى تعامله مع بني البشر ، لو أنّه كان مسؤولاً أمام شخصٍ من بني البشر أقوى منه ، إنّ هذا الشخص الذي يخشاه إذا كان علمه يطوله ، وقدرته تطوله لا بدّ من أن يطيعه بحكم المنطق والعقل ، كنت أقول دائماً إنّ الله سبحانه وتعالى حينما خلق السموات و الأرض ، خلقهما ليُعلم الإنسان أنّ الله على كلّ شيءٍ قدير ، وأنّ الله قد أحاط بكلّ شيءٍ علماً ، أي إذا أيقنت أنّ الله يعلم ، وأنّ الله سيُحاسب ، لا بدّ من أن تستقيم على أمره ، كيف لا وإنك لو أيقنت أنّ زيدا يعلم ، وأنّ زيدا أقوى منك ، وسيُحاسب ، لا بدّ من أن تطيع زيدا فكيف بخالق الكون ؟ قال تعالى :

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق: ١٢]

ما التطبيق العملي لهذه الآية ؟ يا أيها الأخ الكريم ، ويا أيها المؤمن قبل أن تتحرك ، وقبل أن تتكلم ، قبل أن تعطي ، قبل أن تأخذ ، قبل أن تحلفُ يمينا ، قبل أن تسير في طريق ما اسأل نفسك هذا السؤال : ما جوابي لله عز وجل لو سألتني لم أعطيت أو لم منعت ؟ لم وصلت أو لم قطعت ؟ لم رضيت أو لم غضيت ؟ لم طلقت ؟ لم فصلت هذه الشركة ؟ لم قلت هذه الكلمة ؟ لم فعلت هذا الفعل ؟ هذه المسؤولية ، لو شعر الإنسان أنّه مراقبٌ ينضبطُ أشدّ الانضباط ، يبتعدُ عن كلّ الشبهات ، فكيف إذا شعرت أنّ الله معك حيثما كنت ؟ وأنّه مطلعٌ على سريرتك ، يعلم السرّ وأخفى ، وخائنة الأعين وما تخفي الصدور .

**الاستقامة على أمر الله تجعل ثمار الدين يانعة :**

أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا علمت أنّ الله يعلم ، وأنّه سيُحاسب استقامت على أمره ، ولن تقطف من ثمار الدين شيئاً قبل أن تستقيم على أمره ، فإن استقامت على أمره رأيت ثمار الدين يانعة ، رأيت

ثمار الدين سعادةً ، وطمأنينةً ، وسكينةً ، وتوفيقًا ، ونجاحًا ، وفلاحًا ، وفوزًا ، وتفوقًا ، ورأيتَ أنك حققتَ إنسانيتك ، ووجدتَ نفسك ، ورأيتَ أنك من السعداء في الدنيا قبل الآخرة ، لأن الله سبحانه وتعالى يرحمك ، ورحمة الله جل جلاله شيءٌ ثمينٌ جدًا ، قال تعالى :

﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ﴾

[سورة فاطر : ٢]

من صحَّ اختياره صحَّ عمله وسعد في الدنيا والآخرة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الآية أصلٌ في مسؤوليّة الإنسان ، وكلّ إنسانٍ أيّ إنسان ، كائنًا من كان ، في أيّ زمان ، وفي أيّ مكان ، ألزمناه طائرته - طائرته عمله - إن فعلتَ العمل طار منك ، وسجّلَ عليك ، ولا تستطيع أن تلغيه ، ونحن في الدنيا ، قد يتكلم الإنسان كلمة فيحاسبُ عليها أشدّ الحِساب ، ليس في إمكانه أن يلغيها ، ولا أن يسحبها ، ولا أن يمحوها من محضر التحقيق ، العمل الذي تفعله باختيارك ، هذا العمل مُسجّلٌ عليك ، وسوف تُحاسبُ عنه ، قال تعالى : قال تعالى :

﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾

[سورة الإسراء : ١٣]

في بعض البلاد الغربية هناك ضبطٌ شديدٌ لبعض الأمور ، فلو تجاوزتَ إشارة السير في الرابعة صباحًا ، وليس في المنطقة أحدٌ يراك تُسجّلُ عليك مخالفة ، وقد التقطتَ لك صورة ولمركبتك ، فإذا قلتَ : لم أكن في هذا المكان ، تواجهه بالصورة فتسكت ! هذا فعل الإنسان فكيف بفعل الواحد الديان ؟ قال تعالى :

﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٤]

هذا الاختيار ليس شيئًا ثانويًا ، ليس شيئًا فرعيًا ، لا يقدم ولا يؤخر ، بل إنه شيءٌ مصيري ، فمن صحَّ اختياره صحَّ عمله ، وسعد في الدنيا والآخرة ، ومن أساء اختياره فسدَ عمله فثقي في الدنيا والآخرة . لذلك قال الله عز وجل :

﴿مَنْ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

لا تقل : أنا نشأتُ في أسرةٍ لئستَ متديّنةً ، لا تقل : بيئتي ، لا تقل : وراثتي ، لا تقل : المحيط ،  
لا تقل : الثقافة ، هذا كله لا يقدّم ولا يؤخّر ، قال تعالى :

### ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾

أنتَ عملك من حصيلة اختيارك ، حينما تقول : البيئة ، والمحيط ، والوراثة ، والتربية التي تلقيتها ، أنت بهذا تلغي الاختيار ، وتجعل من نفسك منفِعلاً لا فاعلاً ، والله سبحانه وتعالى كرمك ، وجعلك مختاراً ، فحينما تعزو كل أخطائك إلى البيئة ، وإلى التربية ، وإلى الوراثة ، وإلى المحيط ، وإلى الثقافة ، ألغيت إنسانيتك ، وألغيت وجودك الإنساني ، وجعلت من نفسك كائناً منفِعلاً بالأحداث لا فاعلاً بها .

### الله جلّ جلاله لا يكلفُ نفساً إلا وسعها :

أيها الأخوة الأكارم ؛ ولا تزر وازرة وزر أخرى :

كن ابن من شئت واكتسب أدباً يُغنيك محموده عن النَّسب

\*\*\*

دائماً المقصرون يُعزّون أخطاءهم إلى أشياء بعيدة عنهم ، دائماً العصاة يُعزّون معصيتهم إلى الظروف ، وإلى البيئة ، وإلى الفساد العام ، هذا كله ليس مقبولاً عند الله تعالى لأنّ الله جلّ جلاله لا يكلفُ نفساً إلا وسعها ، الوسع لا تحدّه أنت ، ولكنّ الله يحدّه ، الذي خلق الإنسان هو الذي يعرف وسعهُ ، فما كلفك إلا أشياء بإمكانك أن تفعلها . أيضاً كل إنسان يقول لك : زمنٌ صعب ، لا أستطيع ! هذا كلامٌ مرفوض ، لأنّ المستقيم في هذا الزمان حجّة على المنحرف ، والشريف حجّة على غير الشريف ، والنزيه حجّة على غير النزيه ، والعفيف حجّة على غير العفيف ، صحيح أنّ الاستقامة في زمن تغدو سهلة ، وفي زمن تغدو صعبة ، ولكن في أشدّ الأزمان الاستقامة من إمكان الإنسان .

### آية نعمة أنعمها الله على الإنسان يرقى بها أو يهوي بها :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ آيات كريمة تؤكّد مضمون هذا الموضوع ، قال تعالى :

﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ \* احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ \*  
مَنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ \* وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾

[سورة الصافات : ٢١-٢٤]

وقال تعالى :

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ \* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾

[سورة الروم : ١٧-١٨]

وقال تعالى :

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِآثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيَسْأَلُونَ﴾

[سورة الزخرف : ١٩]

وقال تعالى :

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[سورة الإسراء : ٣٦]

والآية التي تقرأونها جميعاً قوله تعالى :

﴿الْهَآكُمُ التَّكَاثُرُ \* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ \* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ \* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ \* لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ \* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ \* ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾

[سورة التكاثر : ١-٨]

فسرّ المفسرون النعيم فقالوا : نعمة الصحة ؛ ماذا فعلت بها ؟ استخدمت هذه الصحة في طاعة الله أم في المعاصي والآثام ؟ نعمة الأمن ؛ لست ملاحقاً ، لست مطلوباً ، هذه النعمة ماذا فعلت بها ؟ استخدمتها في طلب العلم أم استخدمتها في التمتع بالموبقات التي حرّمها الله عز وجل ؟ ونعمة المال ماذا فعلت بهذه النعمة ؟ هل أنفقتها في طاعة الله أم لتتباهى به أمام الناس ؟ أم أنفقتها في المعاصي والفجور ؟ نعمة المال ، ونعمة الصحة ، ونعمة الأمن ، ونعمة الفراغ ، معك وقت فراغ ماذا فعلت به ؟ ماذا قرأت بهذا الوقت ؟ مجلات رخيصة أم قرأت قصصاً عابسة ؟ أم قرأت كتاب الله أم قرأت كتاباً يذكرك على الله عز وجل ؟ نعمة المال ، ونعمة الصحة ، ونعمة الأمن ، ونعمة الفراغ ، ونعمة القوة ، هذه القوة التي متّعك الله بها ، إلى أين تذهب بهذين القدمين ؟ ماذا فعلت بهذا اللسان ؟ آية نعمة أنعمها الله عليك يمكن أن ترقى بها إلى أعلى عليين ، ويمكن أن يهوي بها الإنسان إلى أسفل سافلين ، آية نعمة أو أي حظّ أكرمك الله به ، درجات إلى الجنة ، أو دركات إلى النار .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ إذا أيقنتم يقيناً قطيعاً أنكم محاسبون ، ومسؤولون عن كلّ حركة ، وعن كلّ سكنة ، وعن كلّ عطاء ، وعن كلّ منع ، وعن كلّ صلة وقطيعة ، وعن كلّ غضب وسرور ،



وعن كل أفعالكم ، إذا أيقنتم أنكم مسؤولون فلا بد أن تستقيموا على أمر الله ، وراقبوا أنفسكم مع بني البشر ، موظف له مدير يحاسب حساباً دقيقاً ، إذا دخلت إلى الدائرة جهاز يسجل ساعة دخولك ، وإذا خرجت منها هذا الجهاز يسجل ساعة خروجك ، وأن المدير سيحاسب عن كل ساعة تأخرت بها ، أو عن كل ساعة اختصرتها من الدوام ، إذا أيقنت أن كل حركاتك مسجلة ، وأن المدير سيسأل ، بربك ألا تستقيم على أمر هذا الإنسان فكيف بالواحد الديان ؟

### كل إنسان مسؤول و سيحاسب عن مسؤوليته يوم القيامة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ محور الخطبة أنك مسؤول ، قال تعالى :

﴿ فُورَبِكْ لِنَسَائِنَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

[ سورة الحجر : ٩٢ ]

فقبل أن تفعل شيئاً ، قبل أن تتحرك ، قبل أن تعطي ، قبل أن تأخذ ، قبل أن تقسم ، قبل أن تحلف ، قبل أن تزيّن هذه البضاعة وتخفي عيبتها ، تذكر أن الله يعلم ، وقبل أن تزيّف ، وقبل أن تدلس ، قبل أن تعمز ، قبل أن تهمز ، كل شيء في علم الله ، فسِرُّ استقامتكم يقينكم أن الله سيسألكم في الدنيا قبل الآخرة ، أما إذا حاسب الله أناساً في الدنيا فعينة من أجل ردع المقصرين ، وإذا أكرم المستقيم فعينة من أجل تشجيع المستقيمين ، ولكن الحساب الدقيق الشامل ، قال تعالى :

﴿ وَإِنَّمَا تُؤَفُّونَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

[ سورة آل عمران : ١٨٥ ]

أيها الأخوة الأكارم ؛ عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(( لَنَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَمِلَ ))

[ الترمذي عن ابن مسعود ]

هذه الآيات بين أيديكم ، وهذا الحديث الصحيح بين أيديكم ، وربنا سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم :

﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾

[ سورة فصلت : ٤٠ ]

قال علماء التفسير : هذا أمر تهديد ، اعمل ما شئت ، وكل عمل سأحاسبك عنه ، أعمل ما تريد ، وكل فعل سوف تؤخذ به ، كل شيء له ثمن ، يا فبيس إن لك قريباً تدفن معه وهو حي ، ويدفن

معك وأنت ميت ، فإن كان كريماً أكرمك ، وإن كان لثيماً أسلمك ألا وهو عملك ، الدنيا ساعة  
اجعلها طاعة ، والنفس طمّاعة عودها القناعة ، قال تعالى :

﴿وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا \* اقْرَأْ كِتَابَكَ  
كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا \* مَنِ اهْتَدَىٰ﴾

[سورة الإسراء : ١٣-١٥]

لا تمنّ على أحد شيئاً ، لا تمنّ على الناس ، لا تمنّ على الله إسلامك ولا إيمانك ، قال تعالى :

﴿مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا  
مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾

[سورة الإسراء : ١٥]

اللهم علّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علّمتنا ، وزدنا علماً ، والحمد لله رب العالمين .

\* \* \*

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق  
العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### ارتباط الجنين بأمه :

أيها الأخوة الأكارم ؛ من البحوث العلميّة الطبيّة التي تُعدّ آيةً من آيات الله الدالة على عظمة الله،  
أنّ الجنين كان في نظر الطبّ قديماً كائناً حياً في أدنى مستويات الحياة ، كانت كتب الطبّ تصفُ  
حياته بحياة حبة الفاصولياء في أصيص التراب ، رُشيم ، وجُدِير ، وسُوِيْق ، ومحفظة غذاء ،  
جاءتها الرطوبة ، وجاءها النور ، فمما هذا الرُشيم ، وما حركات الجنين إلا ردود أفعال على  
المؤثرات التي تصل إليه وهو في بطن أمّه ، ولكنّ الطبّ الحديث من خلال تطوّر وسائل  
الملاحظة والمشاهدة ، ووصول الطبّ إلى باطن الجسم الإنساني ، واستخدام التنظير والتصوير  
التلفزيوني ، والتسجيل الضوئي والصوتي ، هذه الوسائل المتقدّمة جدّاً سمحت للطبّ أن يصل إلى  
الجنين فيطّلع على حياته العضويّة ، وسلوكه النفسي ، فكشفت الطبّ حقائق مذهلة ، أمّ حامل في  
الشهر السادس ، معتادة على التدخين ، طلب منها الطبيب أن تمتنع عن التدخين مدّة جيّدة ، ثمّ  
قدّم لها دخينة ، وما أن أولعتها إلا وأشار المقياس إلى اضطراب قلب الجنين ، وقالوا : هذا  
منعكسٌ شرطي ، وهو نوعٌ من أنواع التعلّم ، هذا الجنين وهو في الشهر السادس ، وهو في بطن  
أمّه تأدّي من أمّه حينما استعملت الدخان .

إذا وقعت الأم في أزمة نفسية كالغضب فإن الجنين يتأثر لتأثر أمه ، وتضطرب أعضاؤه ، وأجهزته ، وإذا كانت الأم في سعادة ويُسّر ، وكانت تُهدّد له ببعض التهويمات فإن الجنين يهدأ ، ويضطرب قلبه ، وأعضاؤه ، ونفسيته ، والأغرب من ذلك أن الجنين وهو في بطن أمه ينجذب إلى صوت أبيه ، ويقف موقف المأخوذ ، ويتأكد هذا بعد الولادة .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ في هذا الموضوع موضوع اسمه الرباط ، أي ارتباط الجنين بأمه ، فإذا رغبت الأم بالحمل ، وتولّعت به بادل الجنين أمه الابتهاج ، وقدم مودته وشكره على حسن لقائها ، ويعتني شعوره بالسكينة ، ويعبر عن امتنانه بحركات في بطن أمه لا حد لعذوبتها على قلب الأم ، أما الأم التي لا ترغب بالحمل ، ويتم الحمل وهي مكرهة فإن التواصل أو الرباط ينقطع مع الجنين ، يحيا الجنين حياة منفصلة عن أمه فيها الوحشة والانكماش ، ويسلك سلوك البلبلة والاضطراب ، ويختل توازنه ، ويعبر على هذه اللامبالاة أول الأمر بالصبر ، وبعدئذ يضرب أمه بركلات يرسلها بقدميه ، وكأنه يعبر بها عن احتجاجه لكرهيتها له ، وبعد الولادة الجنين الذي رفضت أمه حمله لا يقبل تديبها ، بل يقبل على أي شيء آخر ، فإذا عصيت عيناه ، وقدم له شيء أمه رفضه لأنها رفضته في الأصل ، الجنين يحيا حياة نفسية ، ويبدأ تعلمه وهو في بطن أمه .

بعضهم قال : دورة النوم عند الأم قد تكون ذات خصائص معينة ، فالأم التي تكثر السهر يأتي ولدها مشابها لها ، الأم التي هي نؤومة الضحى يأتي ابنها مشابها لها ، فهناك تأثيرا يتأثر به الجنين من أمه قبل أن يولد .

الأغرب من هذا كله أن التي جاءها المخاض إذا كان لها إنسان قريب ودود يجلس إلى جانبها كأماها ، فهذا الإنسان القريب الودود يلعب دورا أساسيا في تيسير الولادة ، ويزداد انصباب الدم على الرحم والجنين مغزيا فينتعش الجنين في أثناء المخاض ، وتتضاءل عقابيل نقص الأكسجين ، في أثناء المخاض هذا النقص ربما أصابه بتأخر عقلي ، أو اضطراب نفسي ، انظروا أيها الأخوة إلى الأم التي ترغب في الحمل ، الأم السعيدة ، الأم التي تعيش مع زوجها مطمئنة ، هذا ينعكس صحة جسمية ونفسية على حياة الجنين ، والأم التي تكون إلى جانب ابنتها في أثناء الولادة وجود الأم إلى جانب الولادة يعينها على تيسير الولادة ، وعلى بعدها عن عقابيل نقص الأكسجين بالتخلف العقلي أحيانا ، أو بداء الصرع أو بالاضطراب النفسي ، انظروا أيها الأخوة إلى حكمة الله عز وجل ، حتى أن الصفات التي تحياها الأم في أثناء الحمل ينعكس معظمها على الجنين وهو في بطنها ، فيا أيها الأخوة الأكارم حينما نبتعد عن التصميم الإلهي ، وعن البنية الإلهية التي بناها ، ونأخذ أسلوبا آخر في الحياة ، هذا ينعكس على صحة أولادنا ، وعلى نموهم ، وعلى سلامة نفوسهم .

## والحمد لله رب العالمين

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٤٣٦ : حقيقة الإنسان ٩ ( خلق الإنسان هلوعا ).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٣-٠٤-٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

من طباع الإنسان أنه خلق هلوعا :

أيها الأخوة الأكارم ؛ لا زلنا في الموضوع المتسلسل ألا وهو حقيقة الإنسان من خلال القرآن ،  
و الحقيقة التي نضيفها إلى الحقائق السابقة هي قوله تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

[سورة المعارج : ١٩]

هكذا خُلق ، هذه طبيعته ، هذا ضعف خَلقي ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِلَّا الْمُصَلِّينَ \*  
الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَالَّذِينَ  
يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ \*  
وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ  
ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ  
بشهاداتهم قَانِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٣٥]

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ هذه الآية تبين حقيقة أساسية و خطيرة من طباع الإنسان، إنه ضعف  
خلفي لصالحه .

فيا أيها الأخوة الأكارم ؛ قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

هلوع صيغة اشتقاقها على وزن فعول ، و هي من صيغ مبالغة اسم الفاعل ، ما معنى هلوع ؟  
القرآن الكريم فسّر كلمة هلوع ، الهلوع هو الذي إذا مسّه الشرّ جزع ، و إذا مسّه الخير منع ،  
فهو هلوع ، وجزوع ، ومنوع ، كلمات ثلاث صيغت بصيغة مبالغة اسم الفاعل ، أي كثير الهلع،  
و كثير الجزع ، و شديد المنع .

أيها الأخوة الأكارم ؛ لو أردنا أن نتعمق في جذور هذا الهلع لماذا كان الإنسان هلوياً ؟ بمعنى إذا مسّه الشرُّ كان جزوعاً ؟ و لماذا إذا مسه الخير منوعاً ؟ جذور هذه الطبيعة أو تلك السمة الأساسية في بناء شخصية الإنسان تعود هذه الجذور إلى أن الإنسان في أصل خلقه فُطر على حبِّ ذاته ، حبِّ ذاته يتفرّع منه حبُّ سلامته ، و يتفرّع منه حبُّ كمال سلامته، وحبُّ بقاءه ، أي استمرار سلامته ، ثلاثة ميول شديدة أساسها حبُّ ذاته . و لمصلحة عليا ، و لهدف كبير، و لصالح سعادته الأبدية فُطر الإنسان على حبِّ ذاته ، ويتفرّع عن هذا الحبِّ حبُّ سلامة ذاته ، و حب كمال وجوده ، وحبُّ بقاء وجوده ، و يتفرّع عن هذا الفرع أن الشيء الذي يحقق لك سلامتك تحبُّه أيضاً ، و أن الشيء الذي يحقق لك كمال وجودك ولذتك و سعادتك تحبُّه أيضاً ، فلأن الإنسان أيها الأخوة مفطورٌ على حبِّ وجوده ، وتفرّع عن هذا الحبِّ حبُّ سلامة وجوده ، و حبُّ كمال وجوده ، وحبُّ استمرار وجوده ، لذلك كنتيجة طبيعية ، وكاستنباط مشروع أن الإنسان إذا شعر أن هناك خطراً يتهدّد سلامته يُصاب بالخوف الشديد ، والجزع الشديد ، وتنهار أعصابه ، وترتعد فرائصه ، وقد يشعر بالآلام لا تحتمل ، هذه طبيعة الإنسان ، لأنه يحبُّ ذاته ، يحبُّ سلامة ذاته ، يحب لذائذ يستمتع بها ، أي كمال وجوده ، و يحب كلَّ شيء يحقق له سلامته، فإذا ما لاح في الأفق خطرٌ يتهدّد سلامته ، أو يتهدّد وسائل سلامته ، وهي المال ، عندئذ هو كثير الجزع ، جزوع ، انهيار عصبي ، اختلال في توازنه ، أحياناً يضيع عقله ، أحياناً يصيبه خوفٌ شديد ، يصبح فؤاده فارغاً .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ توضيحاً لهذه الحقائق كيف أن الإنسان يحب شيئاً ، ويتفرّع عن هذا الحب حبُّ شيء آخر ، أنت تحب الطعام ، و تحب مع الطعام المال ، لأن المال ثمن الطعام ، فحبُّ المال ليس لذاته ، لكن لغيره ، حبُّ المال فرغٌ عن حب الطعام ، والشراب ، والمأوى ، وما إلى ذلك ، لذلك أيها الأخوة الأكارم وضع طبيعياً جداً ، بنية أساسية في الإنسان أنه إذا لاح له خطرٌ يتهدّد سلامته ، صحته ، سلامة من يلوذ به ، سلامة المال الذي يحصله لتحقيق سلامته، تنهار أعصابه ، وترتعد فرائصه ، ويصاب بخوف شديد ، وقلق عظيم .

شيء آخر ، هذا إذا مسّه الشرُّ كان جزوعاً ، فلماذا إذا مسّه الخير كان منوعاً ؟ لأن الإنسان إذا حاز مالاً وفيراً ، هذا المال مادة الشهوات ، ووسيلة فعّالة لتحقيق أهدافه ، لذلك يحرص عليه أشدَّ

الحرص ، و يضمنُ بإنفاقه ، ويسعى إلى أن يحوزه في أعلى مستوياته ، و إذا مسه الخير كان منوعاً ، إن الإنسان خلق - هكذا خلق - هذا ضعف في خلقه ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢١]

### الإيمان يبدي المخاوف و الاتصال بالله يجعل الإنسان خيراً معطاء :

لكن أروع ما في الآية ذلك الاستثناء ، قال تعالى :

﴿إِنَّا الْمُصَلِّينَ﴾

كي يتضح لكم أيها الأخوة أن الإيمان يبدي طبيعة النفس ، أن الاتصال بالله عز وجل يبدي المخاوف، أن الاتصال بالله عز وجل يجعل الإنسان خيراً ، معطاءً ، وجود بالغالي و الرخيص والنفس والنفيس ، أرايتم أروع من هذا البيان ؟ إنسان قنور ، شديد الجزع ، كثير الهلع ، شديد المنع ، أما إذا اتصل بالله عز وجل فانعكست الآية ، أصبح خيراً ، أصبح مطمئناً ، أصبح حكيماً ، أصبح مضحياً ، أصبح معطاءً .

أيها الأخوة الأكارم ؛ هؤلاء المصلون استنتاهم الله عز وجل من هذا الضعف الخلقى ، لذلك حُقَّ لك أن ترى فرقاً شاسعاً و فرقاً في الطبيعة بين المؤمن و غير المؤمن ، المؤمن متجلد عند المصائب ، لا يجزع ، يرى يد الله ، يرى حكمته ، يرى عدالته ، يرى رحمته، يرى أنه المتصرف ، لا يرى معه إلهاً آخر ، واثق من أن الذي أصابه محض خير ، ومحض فضل ، و محض عطاء .

الإيمان أيها الأخوة يبدي طبيعة النفس ، يغير اتجاهها مئة وثمانين درجة ، لكن قبل الإيمان ، وقبل الاتصال بالله ، وقبل التعرف إليه ، وقبل الاستمداد منه ، وقبل الإقبال عليه، وقبل سلوك منهج الإيمان ، وقبل الصلح مع الله ، وضع الإنسان هو هو ، أي إنسان على وجه الأرض في أي مكان ، وفي أي زمان يتسم بهاتين الخصلتين ، كثير الجزع عند المصائب ، شديد الحرص عند المكاسب ، لكن المصلي مستثنى من هذه الصفة ، و تلك الخصلة .

## حقيقة الإنسان قبل و بعد اتصاله بالله :

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ الإنسان إذا أصابه مكروه يتألم ، وإذا كان بخيلاً حريصاً شحيحاً يتألم الآخرون منه ، فهو بين أن يتألم بذاته ، أو أن يحمل الناس على أن يتألموا منه ، بين أن يمقت ذاته ، وبين أن يمقته الآخرون ، هذا وضع الإنسان ، اذهب إلى أي مكان في الدنيا ، هذه حقيقة الإنسان ، لكنه إذا اتصل بالله عز وجل فالأمر مختلفاً اختلافاً بيناً ، ربُّنا جلّ جلاله يبين أن الإيمان بما فيه من عقائد ، و ما فيه من مفهومات ، و ما فيه من تصوّرات ، و ما فيه من تطلّعات ، و ما فيه من آمال ، و الإيمان و ما يتبعه من تربية النفس على البذل و العطاء ، و ترقيب العوض من الله عز وجل ، و التعلّق بالدار الآخرة ، الإيمان و ما فيه من سلوك قويم ، هذا من شأنه أن يلغي هذا الضعف الخَلقي ، لذلك ترى بين المؤمن و غير المؤمن فرقاً لا بالدرجة ، و لكن بالنوع ، قال تعالى :

﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾

[سورة السجدة : ١٨ ]

## البنود التي إذا توافرت في الإنسان فهو في منجاة من الجزع و المنع :

### ١ - الإيمان بالله عز وجل و تأدية الصلاة :

أيها الأخوة الأكارم ؛ نستعرض الآن البنود التي إذا توافرت في الإنسان فهو في منجاة من الجزع ، و من المنع ، و لا أخفيكم أن الجزع وراء معظم الأمراض ، لأن العضوية حينما تتأثر النفس و تصاب بالهلع ، و الجزع ، و الخور ، و الضعف ، فإن هذا الضعف النفسي ينعكس أمراضاً لا تُعدّ و لا تُحصى ، إذاً الإيمان صحّة ، من هؤلاء الذين ينجون من هذا الجزع القاتل و ذلك الحرص المقيت ؟ قال : إنهم المصلون ، و بالتأكيد لا تعني الآية هذا الذي توضحاً ، و وقف ، و صلى ، و ركع ، و سجد ، و سلّم و هو في عالمه الخاص ، هذه صلاة ما أَرادها الله عز وجل ، المصلون هنا الذين توافرت لهم حسنُ العلاقة بالله عز وجل ، و دوام المراقبة له ، و المداومة على الصلوات المستوفية للشروط الفكرية ، و القلبية ، و النفسية ، و الروحية ، و الجسدية ، هؤلاء المصلون الذين عناهم الله عز وجل باتّصالهم بمصدر القوة ، باتّصالهم بمصدر الحكمة ، باتّصالهم بمصدر الرحمة ، تجلّى الله على قلوبهم فنبتّهم من ذلك الانهيار النفسي ، و هذا الضعف الخَلقي ، و ذلك التشتت ، و هذه الآلام التي لا حصر لها ، لذلك لو اطلّعت على قلب المؤمن لو وجدت فيه طمأنينة لو وُرِعت على أهل بلد لكفتهم ، لو اطلّعت على قلب المؤمن لو وجدت فيه سعادة لو وُرِعت على بلد لكفتهم ، هو سرُّ اتصاله بالله عز وجل .

ولكن يا أيها الأخوة ؛ هذا العنصر عنصر الصلاة الذي صرَّح الله به يخفي وراءه عنصراً ما صرَّح الله به ، متى اتَّصلوا بالله ؟ بعد أن آمنوا به ، إذاً إيمانهم بالله ، إيمانهم بوجوده ، و إيمانهم بوحدانيته ، و إيمانهم بكماله ، وإيمانه بأنه إله في الأرض ، كما هو إله في السماء ، و إيمانهم أن الأمر كله بيده ، بيده ملكوت كل شيء ، إيمانهم بحكمته المطلقة التي تتعلَّق بالخير المطلق ، إيمانهم بأسمائه الحسنى ، إيمانهم بصفاته الفضلى ، إيمانهم بأنه خلقهم ليرحمهم ، إيمانهم بأنه خلقهم لجنة عرضها السموات و الأرض ، إيمانهم بأن هذه الدنيا متاع الغرور ، دار ممرٍّ وليست مقرّاً ، دار تكليف و ليست دار تشريف ، دار عمل و ليست دار جزاء ، هذا الإيمان هو الذي استلزم اتِّصالهم بالله ، و ذلك الاتصال بالله هو الذي استلزم تلك الطمأنينة ، و هذا الثبات ، وهذه السكينة ، و هذه الرحمة التي تنتزل على قلوبهم ، عندئذ لا يُصابون بالجزع . وفي التاريخ الإسلامي من القصص و البطولات ما لا يُعدُّ ، و لا يُحصى ، خبيب بن عدي قبيل أن يُصلب ألقى الكفارُ عليه القبض ، وأرادوا أن يقتلوه قتلة يشفون بها غليلهم ، فأرادوا أن يصلبوه ، سأله أبو سفيان : يا خبيب أتحبُّ أن يكون محمَّد مكانك ، وأنت معافى في أهلك ، ما هي إلا ثوانٍ معدودة حتى انطلق سيدنا خبيب ليقول : " و الله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي ، و عندني عافية الدنيا و نعيمها ، و يُصاب رسولُ الله بشوكة " ، إلى أين هو ذاهب ؟ ليُقتل ، لتنتهي حياته ، لكن إيمانه بالله و اتِّصاله به جعله في طمأنينة ما بعدها طمأنينة ، سعد بن الربيع تفقده النبي عليه الصلاة و السلام فلم يجده عقب معركة أحد ، كلف أصحابه بتفقده ، فعن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

((من رجل ينظر لي ما فعل سعد بن الربيع أفي الأحياء هو أم في الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا ، فنظر فوجده جريحاً في القتلى ، وبه رمق ، قال : فقال له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أنظر أفي الأحياء أنت أم في الأموات ؟ فقال : أنا في الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم سلامي ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ما جرى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عني السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم ، وفيكم عين تطرف ، قال : ثم لم أبرح حتى مات ، وجئت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره ))

[رواه ابن إسحاق في سيرته]

متى قال هذه الكلمات ؟ هو في النزاع الأخير ، انظر إلى أهل الدنيا إذا أصابهم ، و إذا اقترب الموتُ منهم ، تنهار أعصابهم ، يطمون وجوههم ، يبكون على أنفسهم ، يصرخون بوجههم ، ما هذه رباطة الجأش ؟ ما هذا الثبات ؟ إنها ثمرة الاتصال بالله عز وجل ، إنك اتَّصلت بالحقيقة العظمى في الكون ، اتَّصلت بالله عز وجل ، إذا كان اللهُ معك فمن عليك ؟ و إذا كان عليك فمن معك ؟ هذا البند الأول :



﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِبَّاءِ الْمُصَلِّينَ \*  
الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٢٣]

أي دائماً مع الله ، دائماً معه بالمراقبة ، و دائماً معه بالدعاء ، و دائماً معه بحسن الصلاة به ،  
و دائماً معه بالاستغفار ، و دائماً معه بالتسبيح ، و دائماً معه بالتهليل ، و دائماً معه بالتكبير ،  
معيةً مستمرة ، قال تعالى :

﴿إِبَّاءِ الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

## ٢ - إنفاق المال و عدم أكله بالباطل :

هل يكفي أن نصلي ؟ هل يكفي أن نقف بين يدي الله عز وجل ؟ مع أن الصلاة في عرف  
الماديين لا تكلف شيئاً ، وضوء ، و صلاة ، و حركات ، لكن إيمان المؤمن يأبى إلا أن يؤكد  
بالإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

الصدقة سميت صدقة لأنها تؤكد صدق الإنسان مع الله عز وجل ، فيها بذل ، فيها شيء محبب  
تنبذه للناس ، ما الذي يؤكد حبك ؟ هذا شيء لا يعلمه إلا الله ، بإمكان كل إنسان أن يدعي  
الحب ، و لما كثر مدعو الحب طولبوا بالدليل ، ما الدليل ؟ هو الإنفاق ، قال تعالى :

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

[سورة آل عمران : ١٣٣]

من هم ؟ قال تعالى :

﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة آل عمران : ١٣٤]

و الإنفاق دليل الإيمان ، دليل إيجابي للإيمان ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾

لا يرى دفع الزكاة منةً وفضلاً ، يراه حقاً يجب أن يؤدي ، هذا حق الفقير ، و الأغنياء  
أوصيائي ، و الفقراء عيالي ، و من منع مالي عيالي أدقته عذابي ، و لا أبالي .

يا أيها الأخوة الأكارم ؛ كيف أنه في البند الأول صرح الله بتأدية الصلاة ، و من لوازم تأدية  
الصلاة الإيمان بالله عز وجل ، كذلك في البند الثاني صرح الله عز وجل بإنفاق المال ، و من

لوازم إنفاق المال ألا تأكل مالاً بالباطل ، فكلُّ عملٍ إيجابي يجب أن يُبنى على نظافة ، يجب أن يبنى على استقامة ، يجب أن يبنى على صخرة صلبة ، فالصلاة لا تصحُّ إلا بالإيمان بالله ، وكذلك إنفاق المال لا يصحُّ إلا من حلال ، من كسب طيباً ، من تعب مشروع، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه و سلم قال :

**((من أمسى كالأل من عمل يديه أمسى مغفوراً له ))**

[رواه الطبراني عن ابن عباس]

وفيه آمنت بالله فاتصلت به ، و أكدت اتصالك بإنفاق المال ، بعد أن كفت نفسك عن المال الحرام ، قال تعالى :

**﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾**

[سورة البقرة : ٢٩]

شهوة أساسية من شهوات الإنسان ، وهي شهوة الفرج .

### ٣ – الإيمان باليوم الآخر :

ثم قال تعالى في البند الثالث :

**﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾**

لا يكفي أن تؤمن بالله عز وجل ، يجب أن تقرن مع الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر ، لأن الله موجود و سيحاسب ، إن لم تؤمن بأنه موجود ، ويعلم ، وسيحاسب لا تستقيم على أمره ، إذا أردت العوامل الأساسية الموضوعية للاستقامة ، أن تؤمن بوجود الله ، إلهاً في السماء ، وإلهاً في الأرض ، وواحداً وكاملاً ، وأن تؤمن بأنه يعلم ، وأن تؤمن بأنه سيحاسب ، لذلك في البند الثالث قال تعالى :

**﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾**

نقل إلى اليوم الآخر كل نشاطاته ، كل أعماله في الدنيا موجهة إلى اليوم الآخر ، كل بذله وعطائه موجهة إلى اليوم الآخر ، كل حركاته و سكناته موجهة إلى اليوم الآخر ، يريد أن يسعد إلى الأبد بعمل طيب يجريه الله على يديه ، قال تعالى :

**﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ**

**مَأْمُونٌ﴾**

قرآن كريم بين أيدينا ، آيات كثيرة تتحدّث عن النار ، وعن شدة عذابها ، وعن حرق الجلد ،  
قال تعالى :

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا  
العَذَابَ﴾

[سورة النساء : ٥٦]

هذا الذي لا يستقيم على أمر الله لا يعبأ بهذه الآيات ، لا يراها إلا كلاماً لا يعني شيئاً ، لذلك فهو  
مقيم على المعاصي ، لكن المؤمن يفهم كلام الله فهماً في أعلى درجات الجدّة ، و في أعلى  
درجات التصديق ، لذلك قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾

من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾

و ليس في الإسلام حرمان ، كل شهوة أودعها الله في الإنسان جعل لها قنوات نظيفة ، قال  
تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

لا يشعر بشيء من الخزي ، ولا يشعر بمعصية ، ولا بانحراف ، ولا بهمود إذا فعل ما سمح الله  
له ، قال تعالى :

﴿إِنَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾

٤ — عدم العدوان على الأموال و الأعراس :

لكن قال تعالى :

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

ما أروع أدب القرآن ، كل الانحرافات التي يسمع بها الناس ، والتي يقرؤون عنها ، والتي تضجُّ  
بها الأرض الآن ، والتي هي مرض العصر ، هذه الانحرافات طواها الله عز وجل بكلمة واحدة،  
يفهمها الذكي اللبيب ، قال تعالى :

﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾

هذه الشهوة التي أودعها الله في الإنسان إذا أردت أن تحرّكها نحو شيء لا يرضي الله ، أو نحو قناة قذرة ، فيها عدوان ، وفيها إفساد ، وفيها تضييع للمجتمع ، هذه هي المعصية ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

العدوان على الأموال ، و العدوان على الأعراض ، العدوان على الأموال أن تأكل أموال الناس بالباطل ، و هناك آلاف مؤلّفة من الأساليب ، الغشُّ أكل أموال الناس بالباطل ، الكذب أكل أموال الناس بالباطل ، التدليس أكل أموال الناس بالباطل ، الاحتيال ، كل وسائل الكسب غير المشروع أكل لأموال الناس بالباطل ، فهو عدوان على أموالهم ، قال تعالى :

﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾

[سورة البقرة : ٢٩]

و آية متعة يحصلها الإنسان ولو بنظرة من امرأة لا تحلُّ له ، هذا عدوان على أعراض الناس ، لذلك جاء غضُّ البصر ، قال تعالى :

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾

[سورة النور : ٣٠]

و قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾  
أرأيتم أيها الأخوة إلى الأدب القرآني ، بعض عوام الناس يتحدثون بما لا يليق ، يتحدثون حديثاً يجرح حياء الإنسان تحت غطاء : " لا حياء في الدين " ، و الدين كله حياء ، أرأيتم إلى هذا الأدب؟ قال تعالى :

﴿إِنَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾

أنت الآن عضو في مجتمع ، ما الذي يُفترض عليك أن تفعله ؟ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

هذه الآية أبرزت العلاقات الاجتماعية ، أنت مواطن في مجتمع ، عليك أن تكون صادقاً ، عليك أن تكون أميناً ، عليك أن تؤدّي ما عليك أداءً صحيحاً ، عليك ألا تكذب ، ألا تحتال ، عليك أن يكون عهدك عهداً ووعدك وعداً ، عليك أن تفي بالعهد و تنجز الوعد ، هكذا الإيمان ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ ابْنَةِ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغْبِرَةِ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ :

((لَمَّا نَزَلْنَا أَرْضَ الْحَبَشَةِ جَاوَرْنَا بِهَا خَيْرَ جَارٍ النَّجَاشِيِّ . . . . . قَالَتْ فَكَانَ الَّذِي كَلَّمَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْمَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ وَتَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَتَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجَوَارِ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَ الضَّعِيفِ فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَقَافَهُ فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوحِدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعُ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجَوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالِدِمَاءِ ))

[أحمد عن أم سلمة]

إذا قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾

تذكروا هذا الحديث عن أنس بن مالك قال : مَا خَطَبَنَا نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ :

((لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ))

[أحمد عن أنس بن مالك]

إذا نقضت العهد أو خنت الأمانة فقد أعلنت أنك لست مؤمناً ، لا يجتمع إيمان و خيانة ، و لا إيمان و نقض عهد .

## ٥ - السعي لإحقاق الحق :

بقي شيء واحد هل تغار على صالح المسلمين ؟ لو رأيت حادث سير ، وعلمت أن زيدا بريء ، وأن عبيداً متهم ، و أنت لا علاقة لك بذلك ، هل تذهب طواعية لتشهد بالحق لتحقيق العدالة ؟ لتعين القاضي على الحكم بالعدل ؟ قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾

من عوامل ضعف الإنسان أنه يطلب السلامة ، ولا يهتم أكان الحق موجوداً أم الباطل ، لكن المؤمن يغار ، لا يرضى أن يسود و يضمحل الحق ، يسعى لإحقاق الحق ، وإزهاق الباطل ، و لو بتأدية شهادة ، قال تعالى :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

العجيب أن الله بدأ بالصلاة و ختم بها ، لماذا ؟ لأنها السور ، لأنها البداية و النهاية ، لأنها المقدمات و النتائج ، لأن الدين الذي ليس فيه صلاة لا خير فيه، لا خير في دين لا صلاة فيه ، الصلاة عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ، الآية الأولى :

﴿إِنَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾

الآية الأخيرة :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

### الإِنسان أمام طريقتين لا ثالث لهما :

الهدف صار واضحا ، تريدون أن تكونوا من هؤلاء ؟ الطريق سالك ، ورحمة الله مبذولة لكل الخلق في كل زمان ، و في كل مكان ، و ما أروع هذه الآية حينما تبين أنك أيها الإنسان أمام طريقتين ، أن تكون ضعيفا خائر القوى ، كثير الجزع ، تنهار أعصابك ، تضعف معنوياتك ، تصاب بأمراض عضوية بسبب أمراض نفسية ، و إما أن تقوى بالله عز جل ، و إما أن ترضى، و إما أن تثبت ، و إما أن تصمد ، و إما أن تتوازن ، فأنت بين خيارين ، الخيار الأول إن لم تصل يصيبك الضعف البشري ، وهو ضعف في أصل الخلق، و ما خلقه الله في الإنسان إلا ليكون دافعا إلى الإيمان ، و لو أن الإنسان لا يخاف إذا أصابه الشر ، ولا يمسك إذا أصابه الخير لم يؤمن ؟ لا يؤمن ، لكن كأن الله سبحانه و تعالى جعل هذا الضعف الخلقى دافعا كي تؤمن بالله ، كي تطمئن بجواره ، جعل هذا الضعف الخلقى دافعا إلى الاتصال بالله كي تسعد بقربه ، فهذا الضعف الخلقى لصالح الإنسان ، قال تعالى :

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا \* إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا \* وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا \* إِنَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ \* وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّمَاتِ الدِّينِ \* وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ \* إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِنَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ \* وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ \* أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾

[سورة المعارج : ١٩-٣٥]

اللهم اجعلنا من هؤلاء ، يا أكرم الأكرمين ، اللهم علِّمنا ما ينفعنا ، و انفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، و الحمد لله رب العالمين .

### الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

### أمور هامة متعلقة بمصلى النساء في جامع النابلسي :

أيها الأخوة الأكارم ؛ أخوة كثر طلبوا مني - وهو محقون - عندنا في المسجد مصلى النساء ، هذا المصلى توافرت له شروطٌ عجيبة ، بعيد كل البعد عن مدخل الرجال ، له مدخل خاص ، وفيه كل وسائل الراحة ، فيه مرافق من الدرجة الأولى ، والصوت يصل إلى هناك ، فهناك أخوة يأتون إلى دمشق من خارج دمشق ، بصحبة زوجاتهم كي يزوروا أقاربهم يوم الجمعة ، فيحبون أن تكون معهم زوجاتهم في أثناء صلاة الجمعة ، لذلك أنا قبل أسبوعين طلبت من إخواننا الكرام أن يفتحوا مصلى النساء لأية أخت كريمة تريد أن تحضر خطبة الجمعة ، وأن تصلي صلاة الجمعة ، مع العلم أن الجمعة ليست واجبة على النساء ، إنها واجبة على الذكور ، ولا يعني هذا الحكم أن النساء ممنوعات من سماع الخطبة و صلاة الجمعة ، فرق دقيق بين أن يكن ممنوعات ، وبين أن هذه الفريضة ليست واجبة عليهن ، فكل أخ يحب أن يأتي مع زوجته لتستمع إلى خطبة الجمعة وتصلي ، فمصلى النساء مفتوح كل أسبوع قبيل صلاة الجمعة بربع ساعة تقريباً ، كما هي الحال في المسجد ، فهذا لأخذ العلم ، و الأخت التي تصلي الجمعة ، وتسمع الخطبة ، وتصلي الجمعة ، ليس واجباً عليها ذلك ، ولكنه مندوب ، ما دام هناك مكان مريح جداً ، بعيد عن مدخل الرجال ، و يسمعن الخطبة بشكل جيد ، و هناك مرافق كاملة ، كل شيء موجود بمصلى النساء ، إذاً لا مانع ، فكل أخ أحب أن يأتي إلى هنا مع زوجته ليستمع إلى الخطبة هو و إياها فلا مانع ، المصلى مفتوح ، طبعاً إخوان من علماء الشام الكبار زاروا هذا المسجد ، ورأوا المصلى أعجبوا به ، و قالوا : حببنا أن يفتح أيام الجمعة ، الشيء الآخر نحن حدثناكم عن أن الحج هذا العام هناك رغبة ملحّة بتنظيمه، وعلى أساس أن يُعمر المسجد بينائه ، و تأمين وسائل الراحة فيه ، و يُعمر بالصلاة فيه ، و يعمر بإلقاء العلم ، و كل هؤلاء شركاء في عمارة المساجد.

### والحمد لله رب العالمين

## الفهرس

- الدرس ٠١ - مقدمة عن حقيقة الإنسان ..... ١
- الدرس ٠٢ - كشف حقيقة الإنسان ..... ٢٠
- الدرس ٠٣ - كيف تكون حقيقة الإنسان؟ رحلة البويضة في رحم الأم ..... ٢٥
- الدرس ٠٤ - حقيقة الإنسان وما يبقى منه وجوهه ..... ٣٦
- الدرس ٠٥ - حقيقة الإنسان في القرآن ١ ..... ٤٦
- الدرس ٠٦ - حقيقة الإنسان في القرآن ٢ ..... ٥٨
- الدرس ٠٧ - حقيقة الإنسان في القرآن ٣ ..... ٧١
- الدرس ٠٨ - حقيقة الإنسان ٤ - وخلق الإنسان ضعيفاً ..... ٩٢
- الدرس ٠٩ - حقيقة الإنسان ٥ - وخلق الإنسان عجولاً ..... ١٠٥
- الدرس ١٠ - حقيقة الإنسان ٦ ( كلا إن الإنسان ليطغى ) ..... ١١٦
- الدرس ١١ - حقيقة الإنسان ٧ - حقيقة الإنسان من خلال القرآن ..... ١٢٨
- الدرس ١٢ - خ ١ - حقيقة الإنسان ٨ - المسؤولية ، خ ٢ - ارتباط الجنين بأمه ١٤١
- الدرس ١٣ - حقيقة الإنسان ٩ ( خلق الإنسان هلوعا ) ..... ١٥٢
- الفهرس ..... ١٦٤